

من مقومات الدعوة والداعية
في حياة الإمام
بديع الزّمان سعيد النورسي

تأليف
أسامة شهوان

من مقومات الدعوة والداعية
في حياة الإمام
بديع الزمان سعيّد النورسي

عنوان الكتاب :
من مقومات الدعوة والداعية
في حياة الإمام بديع الزمان
سعيد النورسي

تأليف :
أسامة أبو العباس شهبان

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٧٠٨-٠٣٣-٠
رقم الإيداع : ١٣١٤٣ / ٢٠١٤
الطبعة : الأولى (٢٠١٥)
حقوق الطبع محفوظة للناسر

الناشر :
دار سوزلر للنشر

العنوان :
٣٠ شارع جعفر الصادق
الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفاكس : ٢٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢) +

TITLE :

MIN MUQAWWEMAT AL DAWAH
WA AL DAIYAH FI HAYAT AL IMAM
BEDIUZZAMAN SAID NURSI

AUTHOR :

USAMAH ABU AL ABBAS SHAHWAN

ISBN : 978-977-708-033-0

ARCHIVE NO : 2014 / 13143

EDITION : FIRST (2015)

ALL RIGHTS RESERVED

PUBLISHER :

SÖZLER PUBLICATIONS

ADDRESS :

30 Gafar El-Sadek St.

7th Nasr City Cairo

EGYPT

Tel&Fax: +(202) 22602938

www.sozler.com.tr

e-mail: darsozler@gmail.com

دار سوزلر للنشر

من مقومات الدعوة والداعية
في حياة الإمام
بديع الزمان سعيد النورسي

تأليف

أسامة أبو العباس عبد الحلیم شهوان

دار سوزلر للنشر

Sözler
PUBLICATIONS



إهداء ..

- إلى أبناء الخدمة الإيمانية النورية في كل مكان.. من يقومون ويقعدون على خفقان شد العالم بحقائق الإيمان..
- إلى أصحاب الروح الإيمانية الفياضة، والإرادة العازمة الواثقة، والقدرة الحركية الإيجابية البناء... من يحتضنون من الآن الغد الآتي بضياء العقل ونور القلب..
- وإلى الناسجين على منوالهم على بصيرة واعية... والسالكين درهم بالحكمة والموعظة الحسنة..
- وإلى الأذان المتعطشة لكلمة الحق الني ينطق بها النور.. وإلى العيون التواقّة لرؤية النور.. يحيي القلوب الفارغة.. وينير العقول المعتمدة.. وينشر الأمن والأمان.. ويشيع المحبة والسلام..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ويّٰن له معالم الصراط المستقيم، وأوجب على الإنسان المسلم القيام برسالة الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى؛ هذه الدعوة القائمة على: الأمر بالمعروف؛ ومحوره الدعوة إلى التوافق مع سنن الله في الوجود القائم؛ لأن في هذا التوافق بقاء الإنسان ورفقه المعنوي والمادي كليهما، والنهي عن المنكر؛ ومحوره تركية الثقافة الإنسانية من عوامل الاصطدام بسنن الله وأقداره في الوجود القائم؛ لأن في هذا الاصطدام تدميراً لبقاء الإنسان، وسقوطه في الدنيا والآخرة، والإيمان بالله؛ ومحوره إقامة الحياة الإنسانية على أساس الإيقان بقدرة الله، وهيمته سبحانه، وتصرفه بالوجود، وملكه له، وثمره هذا الإيمان؛ حفظ الإنسان في حالة «الاعتدال والتوازن» في الفكر والسلوك، ووقاية له من مرض «الطغيان» في حالة القوة، ومرض «الاستضعاف» في حالة الضعف. وفي ذلك سلامة الفرد من الانحراف والخسران، وسلامة المجتمع من الاضطراب والتخلف والانهيار.

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وإمام الدعوة الهادين إلى الصراط المستقيم، وعلى أصحابه الذين دعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلوا بالتي هي أحسن، واقتدوا في ذلك بالمعصوم ﷺ، الذي رسم للدعوة خطوطها، وحدد لها أبعادها، وبين معالمها، وأكّد وجوبها على كل من اتبعه من الناس؛ رجالاً ونساء، شبيهاً وشباباً، ما داموا على بصيرة بما يدعون إليه.

وعلى التابعين الذين صانوا العهد، وساروا على النهج، واجتهدوا في تركية المجتمعات بالمعروف القائم على العدل والفضيلة، وبالنهي عن المنكر بتجفيف مصادر الظلم والريذيلة؛ لتحقيق الدعوة إلى الإيمان بالله من خلال البلاغ الذي يبين الرشد من الغي.

وبعد:

فلما كان إبلاغ قيم الحق للناس، وحثهم على فعل الخير، وتحذيرهم من عمل الشر، يعتبر من المهمات الصعبة، والمسئوليات الكبيرة، فإن موضوع الدعوة إلى الله تعالى، لم يعد قضية بسيطة يعالجها الكاتب كما يعالج أية مسألة جانبية، دون أن يواجه تعقيدات المشاكل ومنعطفاتها؛ فقد تؤثر أخطاء بعض الدعاة على طبيعة الدعوة نفسها، وقد تنحرف بها إلى غير غايتها. كما قد تنعكس الحالات النفسية التي يمر بها الدعاة في بعض الأزمات على مسار العمل الدعوي.

لذا، كانت الحاجة ماسة في أن يمتلك من يقوم بالدعوة إلى الله مؤهلات وخصائص ومعارف وخبرات، تمكنه من أداء رسالته، مدركاً إدراكاً تاماً أن الدعوة إلى الله ليست قائمة على الإرهاب والتخويف والتنفير، وإنما تنبني على التبشير والترقية والبيان والمنطق والحكمة.

ومن هنا تتجلى أهمية إبراز النماذج الحية المعاصرة، ونقل الخبرات الرائدة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي انتهجت سبيل المنهاج النبوي، وفق معايير الوحي وتعاليمه، القائم على أن من يأمر بالمعروف ينبغي أن يكون أمره بالمعروف، ومن نهى عن منكر، فليكن نهيه بلا منكر.

من هذه النماذج وتلك الخبرات المعاصرة، التي تركت بصماتها التي لا تخطئها العين، عالم من العلماء العدول، الذين اجتهدوا في صيانة الدين من الانحراف والتحريف الباطل، والتأويل الجاهل، والاتحال الغالي؛ ذلكم العالم هو الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي»، الذي كان - رحمه الله - من المصلحين المجاهدين، والعباقرة النابغين، والمربين الفاقهين، والمجددين الموفقين؛ فقد ظهر في تركيا في أحوال غير مساعدة ونبع في أجواء غير موافقة، وأثار السبيل في عهد مظلم حالك السواد، وأثمر جهده في بيئة قاتلة فاتكة، وبعث الحياة في مجتمعات أريد لها أن تتمد

روحها، وتضعف إرادتها، وتخور عزيمتها، وتفسد أخلاقها، بعد القضاء على إيمانها، ونزع القرآن من صدورهم وعقولهم.

وإن الروح المستقلة التي تمتع بها الإمام «النورسي»، قد ساقته لأن يتخذ طريقاً خاصاً به وحده؛ فقد كان - رحمه الله - مزيجاً نادراً من شخصية المكافح النشط، الذي كافح بإصرار وعزم لا يلين من أجل إحياء حقائق الإيمان وتقويتها، ومن شخصية زاهدة التفت كيانها الداخلي بالكامل نحو الخالق سبحانه وتعالى؛ فقد جعله إيمانه الحي وقربه إلى الله عز وجل، منكرًا لذاته أثناء جهاده المعنوي السلمي، كما مكنه من التخلي تماماً عن كل مطالب النفس والذات.

وأكثر ما يلفت النظر إليه - رحمه الله - يكمن في إنسانيته العظيمة، وتعاطفه واهتمامه العميق بكل البشر، بحيث يمكن لكل البشر أن يجدوا السلام والخلاص في الإسلام وتعاليمه.

وحول: (من مقومات الدعوة والداعية في حياة الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي»، من خلال «الشهود الأواخر») أقدم هذا الكتاب لعموم المسلمين، وللعرب منهم خاصة، محاولة مني لتوصيف واقع دعوي له طابعه العملي، سواء بما يتعلق بالدعوة، دعوة النور القائمة على رسائل النور، أو بالداعية، الإمام «النورسي» الذي كان لشخصيته المتميزة أثرها الكبير في انبثاق روح دعوة النور ونجاحها، وانتشار حركتها الواسعة في تركيا وخارجها، بما يملك من خصال حميدة، وخصائص عفيفة، وارتكاز حول «رسائل النور»، جعلت منه القدوة الحسنة المرئية لطلابه الذين حذوا حذوه، متأسين معه بأخلاق النبي ﷺ.

وإننا لا نزعم الإتيان بقواعد وأصول حاسمة للدعوة والداعية، وإنما مقومات شوهدت من خلال تجربة واقعية ممتدة في الزمان والمكان، شهد لها العديد من الشهود، الموثقة شهاداتهم ومشاهداتهم بطرق عدة؛ لتكون هذه المحاولة منا دليلاً أولاً ولأجيالنا الباحثة عن طريق الهداية وسبيل النور الإيماني، يضاف إليه ما يأتي من أدلة،

تتصافر جميعها من أجل تقليل الأخطاء التي يقع فيها العاملون في حقل الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه؛ لفقدانهم التجربة الرائدة أمامهم.

ولا يذهبن الظن بأحد من القارئ، أننا نتحدث عن ملائكة مبرمجين على فعل الخير دائماً، ولا يجوز عليهم فعل الشر، أو الوقوع في الخطأ. وإنما نتحدث عن بشر في مجتمع بشري ينطبق عليهم ما قاله إمام دار الهجرة: كل يؤخذ من كلامه ويترك، إلا المعصوم ﷺ.

وإن هذه النماذج التي سيطالع القارئ بعضها في ثنايا الكتاب، هم بشر تحركوا بمجاهدة النفس، والإخلاص التام، والأخوة المتينة، والتساند العظيم، والصبر الجميل، في طريق الدعوة إلى الله على بصيرة، وهم في ذات الوقت يراجعون أنفسهم بالمناصحة والمشورة للوقوف على الصواب والسعي في تنميته والتزامه، ومعرفة جوانب الخطأ، وسلوك السبيل الأقوم في معالجته وتصويبه، حتى يتحقق الارتقاء إلى الأفضل.

وأسأل الله الحليم رب العرش العظيم، أن يجعل ما سطرته في هذا الكتاب من الأعمال التي يتقرب بها إليه سبحانه وتعالى، وأن يكون سبيلاً من سبل الإحسان إلى نفسي التي لا بضاعة لها من علم وعمل، أو تربية وتبليغ، أو إصلاح ونصيحة. والله سبحانه هو ولي التوفيق والسداد، وبيده الهدى والرشاد، وهو ربنا ومولانا، والحمد لله رب العالمين

أسامه أبو العباس عبد الحليم شهوان

شبية - الزقازيق - مصر

يوم الجمعة: ٢١ من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ

٢١ من فبراير ٢٠١٤م

المدخل

ضوء على مفردات عنوان الكتاب

أ- المقومات

ب- الدعوة

ج- الداعية - الداعي

د- الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

هـ- الشهود الأواخر

المدخل

ضوء على مفردات عنوان الكتاب

أ- المقومات: المقومات في اللغة من: قوام الأمر؛ أي نظامه وعماده وملاكه الذي يقوم به، وبه يكون تمام الشيء، واستقامته^(١). والمقومات ما تقوم به الأشياء، وعناصر تكوين الشيء^(٢).

ونقصد بالمقومات في هذا الكتاب: الأسس التي يصلح بها اعوجاج العمل الدعوي، والعناصر اللازمة لإنهاض الدعوة والتبليغ والإرشاد، بما يحقق تدعيم جوانبه، واستقامة طريقه، وبلوغ مراميه.

ب- الدعوة: كلمة «الدعوة» تحتاج إلى إضافة تكمل معناها وتوضح أبعادها، وهي: «الدعوة إلى الله». والدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، وبتصديقهم فيما أخبروا، وإطاعتهم فيما أمروا به، وفيما نهوا عنه. ولما كان الإسلام هو خاتم الأديان وأتمها وأكملها، فإن الدعوة إلى الله تعني: الدخول في دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وحيًا من عنده ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)

ولقد تعددت آيات القرآن الكريم التي أوجبت الدعوة إلى الله، وتوجيه هذه الدعوة لكل الناس في جميع الأزمنة والأمكنة، منها قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

(١) ابن منظور المصري، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف ط: ١٩٧٩، المجلد الخامس، ص ٣٧٦.

(٢) إبراهيم مذكور وآخرون، «المعجم الوسيط»، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط ٣: ١٩٨٥، ص ٧٩٨.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣)

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى
هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج: ٦٧)

وعبر مسيرة تاريخ الدعوة إلى الله، تعددت مدارس الدعوة، وتنوعت وسائلها،
إلا أن منهج هذه المدارس التي أثرت الحياة الإنسانية، منهج واحد، هو ما في كتاب الله
الكريم وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

ومدرسة الدعوة التي تناولها في هذا الكتاب، هي دعوة النور، أو الدعوة النورية،
أو دعوة رسائل النور، هذه الدعوة التي تمثل «دائرة مرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من
الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، المتمون لهذه الدائرة، والداخلون فيها هم
أهل الإيمان كافة، البالغ عددهم الآن واحدا ونصف مليار نسمة تقريبا. والأساس الذي
يضمن وحدة هذه الجماعة هو عقيدة التوحيد، ويمينها الإيمان، ومنتسبوا الداخلون في
هذه الدائرة منذ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ۖ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وسجل منتسبيها هو اللوح المحفوظ،
ودائرة صحافة هذه الجماعة هي الكتب الإسلامية كافة، وجريدتهم اليومية هي جميع
الجرائد الدينية التي اتخذت إعلاء كلمة الله هدفا ومقصدا لها، وشُعْبُهَا هي الجوامع
والمساجد والمدارس وجميع المؤسسات التي تخدم الإسلام، ومركزها الحرمان الشريفان،
ورئيسها هو رسول الله ﷺ، وأساس مسلكها هو مجاهدة كل منتسب فيها نفسه الأمارة
بالسوء، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم، وإحياء السنة المطهرة، وحب الآخرين

والنصيحة لهم - إن لم تضر - ونظام هذه الجماعة ودستورها في الحياة هو السنة النبوية والأوامر الشرعية ونواهيها، ووسيلتها في الدعوة، هي البراهين القاطعة؛ لأن الظهور على المدنيين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار، وهدفها ومقصدتها إعلاء كلمة الله تعالى^(١).

ج- الداعية- الداعي: إن الداعي الأول إلى الله تعالى، بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام، هو رسولنا المصطفى محمد ﷺ؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦)، وقد كرر القرآن الكريم الخطاب إلى النبي المصطفى ﷺ، يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها، وعدم التحول عنها؛ فمن هذه الآيات الكريمة:

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧)

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (القصص: ٨٧)

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ (الرعد: ٣٦)

ولقد ظل نبينا ﷺ يدعو إلى الله تبارك وتعالى حتى آتاه اليقين من ربه، وصار إلى جواره الكريم راضياً مرضياً، فجزاه الله على المسلمين خير الجزاء.

وإن القرآن الكريم أشار إلى أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها وأشركها مع رسوله ﷺ، في وظيفة الدعوة إليه سبحانه وتعالى؛ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ومن هنا؛ فإن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة؛ لأن الأمة تتكون منهم؛ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)؛ فأتباع الرسول ﷺ، المؤمنون به، يدعون إلى الله على بصيرة ويقين.

(١) بدیع الزمان سعید النورسی، کلیات رسائل النور، صیقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحی، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ببعض التصرف.

«وإن واجب الدعوة إلى الله المنوط بكل مسلم ومسلمة يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته؛ لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره؛ فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرته؛ فيجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين»^(١).

وواجب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدد كالصلاة والصيام؛ لذا فإن المسلم يؤدي هذا الواجب في جميع الأحوال والظروف؛ فقد كان رسولنا المصطفى ﷺ، يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجرهاً، ولم يشغله شيء عن الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى.

وإذا كان المطلوب من الداعية أن يدعو إلى الله، فليس المطلوب منه أن يهدي الناس، وعليه فقط الاستمرار على درب الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور؛ لأن واجبه البلاغ والتبيين، وإن لم يستجب له أحد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (العنكبوت: ١٨).

«ولما كان الداعي إلى الله يؤدي واجبا ويقوم بعبادة امتثالاً لأمر الله، فالأجر على العبادة يناله العابد من الرب الجليل تفضلاً منه وإحساناً، وعلى هذا؛ فلا يطلب الداعي من أحد من الخلق أجراً على دعوته ولا مالا، ولا ثناء ولا جاهاً، ولا أي عوض من الأعراض المادية والمعنوية»^(٢).

ولذلك فإن مكانة الداعي إلى الله في الإسلام، مكانة عظيمة جداً؛ فقلوه في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال في ميزان الله، وهو أصدق الموازين:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(فصلت: ٣٣)

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨: ١٩٩٨ ص ٣١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٣.

د- الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي» :

إذا كانت سنة الله في كونه اقتضت أن يبعث بين كل فترة وأخرى من الزمن، من يجدد للمسلمين أمر دينهم، فإن الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي» هو المجدد الذي أكرم الله به المسلمين عامة والأتراك خاصة، في واقع زمني ومكاني واجتماعي زاخر بالأحداث، وتقلب الأوضاع؛ لذا كان لازماً علينا أن نلقي الضوء على طبيعة المكان والسكان والزمان ليدرك القارئ قيمة الجهد الدعوي الخارق الذي قام به الإمام النورسي.

١- المكان والسكان والزمان :

المكان: تركيا ذات الموقع الاستراتيجي، والأهمية الكبيرة لثاني دول تحيط بها، وهي: إيران، والعراق، وسوريا، واليونان، وبلغاريا، وجورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان. بالإضافة إلى كونها نقطة صلة مهمة بين المشرق العربي، وبين شرق آسيا وشمالها.

السكان: إن النسيج السكاني التركي، نسيج معقد ومتشابك يحدث العديد من الصراعات والتناقضات، والمنافسات، بين هويات مختلفة، داخل كتلة بشرية ضخمة؛ فمع العرق التركي، واللغة التركية، والمذهب الديني الإسلامي السني، الذي يمثل الأغلبية الظاهرة والطابع العام لتركيا، إلا أن هناك «الطائفة العلوية» المرتبطة دينياً بصورة ما بالإسلام، وهناك «الأرمن» بما يمثلونه من جماعة إثنية وعرقية ولغوية ودينية وثقافية خاصة، كما يوجد اليهود، وهم فئة غير متجانسة إثنيًا ولغويًا؛ فالكثيرون منهم من «السفارديم»، يضاف إليهم «الأشكيناز»، وبجوارهم «الكاريتش»، وكذلك هناك «يهود الدونمة» أي اليهود الذين تحولوا إلى الإسلام ظاهرياً؛ حيث تتضمن عقيدتهم عناصر يهودية وإسلامية، وعلى الرغم بالاعتراف رسمياً على أنهم مسلمون، إلا أن عموم المسلمين، وكذلك اليهود، ينظرون إليهم نظرة مغايرة. وكذلك يوجد «اليونانيون» وتمثل كنيستهم في إستانبول المرجعية الأرثوذكسية في أوروبا والغرب، وهناك «السرمان».

وبجانب هذه التقسيمات الدينية، هناك جماعات بشرية تجمع بينهم الرابطة العرقية والثقافية، كما تشترك في الوجدان العاطفي داخل كل جماعة منها؛ فهناك «الأكراد»، و«العرب»، و«العجم» و«يهود الدونمة» أيضاً.

الزمان: إن الزمان الذي عاشه الإمام النورسي، امتد خمسة وثمانين عاماً، اتسم بالاضطراب والقلق؛ فقد تقلب الإمام النورسي في أزمان لها طابع الانقلاب الكامل في تركيا خاصة، وفي العالم عامة، فهو قد عاصر عهد الخلافة العثمانية أو أن مرضها واحتضارها، بداية من عهد السلطان «عبد الحميد الثاني»، ثم شهد ثورة «الاتحاد والترقي» عليه وخلعه، وعاصر ممارسات الاتحاد والترقي المنهكة بأوروبا والفلسفة المادية، التي روعت فؤاده وصدمته، ورأى عن قرب ميلاد الجمهورية وانقلابها الشامل الصادم على كل ما هو مرتبط بدين الإسلام، وعان بعقله وفكره وأحاسيسه الظلام الحالك من الظلم والطغيان والعداء الواضح للدين؛ فالسلطة الحاكمة في هذا العصر (١٩٢٤ - ١٩٥٠) أرادت قطع الأمة عن عقيدتها؛ فحظرت تداول القرآن الكريم، ومنعت السفر لأداء فريضة الحج، وجعلت تدريس الفلسفة المادية وإنكار الخالق سبحانه وتعالى، والآخرة، مقررات أساسية في كافة المدارس، وألغت في نفس الوقت المدارس الدينية، والطرق الصوفية، والتكايا، كما ألغت الحروف العربية المستعملة، وتحولت إلى الحروف اللاتينية، ومنعت الأذان الشرعي والخطبة باللغة العربية، وفرضت على الرجل لبس القبعة والزي الأوروبي، وأجبرت النساء على التبرج وخلع أي زي منضبط بضوابط الدين، وفرضت يوم الأحد عطلة رسمية بدلاً من يوم الجمعة، وأغلقت بعض المساجد الكبرى وحولتها إلى متاحف للتماثيل، ومكاتب إدارية، كما ألغت الأحكام الشرعية، وبثت الإرعاب والإرهاب في قلوب الناس؛ فنصبت المشانق للعلماء، ولكل من تحدّث نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة وقراراتها^(١).

(١) إحسان قاسم الصالحى، في تقديمه لترجمة «الملاحق في فقه دعوة النور»، القاهرة، سوزلر لنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص ٧ - ٩.

٢- سعيد القديم (١٨٧٧ - ١٩٢١) :

ولد الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي» في قرية «نورس» التابعة لمحافظة «خيزان» من ولاية «بتليس» عام (١٨٧٧ م)، وبعدما مكث مع أسرته إلى عامه التاسع، ولم يعد يجد لدى معلميه في القرية، وما حوّلها من القرى، ما يفيدونه به، ارتحل من مدرسة إلى مدرسة، ومن عالم إلى عالم، حتى أكمل المواد المقررة حسب منهج العلماء العثمانيين في ذلك الوقت خلال فترة وجيزة، أثارت حيرة العلماء، حتى لقبه أستاذه «الملا فتح الله» بـ «بديع الزمان» لقوة ذاكرته وذكائه الفذ، ووجد هذا اللقب قبولاً لدى العلماء في شرقي تركيا.

وبفضل المحصول العلمي الجرم الذي اكتسبه في طفولته تلك، تهيأ لمناظرة العلماء، ومناقشتهم؛ فانعقد له وهو في الرابعة عشرة من عمره، عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق، حتى طارت شهرته في الآفاق.

وفي عام (١٨٩٧) ذهب إلى مدينة «وان»، وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك، والكيمياء والفيزياء، وعلوم الحيوان والنبات والجيولوجيا، بالإضافة إلى الفلسفة والتاريخ والجغرافيا؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها، فتأكدت تسميته بـ «بديع الزمان»، اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد، وعلمه الغزير، وإطلاعه الواسع.

وفي هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني «غلاستون» قد صرح في مجلس العموم البريطاني مخاطباً النواب قائلاً: «ما دام القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مفر لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به». أقصّ هذا الخبر مضجع الإمام النورسي، فأعلن لمن حوله: لأبرهن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها.

وفي عام (١٩٠٧) قدم مشروعاً إلى السلطان «عبد الحميد الثاني» لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم «مدرسة الزهراء» تنهض بمهمة نشر

حقائق الإسلام، وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية؛ لأن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همّة الطالب، وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية.

ولم يعر أحد من أهل السلطة اهتماماً لفكرة الإمام النورسي، ولا تعليله، وأجرى له السلطان - عن طريق وزير الداخلية - راتباً شهرياً ومكافآت عظيمة، لكنه رفض ذلك بتاتا؛ لأنه لم يكن يريد منفعة شخصية.

وفي عام (١٩١١) سافر إلى الشام، والتقى برجالها وعلمائها، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن، واشتهرت في تراثه بـ «الخطبة الشامية»، التي تمثل برنامجا سياسيا واجتماعيا متكاملًا.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، كان طبيعياً أن يهب الإمام النورسي في طليعة المجاهدين؛ فشكّل فرقة متطوعة من طلابه، واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، حتى جُرح في المعارك مع الروس، وأُسر واقتيد وهو شبه ميت إلى «قوصتروما» من مناطق روسيا، حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هياً له الله بعدها سبيل الانفلات؛ فعاد إلى بلاده، واستقبل استقبالاً رائعاً من قبل السلطان وشيخ الإسلام، والقائد العام، ومُنح وسام الحرب، وعينت له القيادة العسكرية عضوية «دار الحكمة الإسلامية» التي كانت لا توجه إلا لكبار العلماء.

وفي هذه الفترة (سعيد القديم) نشر أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» الذي أُلّفه في خضم المعارك، و«المنثوي العربي النوري»^(١).

(١) للمزيد: بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط: ٤، ٢٠٠٤، ص ٣٥: ١٤٥.

٣- سعيد الجديد (١٩٢٢ - ١٩٥٠):

يحدثنا الإمام النورسي عن بداية هذه المرحلة من حياته في «سيرة ذاتية» فيقول: «حينها تبدلت نشوة «سعيد القديم» وابتساماته إلى نحيب «سعيد الجديد» وبكائه، وذلك في بداية المشيب، دعاني أرباب الدنيا في «أنقرة» إليها وظناً منهم أنني «سعيد القديم»، فاستجبت للدعوة، وذهبت سنة (١٩٢٢) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، إلا أنني أبصرت - خلال موجة الفرح هذه - زندقة رهيبية تدب ببخث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها؛ فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثاً بالله العليّ القدير، من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن يتعرض لأركان الإيمان، فكتبت برهاناً قوياً حاداً يقطع رأس تلك الزندقة، إلا أنني لم ألمس آثار هذا البرهان الرصين في مقاومة الزندقة، وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس»^(١).

إن الإمام النورسي لم ترضه الحال في أنقرة، فبقى مهموماً؛ إذ رأى عن كثب انتشار وغزو العقلية الأوروبية والنمط الأوربي للحياة شيئاً فشيئاً، ورأى ضعف الاعتقاد والتمسك بالإسلام، فقرر العودة إلى «وان».

وفي «وان» بدأ يعيش حياة العزلة في جبل «آراك»؛ حيث كان يقوم بإلقاء المحاضرات الدينية، والنصائح والدروس، وفي ذات الوقت يقوم بمراجعة نفسه ومحاسبتها، وكأنه شعر في هذه الفترة شعوراً روحياً بأن انقلاباً معنوياً عظيماً سيحدث. ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ثورة «الشيخ سعيد بيران»، ولكنها أخذت بعد إراقة الدماء الكثيرة، ولم تكن للإمام النورسي علاقة بهذه الثورة، ولم يكن يستحسنها، ومع ذلك نفي على إثرها إلى «إستانبول» سنة (١٩٢٥م)، ومن «إستانبول» إلى «بوردور» ثم «إسبارطة»، وأجبروه على الإقامة في «بارالا»، تلك القرية الصغيرة التابعة لولاية «إسبارطة»؛ حتى يتمكنوا من مراقبة كل أحواله، والحيلولة دون اختلاطه بالناس.

وفي «بارلا» حيث مكث الإمام النورسي فيها ثمانين سنوات، ألف الكثير من كليات رسائل النور، مثل: «الكلمات»، و«المكتوبات»، و«اللمعات» التي تركز في أغلبها على المسائل الإيمانية.

ولقد أزعج أصحاب السلطة انتشار رسائل النور، فنقلوا الإمام النورسي من «بارلا» إلى «إسبارطة».

وتم اعتقال الإمام مع مائة وعشرين من طلابه سنة (١٩٣٥) في سجن «أسكي شهر» أحد عشر شهراً، وبعد خروجه من السجن نُفي الإمام إلى ولاية «قسطموني»، ليظل منفياً هناك ثمانين سنوات، استكمل فيها كتابة الرسائل، ووضع تدابير وصولها إلى الطلاب ليستنسخوها باليد، وينشروها في كل مكان يستطيعون الوصول إليه.

ولم يقف أعداء الدين المستترون - كما يسميهم الإمام - مكتوفي الأيدي أمام هذا الانتشار؛ فذاهموا بيته عدة مرات وحاولوا قتله بالسم أكثر من مرة، لكنه نجا بعون الله ورحمته من تأثير السم.

وفي عام (١٩٤٣م) يُساق الإمام إلى المحكمة الجنائية الكبرى لولاية «دينزلي» مع مائة وستة وعشرين من طلابه، ليقبض في السجن تسعة أشهر تعرض فيها للعديد من المشقات وألوان المظالم.

وبعد خروجه من سجن «دينزلي» نفى إلى «أميرداغ»، ويقبض عليه بعد ذلك (أواخر ١٩٤٧م) مع العديد من طلابه في المدن المختلفة، وتم ترحيلهم إلى «آفيون»؛ ليمثلوا أمام محكمتها، ويوضعوا في سجنها عشرين شهراً، ثم يحكم لهم بالبراءة.

وفي هذه الفترة (سعيد الجديد) انتشرت رسائل النور بين عامة الناس، وتنقلت من يد إلى أخرى على تودة ودون جلبة، أو لفت للأنظار، ونسخت مئات الآلاف من الرسائل يدوياً، حتى أضحي لرسائل النور مئات الآلاف من الطلاب والمحبين والمتأثرين بها في أنحاء تركيا^(١).

(١) للمزيد: المرجع السابق، ص ١٤٩ - ٤٣٢.

٤ - سعيد الثالث (١٩٥٠ - ١٩٦٠) :

تزامن ظهور «سعيد الثالث» مع هزيمة الحزب الواحد، وهو حزب الشعب الجمهوري في الانتخابات العامة التي جرت في مايو عام (١٩٥٠م)، وتولى الحزب الديمقراطي برئاسة «عدنان مندريس» السلطة في تركيا. ومع نهاية فترة الحكم الاستبدادي لحزب الشعب الجمهوري، خفت القيود المفروضة على النورسي نسبياً؛ إذ استمرت السلطات في مصادرة النسخ التي تصدر من رسائل النور، وعانى الإمام النورسي وطلابه من القمع، إضافة لاستمرار الدعاوى القضائية التي ترفع ضدهم.

وفي غضون الأحداث التي سبقت ظهور «سعيد الثالث» ظهر جيل جديد من طلاب النور، الذين شملوا سواعد العمل والإخلاص لخدمة دعوتهم، ولنشر رسائل النور، فصارت حركة النور متماسكة متساندة كالبنيان المرصوص.

وبدأت في هذه المرحلة جهود الإمام النورسي تتجه إلى تربية الجيل الجديد من الطلاب، هذا الجيل الذي سيقود حركة دعوة النور، بعد أن ينأى القدر بالإمام النورسي بعيداً، ويكون غير قادر على أن يفعل هذا بنفسه؛ «الدرجة أن الإمام غير بعضاً من عاداته بسببهم»^(١).

لقد أخبر الإمام النورسي طلابه عن مولد «سعيد الثالث»، وما يحمله هذا الميلاد، فقال: «تعرض لي حالة روحية مهمة لمرتين أو ثلاث مرات، وهي حالة شبيهة بالتي دفعته لأنزوي في جبل يوشع بإستانبول قبل ثلاثين سنة، وجعلتني أنسل من الحياة البراقة لدار الحكمة الإسلامية؛ تلك الحالة التي هي انقلاب روحي أظهر ماهية «سعيد الجديد». والآن بدأت عندي تباشير شبيهة بتلك الحالة، وأعتقد أنها إشارة إلى ظهور «سعيد الثالث»، الذي يكون تاركاً للدنيا كلياً؛ بمعنى أن رسائل النور وطلابها الغياري سيؤدون مهامهم بدلاً عني، فلم يعد هناك حاجة إليّ، ومن المعلوم أن كل جزء

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط ٤: ٢٠٠٤، ص ٥٧٥.

من الأجزاء الجامعة لرسائل النور، وكل طالب من طلابها الثابتين يدرس ويرشد أفضل مني»^(١).

وبالفعل رأى الإمام النورسي في تلك الفترة ثمرة عمل وجهاد ثلاثين عاماً رغم النفي والسجن والمشقات؛ فقد رأى رسائل النور تطبع في مطابع حديثة، وشاهد نسخها المطبوعة بالأحرف الجديدة (اللاتينية) عام (١٩٥٧) في أنقرة وإستانبول، ويصرح النورسي قائلاً: «هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريباً»^(٢).

وفي بداية عام (١٩٦٠) كان عالم السياسة مائجاً مضطرباً في تركيا، وذهب الإمام - رغم مرضه الشديد - إلى أنقرة ثلاث مرات؛ لينبه الحكومة ويحذرها من الكوارث التي اقتربت، إلا أنه لم يحصل على نتيجة لمساعيه المخلصة. وبعدما أدى واجب النصيحة، أقام في «أميرداغ» بعض الوقت، ثم رجع إلى «إسبارطة»، وكأنه قد بدأ يودع ما حوله معلناً استعداده للارتحال إلى الآخرة باطمئنان قلب؛ بسبب تأليف رسائل النور، وتربية أيداء قوية، ونفوس مخلصه، وقلوب صادقة، تتبنى دعوة الإيوان والقرآن.

وفي فجر الثالث والعشرين من مارس عام (١٩٦٠) لقي الإمام النورسي ربه، ودفن جثمانه في منزله المؤقت، مقبرة «خليل الرحمن» في مدينة «أورفا»، وبعد وفاته بشهرين حدث انقلاب عسكري، ومن ثم بدأت فترة ظلم جديدة، بلغ من شدة هذا الظلم، أن تعدوا على قبر الإمام النورسي اليوم الثاني عشر من يوليو عام (١٩٦٠)، وأخذوا جثمانه المبارك في طائرة ونقلوه إلى مكان مجهول^(٣).

وإن هذه المرحلة، مرحلة «سعيد الثالث»، شهدت الانطلاق الحركي لدعوة رسائل النور؛ فيوجه الإمام النورسي رسائل للمسؤولين في البلاد ناصحاً وموجهاً

(١) نجم الدين شاهين، الشهود الأواخر، شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، القاهرة: سوزلر للنشر، ط: ١٢/٢٠٠٢م، المجلد ٢، ص ٣٢١.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٤٥.

(٣) للمزيد: النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٣٥ - ٥١٦.

وداعياً إلى منهج الله، وكان لهذه الانطلاقة تأثيرها غير المباشر في تغيير السلطة الحاكمة لنظرتها القائمة؛ فقد كانت أفكار الإمام النورسي وانتشارها المتزايد، دافعاً لهم في إعادة النظر في العديد من مظاهر محاربة الدين في المجتمع التركي.

ومع ذلك أصر الإمام - رحمه الله - في هذه المرحلة، على القاعدة التي اتخذها منذ «سعيد الجديد»، بعدم الانخراط في السياسة، حتى لا يكون الدين مطية للسياسة، مؤكداً لطلابه ضرورة الحفاظ على هذا النهج، والتمسك بأسباب النجاح؛ من صدق وإخلاص تام، وتعاون واتحاد، وعدم اختلاف، والعمل على محاربة الفرقة التي هي مع الفقر والجهل، أهم أعداء الإنسان والمجتمع، والتي لا يتأتى إصلاح مجتمع دون محاربتها.

هـ- الشهود الأواخر :

هم أولئك الأشخاص الذين شاهدوا الإمام النورسي، والتقوا به، وأدلوأ بشهادتهم ومشاهداتهم التي عاينوها بأنفسهم من خلال التعامل معه في جوانب متعددة، في فترات زمنية مختلفة، ومن أماكن مختلفة. ولقد جمعت هذه الشهادات والملاحظات التي تستند في مصادرها الإنسانية على الوثائق الحية المنتشرة على عموم سطح «تركيا»، من الذين لا يزالون على قيد الحياة في كتاب من أربعة مجلدات، وقام بتجميع هذه الشهادات، وتبويبها، الكاتب التركي «نجم الدين شاهينر»، وترجم هذه الشهادات والملاحظات إلى العربية «مأمون رشيد عاكف»، وقد نشر عام (٢٠١٢م).

وهناك ملاحظة هامة ينبغي الالتفات إليها، وهي عدم الاكتفاء بإفادات الشهود، وإنما البحث المفصل - من جهة محرر الكتاب - في كل ما نشر في وسائل الإعلام والصحف، وما في رسائل النور من نصوص تتعلق بهذه الشهادات، والبحث عن حقيقة بعضها في زحمة المدن تارة، وفي القرى والأرياف، وفي رفوف المكتبات المتربة؛ للسؤال والاستفسار والسع.

إن كتاب «الشهود الأواخر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي» يتضمن شهادات ثلاثمائة وبضعة وخمسين شاهداً، وقد قمنا بتقسيمهم من خلال رؤيتنا الخاصة إلى عشر مجموعات، كالآتي :

١- الشهود الأواخر من طلاب الإمام النورسي: وهم مائة وواحد وستون شاهداً، منهم عشر طالبات، بينهن «فطنت كونكر» أول امرأة تساق إلى محاكمات رسائل النور.

والسمة المميزة لكل شاهد من هؤلاء، أنه هين سهل موطأ الأكناف، مصبوغ بتواضع العزة التي تستعصي على أي معنى من معاني الإذلال والخنوع، وظهر في حديث جلهم أنهم استمدوا ذلك عملياً من أستاذهم «الإمام النورسي»، الذي لم يكن له مأوى على ظهر الأرض سوى المنافي والسجون، وبالرغم من أهوال العذاب الذي لاقاه، إلا أن قلبه المفعم بالرحمة والإشفاق، كان يمنعه من رفع يديه بالدعاء على جلاديه.

٢- الشهود الأواخر من المحيين والمتعاطفين: وهم عشرون شاهداً، بينهم امرأة واحدة، وقد أجمعوا في شهاداتهم على أن عظمة روح «الإمام النورسي»، وقوة إرادته، انبعثت شعاعاتها النورانية في قلوبهم، وجذبتهم إلى حقائق الإيمان.

٣- عموم الناس: هناك أربعة وستون شاهداً من الجمهور العام، التقى بعضهم بالإمام مرة أو مرتين، وبعضهم شاهده ولم يحدثه، وآخرون التقوا به في المساجد، أو أثناء تنقلاته بين المنافي المختلفة، والبعض الآخر جاوروه في سكناه الذي كان ينزل به في كل منفى.

٤- أصدقاء الإمام النورسي: تسعة عشر صديقاً؛ ما بين صديق حرب في الحرب العالمية الأولى، أو صديق دفاع في حرب التحرير، أو صديق أسر في روسيا، أو صديق قديم في الدراسة. واللافت للنظر؛ أنه مع اختلاف زمان الصداقة، ومكانها، وظرفها،

والمستوى العلمي والاجتماعي لأصحابها، إلا أنهم أشاروا إلى ما يتمتع به الإمام النورسي، من شجاعة وشهامة وجرأة ورحمة.

٥- العلماء والأئمة من غير طلاب النور: أفاد ثلاثة وعشرون عالماً، منهم عشرون داخل تركيا، وعالمان مصريان، وعالم شامي، بشهاداتهم عن الإمام «النورسي»، وكان مركز الالتقاء بين جميعهم هو الإقرار بسعة علم الإمام - رحمه الله - وحدة ذكائه، واستشرافه للمستقبل.

٦- صحفيون وناشرون: أدلى أحد عشر ناشراً وإعلامياً وصحفيًا ومفكراً بشهاداتهم عن الإمام «النورسي»، ودارت هذه الشهادات حول ثلاثة محاور: الفريق الأول: التقت آراؤهم في كون الإمام النورسي، هو الرجل الوحيد الذي لم يصبه الهدم في عهود التغيير والانهدام، بل ظل منتصباً صامداً، والفريق الثاني: رأى في الإمام النورسي نموذجاً للعالم الذي يعيش دعوته التي يدعو الناس إليها، بينما رأى الفريق الثالث الإمام النورسي شخصية متميزة ومؤثرة، بما حققه من نتائج مبهرة مع قلة الإمكانات.

٧- الأساتذة الجامعيون: خمسة أساتذة، أحدهم أدهشه موسوعية الإمام النورسي العلمية، والثاني أعجبه شموخه ووضوح هدفه، والثلاثة الآخرون أقرّوا بدوره في حفظ شخصية تركيا المسلمة.

٨- المحامون: خمسة من المحامين الذين تولوا الدفاع عن الإمام النورسي في محاكم مختلفة.

٩- جنائيون سابقون: هناك خمسة جنائيين سابقين التقوا بالإمام النورسي في السجن؛ منهم اثنان كان قد حكم عليهم بالإعدام، ثم خفف الحكم. اتفق الخمسة على عظمة الإمام النورسي ورجولته، وروعة طلابه بأخلاقهم العالية، وأنهم سر نجاتهم من الشقاء والتعاسة.

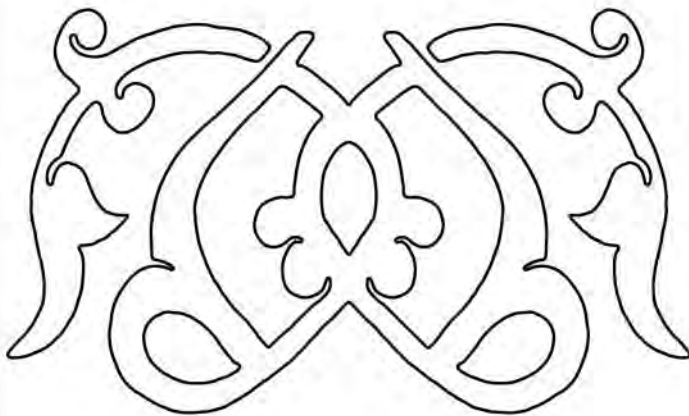
١٠ - أصحاب سلطة ونواب سابقون: تم تتبع واحد وأربعين شاهدا كانوا في السلطة في فترات زمنية متنوعة، ومن بين هؤلاء «حسناء شسر» أول خريجة جامعية تركية، وأول قانونية، وأول سيدة قاضية، وصاحبة استصدار أول قرار بحكم البراءة في تاريخ خدمة رسائل النور في محكمة «دينزلي» عام (١٩٤٣) مع السيد «علي رضا». هؤلاء الشهود، ذهب الحكام ومدراء الشرطة ورجال البوليس والسجانون، في شهاداتهم إلى شبه اتفاق على أن الإمام النورسي وطلابه أشخاص ربانيون، لا يمكن أن يكونوا بأي حال من الأحوال في موقع الخصم مع الدولة، ولا أن يحملوا أفكارا هدامة.

- بينما ذهب معظم النواب السابقين إلى كون الإمام النورسي صاحب دعوة مخلصه لخير العالم الإنساني، ولتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع التركي. في حين يندم الذين أصرّوا على إيذاء الإمام النورسي، ندماً مريراً، ويسألون الله أن يغفر لهم.



الباب الأول

من مقومات الدعوة



الباب الأول

من مقومات الدعوة

إن الدعوة إلى الله عز وجل، والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، دعوة الإسلام، دعوة التوحيد، دعوة إنقاذ الإيمان، كانت وما زالت وستظل عمل الدعاة إلى الله. الذي يملأ عليهم آفاقهم، وهذه الدعوة على درجة من الاتساع والعمق، بحيث لا يستوعبها إلا كتاب الله، القرآن الكريم، الذي جعله سبحانه وتعالى تبياناً لكل شيء، وهادياً للتي هي أقوم، وفرقاً بين الحق والباطل، ورحمة وشفاء للمؤمنين، ونوراً ورحمة للمتقين.

ومن هنا كانت دعوة النور، المتحركة برسائل النور، التي هي فيض قرآني يناسب العصر، مدرسة رائدة في الدعوة، لها ماهيتها التي تميزها، ومصادرها التي تستند عليها.

الفصل الأول: ماهية الدعوة ومصادرها.

الفصل الثاني: الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها.

الفصل الثالث: أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها.

الفصل الرابع: من قواعد الدعوة النورية وأصولها.

الفصل الأول

ماهية الدعوة ومصادرها

إن دعوة النور، مدرسة من مدارس الدعوة إلى الله، تبتغي إنقاذ الإيمان كمنطق أولي، ثم الارتقاء بهذا الإيمان إلى أن يصبح إيمانا تحقيقيا راسخا في النفوس؛ يصحب المؤمن في أحيانه كلها، ويصبغ النفس بصبغة ثابتة في أحوالها المتباينة، فيظل الإنسان منطعبا بهذه الصبغة الإيمانية في صحواته وغفواته، في بيعه وشرائه، في صداقته وخصومته، في فرحه وترحه، وهو بهذا الإيمان التحقيقي يكون مع الله وبالله والله.

المطلب الأول: ماهية الدعوة النورية :

نقصد بالدعوة النورية: ذلك النموذج الدعوي الذي أسسه الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي» في الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، على قواعد وأصول أثبتها في مؤلفاته التي تتمثل في «كليات رسائل النور»، التي تستمد نورها من نور القرآن الكريم، ونور سنة رسول الله ﷺ.

ومن هنا؛ فإن نهج دعوة النور الذي خطته رسائل النور، جامع لميادين العقيدة والتزكية والفقه، والتربية الشاملة التي تغطي كل جوانب حياة الإنسان؛ الروحية، والعقلية، والنفسية والاجتماعية، والبدنية، والجمالية، والاقتصادية، والسياسية.

ويأتي السؤال الذي قد يطرأ على ذهن القارئ: وما الذي تعالجه الدعوة النورية؟

ولماذا الارتكاز على رسائل النور؟

أولاً: ما الذي تعالجه الدعوة النورية؟

لما كان «أخطر شيء في هذا الزمان، هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، فليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن»^(١) ومواجهة هذه المصائب بالجهاد المعنوي بالقرآن، والعمل على إنقاذ إيمان الناس.

ومن هنا؛ فإن الدعوة النورية تعالج كل جزئية من جزئيات الانحراف في المجتمع الإسلامي والإنساني على السواء، كي تعود إلى الفطرة والتوازن، والعبودية الخالصة لرب العالمين، وأقصر الطرق لتحقيق ذلك هو الجهاد بالقرآن الكريم؛ لأن «طريق المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه، وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان»^(٢).

لقد ركزت الدعوة النورية على وحدة المجتمع، والحفاظ على نظامه الداخلي، وأن الجهاد داخل العالم الإسلامي، جهاد معنوي بالقرآن، جهاد دعوة وعلم، وبذل ونصيحة، حسب قانون التدرج الكوني، مدركة تمام الإدراك، أن «من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية، ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون أعماله لأجل التخريب والشر»^(٣). وأن الإنسان الذي أصبح في حكم «خليفة الأرض، ونتيجة الكون، وسلطان الأحياء، أمامه أجلٌ خيرة لتنوع النوع البشري، وأهم نابض محرك له، ألا وهو التسابق لإحراز الفضيلة المتسمة بالإيمان الحقيقي»^(٤).

ثانياً: لماذا رسائل النور؟

وأما عن كون «رسائل النور» مثلة لنهج الدعوة النورية، فيوضح أحد الشهود الأواخر ذلك، قائلاً: «لأن رسائل النور هي من المعجزات القرآنية، وسلاح ضد أعداء

(١) النورسي: الملاحق، ص ٣٤٤.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ١٢٢.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور - اللامعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط ٤: ٢٠٠٤، ص ٢٥٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥٨.

الدين والحركات الإلحادية، تقوم بإصلاح النفوس والأرواح المتحطمة تحت تأثير الحركات الإلحادية، وبروح معنوية، ودعم إيماني كبير وإسناد عظيم. وإن رسائل النور سلاح ماضٍ في هذا العصر، تحاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهرة طرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية في الفيض والإلهام القرآني الذي يتوجه مباشرة لتقديم مفاهيم القرآن الحكيم، بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة»^(١).

ويضيف شاهد آخر، بقوله: «ولأن رسائل النور، مدرسة نورية للقرآن الكريم حسب مفاهيم هذا العصر، فإن جميع ذوي النيات الحسنة، والجيل القادم، لن يغمضوا أعينهم أمام هذه الحقيقة، ولن يقفوا بعيدا عنها، وحتما سيتخلص العالم المسيحي من الخرافات، ويتجهون نحو الدين الحق، إن شاء الله. هذا النور الذي يشتد لمعانه ويزيد بريقه، كلما نفخوا فيه مستهدين إطفاءه، إنه نور القرآن والإيمان، ونور فخر الكائنات محمد ﷺ، وسيدوم ويتشر إلى الأبد، وينير ظلمة البشرية أجمع، ويخرجهم إلى الضياء، إنه النور الإلهي الأزلي والأبدي»^(٢).

وربما يستفسر قارئ: وما الذي تعلمه رسائل النور؟ ونحيل قارئنا العزيز إلى شهادة طالب من طلاب النور، عندما كان يدافع عن رسائل النور أمام المحكمة قائلا: «إن رسائل النور قد علمتني وظائفي الدينية والإيمانية، وعلمتني أن الإسلام أسمى وأقدس دين، وأنه السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وعلمتني أن القرآن هو الأمر الإلهي النازل من رب العالمين سبحانه وتعالى، الحاضر الناظر في كل مكان، وأن الوجود بأجمعه، بدءاً بالذرات وانتهاء بالمجرات والنجوم هو تحت قدرته، وتحت إرادته وإدارته الأزلية، وعلمتني أن القرآن معجزة إلهية، يحيط نظره بكل الحوادث منذ الأزل إلى الأبد، وأنه أسمى من جميع الكتب، وكتاب معجز من أربعين وجهاً، وكلام أزلي يبشر

(١) نجم الدين شاهين: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٣٥.

(٢) نجم الدين شاهين: الشهود الأواخر، المجلد ٤، ص ١٠.

البشرية جمعاء بالسعادة الأبدية؛ فيجعل المشتاقين إليه يشعرون بعظمة المنّة عليهم. وعلمتني أن الرسول ﷺ، قدم للناس جميعاً، بنور الإسلام، أكبر بشرى وأقدس سلوان، وأنه أدار بسلطنته المعنوية خمس أنواع البشر منذ أربعة عشر قرناً، ويكتب في دفتر حسناته - ﷺ - جميع ما كسبته أمته من حسنات منذ ألف وأربعمائة ونيف من السنين، وأنه سبب خلق الكائنات، وأنه حبيب الله، وعلمتني أن الآخرة والجنة وجهنم حق وحقيقة، وذلك ببراهين وحجج مستقاة من القرآن المعجز^(١).

المطلب الثاني: من مصادر الدعوة النورية :

إن الدعوة إلى الله والتبليغ عنه تبارك وتعالى، تحتاج إلى علم واسع، وكفاءة متميزة، تعين على الإرشاد والتبليغ، وتحقيق التأثير المطلوب في الواقع، وتعين على معرفة النفس الإنسانية وأحوالها، كما تساعد على الاستفادة من الظروف والأحوال. لذا فإن مصادر الدعوة النورية تتعدد، ومن أهمها المصادر التالية:

أولاً: القرآن الكريم :

إن كتاب الله العزيز، القرآن الكريم، هو الذي يوسع الفكر، ويعمق الشعور، وينير البصيرة، ويأخذ بالعقول، وهو المصدر الغني بلا حدود؛ لأنه كتاب فوق الزمان وفوق المكان؛ يفسر حقيقة الإنسان والوجود والكائنات، فيمحصّ حقيقة الإنسان تمحيصاً بالغ الدقة، ويقوم الأشياء والحوادث تقويماً بالغ الحساسية ودقيق التوازن، وإذا توخينا أسلوب الإمام النورسي وتعبيره، فالقرآن: «هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألستها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض. وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة في سطور الحادثات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية، والالتفاتات الأبدية

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور - الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط ٤: ٢٠٠٤، ص ٥٩٩.

الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وترجمان ساطع، لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونيه. وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالضيء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر. وهو المرشد الهادي إلى ما خُلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة، كذلك كتاب حكمة. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر، كذلك هو كتاب فكر. وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتباً كثيرة، في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين، رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب، وتنويره لمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة رسائل»^(١).

ثانياً: السنة النبوية :

السنة النبوية حياة؛ من أخذ بنصيب منها أخذ بحظه من الحياة، والسنة ارتفاع وسمو؛ من تعلق بشيء منها رفعته وسمت به، والسنة تقدم وارتقاء؛ من احترم ناموسها وجرب دساتيرها تقدم وارتقى، والسنة طهر ونقاء؛ من استظل بغمامها وتعرض لأندائها، طهر قلبه، وتنقى فكره.

والإمام النورسي يدرك أهمية السنة النبوية، وأصالة مصدرها، ومدى ما يفيد منها المؤمن في حياته، وبخاصة الدعاة إلى الله، ولا سيما عندما تضطرب الموازين إلا ميزان السنة، ويشيع في المجتمع الفساد، وتكثر البدع، فلا خلاص للمسلم ولا نجاة له إلا باللجوء إلى السنة، وبلسان الإمام النورسي، فإن «اتباع السنة المطهرة

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور - المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط ٤: ٢٠٠٤، ص ٢٦٧.

هو حتماً ذو قيمة عالية، ولا سيما اتباعها عند فساد الأمة؛ إذ تشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة، وإيمان عميق راسخ؛ ذلك لأن الاتباع المباشرة للسنّة المطهرة، يذكر بالرسول الأعظم ﷺ. فهذا التذكر الناشئ من ذلك الاتباع يتقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعي فيها السنّة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية، كأداب الأكل والشرب والنوم وغيرها، إلى عمل شرعي وعبادة مثاب عليها؛ لأن الإنسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد اتباع الرسول ﷺ، فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة، ويتذكر أنه ﷺ؛ صاحب الشريعة، ومن ثمّ يتوجه قلبه إلى الشارع الحقيقي، وهو الله سبحانه وتعالى، فيغنى سكينته واطمئنانه ونوعاً من العبادة.

وهكذا، وفي ضوء ما تقدم، فإن من يجعل اتباع السنّة عادته، فقد حوّل عاداته إلى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمراً ومثاباً عليه^(١).

ثالثاً: سيرة السلف الصالح والتابعين :

ففي سيرة أصحاب النبي ﷺ سوابق مهمة في أمور الدعوة إلى الله، يستفيد منها الداعي؛ لأن الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، كانوا أعلم من غيرهم بمراد الله في الدعوة إليه سبحانه. فهم بصحبته للرسول الأكرم ﷺ، تلاذذوا به الأقربون، الذين لازموا زماناً ومكاناً، وصحبوه في سراء الحياة وضرائها، وأخذوا عنه، وتلقوا منه مباشرة، واستمعوا له شفاهاً، ورأوا عدله إذا قضى، ورحمته إذا ساس الناس، وكرمه إذا أعطى، وأمانته إذا أؤتمن، ولمسوا من قريب إخلاصه في توحيده، وحبّه في عبوديته، وإيثاره رضا الله عن كل رضا، ومحبة الله على كل محبة؛ لذا فهم رجال الإيمان حقاً، وأبطال الإسلام صدقاً، الحاملون لهوم أمة، والمثقلون بتبعات دين ورسالة ودعوة.

(١) النورسي: اللمعات، ص ٨٠، ٨١.

رابعا: مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية:

إن الحياة الاجتماعية معمل واسع التجارب، «والتجربة معلم جيد للإنسان، وبخاصة لمن يعمل مع الناس ويتعامل معهم، وللداعية إلى الله تجارب كثيرة في مجال الدعوة، هي حصيلة عمله المباشر مع الناس، ومباشرته الفعلية للدعوة في ضوء ما استوعبه من المصادر السابقة (القرآن، السنة، سيرة السلف، المصلحة، التصوف)؛ لأن التطبيق قد يظهر له وجه الخطأ فيتجنبه في المستقبل، وقد يكون الثمن غاليا، ولكن ما يتعلمه من التجارب أعلى من الثمن المدفوع إذا انتفع من التجارب حقاً. كما أن الداعي يستفيد من تجارب الآخرين في مجال الوسائل والأساليب؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها من أي وعاء خرج»^(١).

ولنسمع شهادة الإمام النورسي حول تعلمه من هذا المصدر؛ حيث يقول: «لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمت في هذا الزمان والمكان، أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، في الوقت الذي طار فيه الأجانب، وخاصة الأوربيين، نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي: أولاً: حياة اليأس الذي يجد فيها أسبابه وبواعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حب العداوة.

رابعا: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية والمتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبين ما اقتبسته من فيض صيدلية

القرآن الحكيم، الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية، إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها»^(٢).

(١) أصول الدعوة، ص ٤١٤.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩١ - ٤٩٢.

الفصل الثاني

الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها

من البدهيات الواضحة في عقل كل مسلم، أن غاية بعثة النبي ﷺ هي التبليغ والدعوة إلى الله؛ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨)، وأن النبي ﷺ، خاتم النبيين والمرسلين لم يخرج في ذلك عن وظيفة إخوانه من الأنبياء والمرسلين السابقين؛ فهم كلّفوا بنفس المهمة؛ ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٣٥)، وأنهم - عليهم السلام - بعثوا القومهم خاصة، بينما رسالة النبي محمد ﷺ، عامة وباقية إلى قيام الساعة؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨).

وما روح البلاغ والدعوة إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف الذي أمرنا بالدعوة إليه يتمثل في الإيمان بالله رباً واحداً، وإلها لا إله غيره، والكفر بالطاغوت بكل أنواعه ومظاهره، والإقبال على الله وعدم الركون إلى الدنيا؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وعلى هذا الدرب سلكت الدعوة النورية طريقها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، والدعوة إلى الخير، لها طابعها المميز، ومعالمها الواضحة، التي نلقي الضوء على أوضاعها ظهوراً في مسيرتها الدعوية.

المطلب الأول: التركيز على الأصل وعدم تبديد الجهد في الجزئيات:

ما خلقنا الله عز وجل إلا لنُعرفه ونُعرفه؛ فالعيش بمقتضى القصد الإلهي هو سر خلقتنا، الذي يعمر دنيانا كما يعمر آخرتنا، وبخلافه نعاقب بصفعة تأديب من أجل هذا المقصد الإلهي، الذي هو ضمان حياتنا الدنيوية والأخروية؛ نعاقب كأمة، ونعاقب كمجتمع، وندفع إلى شباك الفتن والفساد، والعياذ بالله؛ أي يتعرض المجتمع إلى البلايا والمصائب عندما لا يؤدي هذه الوظيفة الجليلة، مهمة البلاغ والدعوة.

لذا؛ فإن الدعوة النورية أكدت في دعوتها إلى الله، على أولوية إنقاذ الإيمان في النفوس، وقدمت الكثير من العمل لإبراز حقائق الإيمان، كما بذلت جهداً عظيماً في نشر معاني الإيمان بالله رباً قديراً حكيماً، وإلهاً واحداً فرداً صمداً جليلاً، والإيمان بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والإيمان بالبعث بعد الموت بالروح والجسد، والإيمان بضرورة العمل الصالح للنجاة من العذاب في الآخرة؛ لأن الدعوة إلى الإيمان هو الأصل وما عداه جزئيات، فإذا استقام الأصل واستجاب له الناس، سهل إقناعهم بمعاني الإسلام وجزئياته المختلفة.

ومن هذا المنطلق وجه الإمام النورسي طلابه إلى ضرورة التركيز على ذلك، وعدم الالتفات إلى غيره؛ فعندما جاءهم أحدهم ليحدثه عن الطريقة الصوفية، أجابه: «أخي؛ سوف يأتي علينا زمان يكون فيه الإيمان مزعزعاً وتقليدياً؛ فعلينا جميعاً أن نضع الطريقة جانباً، ونباشر من اليوم قبل فوات الأوان بتقوية الحجاج الإيمانية، وترسيخها في القلوب، وعلينا تحقيق هذه الوظيفة القيمة الملقاة على عاتقنا»^(١).

ولقد حافظ الإمام النورسي على هذا الطابع الدعوي المميز، رغم معاناته المريرة التي يصفها وصفاً يتقطر منه الانكسار، فيقول: «لم أذق طول عمري البالغ نيفاً وثمانين سنة شيئاً من لذائذ الدنيا.. قضيت حياتي في ميادين الحرب، وزنانات الأسر، أو سجون الوطن ومحاكم البلاد.. لم يبق صنف من الآلام والمصاعب لم أتجرعه؛ عوملت معاملة المجرمين في المحاكم العسكرية العرفية، ونفيت وغرّبت في أرجاء البلاد كالمشردين، وحرمت من مخالطة الناس شهوراً في زنانات البلاد ووسمت مراراً، وتعرضت لإهانات متنوعة، ومَرّت عليّ أوقات رجحت الموت على الحياة ألف مرة، ولولا أن ديني يمنعي من قتل نفسي، فربما كان سعيد الآن تراباً تحت التراب»^(٢).

فهذه الحالة التي عبر عنها الإمام النورسي هي قدر مكتوب على كل من يقوم بمهمة الدعوة إلى أصل الأصول، إلى حقائق الإيمان، وينهي عن الإلحاد والكفر والطغيان، بإصرار وثبات.

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ١، ص ١٨٢.

(٢) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٥٧.

المطلب الثاني: الجمع بين القلب والعقل :

فالدعوة النورية قائمة على ازدواج الفكر والعاطفة، واجتماع العقيدة وألوان الإحساس الروحاني، حتى تدب الحياة في العقيدة، وتصبح مصدر حركة وقوة دفع للإيمان الحقيقي، وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق لها القلب، ولا يستجيب لها الحس، ولا تتدفق بالحياة، والإمام النورسي يوضح هذا الطابع في الدعوة النورية، مبيناً أن «أساس رسائل النور، وخيرتها، وقاعدتها، وروحها، وحقيقتها، هي تصديق الحقائق الإيمانية؛ حيث الإيمان بالغيب وبفيض من سر الوحي، وبأسلوب برهاني وقرآني بامتزاج العقل والقلب، بعلم اليقين الذي يصل إلى درجة الضرورة والبدهة في قوة حق اليقين»^(١). فهي دعوة فكر وعاطفة تتجلى فيما يلي :

أولاً: التفكير الإيماني :

ذلك التفكير الذي يصبح به المرء إنساناً حقاً، ويصير به المسلم متعبداً حقاً، ويغدو به المؤمن لائقاً للأمانة الكبرى، وخليفة أميناً على الأرض، وتعبير الإمام النورسي: «اعلم أن التفكير نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة، لكن إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل وفصله تفصيلاً.. وإذا تفكرت في الآفاق فأجمل وأسرع، ولا تخض إلا لحاجة إيضاح القاعدة»^(٢).

إن هذا التفكير يفتح به الداعي إلى الله آفاقاً واسعة أمام نظره وقلبه، فيشاهد ويراقب بفؤاده ولطائفه كافة الكائنات بكل عظمتها، ابتداء من الذرات إلى السيارات، ويرى بكل وجد في تلك العوالم تجليات أسماء الله تعالى وصفاته الجليلة، بألف تجل وتجل، وبهذا يرى ويحس بعلم اليقين وعين اليقين، بل بحق اليقين، أنه في مسجد لا ينتهي له، يدخله ما لا تستوعبه الأرقام من الجماعات»^(٣).

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور - المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص ٢٥٦.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور - الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص ٥٥٨.

(٣) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣١

ومن أجل أن يحفز الإمام النورسي التفكير الإيماني في أذهان طلابه كان يتقدمهم ليوقفهم على الكونيات وجها لوجه من دون واسطة الكلمات؛ فإثارة حماس العقل عند الطالب النوري، في تفكره بالأشياء، وفي استكناه أسرارها وخفاياها، من مستلزمات تكوين العقل العلمي الاستكشافي، وهي في الوقت نفسه من مهمات السلوك الدعوي التربوي العملي عند الإمام النورسي، يقول أحد الشهود الأواخر: «كان الأستاذ يرتقي التلال التي تشرف على مدينة «إسبارطة» ليشاهد من فوقها مناظر الفطرة، ومشاهد الطبيعة، وكانت الطريق مكسوة بأشجار الفواكه، وبخاصة «العنب» فيمسك الأستاذ بالعنقود منها، دون أن يقطعه، ويعد حباته مبينا لنا ما فيه من بدائع الصنعة الإلهية، والإتقان الرباني، فيقول: انظروا في حلويات القدرة الإلهية هذه. وهكذا كنا نتلقى دروسا إيمانية في التدبر وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح أمامنا»^(١).

ثانيا: العقلية الموضوعية :

لقد أدرك الإمام النورسي من فترة مبكرة الحاجة الماسة إلى عقل موضوعي «يتصور الأمس واليوم معا، وقادر على التمعن في الكائنات والإنسان والحياة دفعة واحدة، موهوب في المقايسة والمقارنة، منفتح على بُعد أسباب الوجود وعلله، محيط بظهور الأمم والجماعات واضمحلالها، حكم فيما يغلط فيه علم الاجتماع وعلم النفس أو يصيب، رقيب على تحوّل أحوال الحضارات بالولادة والموت والتقهقر، مقتدر في التمييز بين الغاية والوسيلة، مالك لسلامة الوجدان واستقامة الفكر، محترم للمقصد، خبير بحكمة التشريع ومراد صاحب الشريعة، عالم بالأسس المحضة لأحكام الدين، مستقبل للواردات الإلهية».

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٤، ص ٣٢١.

ولقد تجلت مظاهر العقلية الموضوعية النورية في مواقف عديدة للإمام النورسي؛ فالشيخ «بخيت المطيعي» - مفتي الديار المصرية - يسأله عام (١٩٠٨ م): «ماذا تقول في حق هذه الحرية العثمانية والمدنية الأوروبية؟ فأجابه الإمام النورسي: إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوروبية، وستلدها يوماً ما، وإن أوروبا حاملة بالإسلام، وستلده يوماً ما. فقال الشيخ «بخيت»: وأنا أصدق ما تقوله»^(١).

ثالثاً: تزكية النفس والارتقاء الروحي :

إن الدعوة النورية ليست دعوة عاطفية منخفضة، تستغل العاطفة فحسب، وإنما تستوحي عواطفها من مفاهيمها الإيمانية عن الحياة والكون والإنسان؛ لذلك أولى الإمام النورسي القلب عناية خاصة، واهتم بتزكية النفس الأمانة بالسوء، والسمو بها في مدارج التربية، إلى مرتبة النفس الراضية والنفس المطمئنة، مستخدماً العديد من فنون النصيح والتربية والإرشاد قاصداً؛ «الحفاظ الدائم على طهارة القلب حيال دوافع الشيطان والنفس، وردع النفس عن ميولها الخاصة وتضييق مجالها بقدر المستطاع، ومواصلة السير في طرق الارتقاء نحو الإنسانية الحقيقية بالكد الدائم للبقاء في مستوى الحياة القلبية والروحية. وتكريس الحياة على تحقيق السعادة المادية والمعنوية للآخرين، مع منتهى الجدية في المناسبات مع الحق تعالى. واتباع نهج النبوة في عدم انتظار الأجر حتى في أصدق الجهود وأخلصها، وفي أعظم الأعمال وأشدها. والعزم على المسير أبداً في ظلال المشكاة المحمدية ﷺ، في مساعي العبودية للحق تعالى. وإشهار عبودية صافية خالصة لا غرض فيها ولا عوض، بالتقيد الشديد في المناسبات مع الله تعالى؛ بإدراك نوعية المناسبة بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود. والقيام بمنتهى التحمل والصبر الدؤوب حيال المعاصي، وأداء العبادات والطاعات في لذة ونشوة، كأنها الغاية والهدف من الحياة. واستقبال البلايا والمصائب بالابتسام، مع انشراح الصدر لقهره ولطفه تعالى في نفس المستوى. وربط كل أنواع السعي

والهمة باستحسان الحق تعالى، وليس بتقويمات البشر. والصبر على تباطؤ الزمن صبر الدجاجة الخضون». ويحدثنا - رحمه الله - عن جانب من ذلك، قائلا: «قال لي أحد الأتقياء في قسطنطيني شاكيا: لقد ترديت وتقهقرت عن حالي السابق؛ إذ فقدت ما كنت عليه من أحوال وأذواق وأنوار. فقلت له: بل ترقيت، واستعليت على الأذواق والكشوف التي تلاطف النفس وتذيقها ثمراتها الأخروية في الدنيا، وتعطيها الشعور بالأنانية والغرور.. وقد طرت إلى مقام أعلى وأسمى وذلك بنكران الذات وترك الأنانية والغرور، وبعدم التحري عن الأذواق الفانية.. نعم إن من الإحسان الإلهي للعبد أن ينسبه إحسانه بفنائنه عن نفسه التي لا حول لها ولا قوة ولا وجود إلا بالمحسن»^(١).

وفي مضمار التمسك بأصالة هذا المصدر، نجد عصارة كلام السعداء الذين اتبعوا المرسلين والأنبياء، وساروا على نهجهم، وتعهدوا الدعوة إلى الله على عاتقهم، نجده في قول الإمام النورسي: «لقد افتديت نفسي ودنياي في سبيل إيمان المجتمع وسعادته وسلامته، لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة، ولا رهب من جهنم، فليكن «سعيد» بل ألف سعيد قربانا، ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي، بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض، فلا أرغب حتى في الجنة؛ إذ ستكون هي أيضا سجنائي، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام، فإنني أَرْضَى أن أحرق في لهيب جهنم؛ إذ بينما يحترق جسدي، يرفل قلبي في سعادة وسرور»^(٢).

ولنتأمل أثر هذه التزكية، وصدى هذا الارتقاء الروحي، وفيض محبة الله وخشيته، في مناجاة للإمام النورسي لله رب العالمين يقول فيها: «يا إلهي الرحيم،

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٣٧٤ بتصرف يسير.

(٢) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٥٧.

يا إلهي الكريم، قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراتها في يدي إلا آثام مؤلمة مذلّة، وآلام مضرّة مضلّة، ووساوس مزعجة معجزة.. وأنا بهذا الحمل الثقيل والقلب العليل والوجه الخجل، أذنو إلى باب قبري؛ بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد ومفارقا هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفة الراحلة، والغدرة المكارّة، لاسيما لمثلي ذوي النفوس الأمانة.

فيا ربي الرحيم، ويا ربي الكريم؛ أراني عن قريب وقد لبست أكفاني وركبت تابوتي، وودعت أحبابي، وتوجهت إلى باب قبري، فأنادي وأنا على باب رحمتك: الأمان الأمان، يا حنان يا منان، نجّني من خجل العصيان.

آه.. أنا ملثف بكفني وساكن في قبري، وقد تركني المشيعون وأنا منتظر عفوك ورحمتك، مشاهد بأن لا ملجأ ولا منجى إلا إليك، وأنادي: الأمان الأمان من ضيق المكان، ووحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام، يا رحمن يا حنان يا ديان، نجّني من قيود الذنوب والعصيان.

إلهي؛ رحمتك ملجئي ووسيلتي، وإليك أرفع بثي وحزني وشكايتي.. يا خالقي الكريم، ويا ربي الرحيم، ويا سيدي ومولاي؛ مخلوقك ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز، الغافل الجاهل العليل الذليل، المسيء المسن الشقي الآبق، قد عاد بعد أربعين عاما إلى بابك، ملتجئاً إلى رحمتك، معترفا بالذنوب والخطيئات، مبتلي بالأسقام والأوهام، متضرعا إليك، فإن تقبل وتغفر وترحم، فأنت لذلك أهل وأنت أرحم الراحمين، وإلا فأني باب يقصد غير بابك، وأنت الرب المقصود والحق المعبود، ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك.

آخر كلامي في الدنيا، وأول كلامي في الآخرة وفي القبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ^(١).

المطلب الثالث: الحضور الأخروي :

إن الحضور الأخروي يعد من أهم معالم الدعوة النورية، وأبرز سماتها، وقد تجلّى هذا الحضور الأخروي في تناول الإمام النورسي بالشرح الواسع، أساليب الدعوة إلى الإيمان بالبعث والحشر والحساب، تناولا نبعده في رسائل النور.

فها هو - رحمه الله - يبين سبب غياب الآخرة في حياة الإنسان، قائلا: « إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثر عليه من متطلبات الحياة وضيق عليه مواردها، وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورة بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل هذه الأمور حجاباً دون الحياة الدنية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له... »^(١)

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبَّع القرآن الكريم آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلا ويجد فيها ما يذكره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية ، فيغدو «الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها.. و بمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها.. و بمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة»^(٢).

فضلا عن أنه - رحمه الله - بين في الرسائل كون الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن؛ فترسل إليها أعمال الإنسان وأقواله في كل آن، بدلالة الآية

(١) النورسي: الملاحق، ص ١٤٥.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ١٥.

الكريمة: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).. وهذا الحضور الأخروي أرشد وأوضح كقوله: «إن الإيمان بالله واليوم الآخر أثمن مفتاحين يحلان لروح البشر طلسم الكون ولغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء. وإن توكل الإنسان على خالقه صابرا، والرجاء من رزاقه شاكرا، أنفع علاجين ناجعين. وإن الإنصات إلى القرآن الكريم، والانقياد لحكمه، وأداء الصلوات، وترك الكبائر، أغلى زاد للآخرة، وأسطع نور للقبر، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود»^(١).

ولقد قوى هذا الحضور الأخروي عزم الإمام النورسي، وشد من أزره، وهو يجاهد من أجل نشر دعوة النور، متحملا مصائب السجن وألوان الأذى التي نزلت به وبطلابه، وبالرسائل نفسها، معلنا - رحمه الله - : «أتحمل كل هذا الحزن والأسى بذلك الإيمان بالآخرة، رغم أنني ما كنت أتحمل أية إهانة وتحكم من أي أحد مهما كان. إن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسليية، وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم»^(٢).

ويرسل الإمام النورسي البشري للبيت الأسري، مشيرا إلى انعكاس الحضور الأخروي على هذا البيت النوري؛ «فينور أرجاء مباشرة ويستضيء؛ لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين»^(٣).

وهكذا؛ فإن اهتمام رسائل النور بالحضور الأخروي، يبرز ما في هذا الحضور من طاقة دعوية عظيمة تحيي الإيمان في النفوس، وتثقلها من وهدة الضعف والهوان، إلى قمة القوة الإيمانية السامقة، وذلك بما تتضمنه من مشاهد ومقامات تثير عواطف

(١) النورسي: الكلمات، ص ٢٦.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٢٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٣.

الخوف والرءاء، وترقق المشاعر، وتدعو كل من أخطأ الطريق، أو غفل عن الميثاق الإياني، أو تناسى سر وجوده، تدعوه إلى الأوبة إلى رحاب الرحمن الرحيم.

فالذين يداومون على قراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي، بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط ليس غير.

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة له بالدنيا إلا بقدر ما ييسر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، وهذا ما يشهد له قول أحد طلاب النور «إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الآخروية الدائمة، وتستهدف نيل رضا الله الباقي الأزلي، الرحيم ذي الجلال، فما دام مثل هذا الهدف السامي موجودا، فإنني أبرئ رسائل النور، وأنزهها ألف مرة من الوقوع في أمور سفلية محرمة»^(١).

المطلب الرابع: التغيير التدريجي والجهاد المعنوي :

فإن من أهم معالم الدعوة النورية، أخذها في الاعتبار الزمن والعصر الذي تعيش فيه، واعتمادها سنة التدرج، واستخدامها الوسائل السلمية، مدركة أن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية، ويؤسس حركة دعوية راشدة، لن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون.

وعلى هذا الأساس، فإن الدعوة النورية توضح القانون الأساسي للقرآن العظيم؛ أي المبادئ الأساسية الواضحة التي إذا تم تطبيقها في مجتمع، فسوف تعالج ما يعترى المجتمع من أمراض اجتماعية واقتصادية وسياسية، وكذلك المشاكل التي تنشأ من محاكاة الغرب وتطبيق مبادئ الفلسفة المادية. وهذه المبادئ تبين طابع المنهج الدعوي النوري؛ فهي مبادئ يمكن لأي فرد أن يتبناها ويطبقها في حياته اليومية، كما تعكس اهتمام الإمام النورسي بإحداث تغيير اجتماعي وعمل إصلاح من خلال

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٦٠١.

الجهود الشخصية والتدرج؛ أي من القاع إلى القمة، وبين خطورة الخروج عن مثل هذه المبادئ فيقول: «إن المدنية الحاضرة الغربية لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفة أضرارها على فوائدها؛ فلقد اضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأفلقوا وأسنت سعادتهم الحقيقية، فاختلف ما هو مطلوب من المدنية ومقصود منها؛ حيث قد حلت بسببها نوازع الإسراف والسفاهة محل بوارد الاقتصاد والقناعة، واستمرت ميول الكسل والدعة، وهجرت مراعي السعي والعمل، ولقد ألبست هذه المدنية البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع، وكستها أثواب الكسل والتعاس الرهيب.

واستناداً إلى ما قامت به رسائل النور من إيضاح الدستور الذي يخاطب به القرآن الكريم في نداءه العلوي: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).

فقد أشارت تلك الرسائل مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين إلى أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد. وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام^(١).

إن طابع الدعوة النورية ونهجها هو الجهاد المعنوي ضد الإلحاد الظالم واللا دينية، وإبراز حقائق الإيمان بعمل إيجابي متميز، يضع في الحسبان أن الدنيا دار حكمة؛ بمعنى أننا مضطرون باتباع السنن الإلهية في ترتب الأشياء والأمور وإلا لا نصل إلى النتيجة قطعاً، فالسنن الإلهية هي شريعة الله في الوجود وهي صادرة من صفة الإرادة الإلهية.

«فمثلاً يترتب وجود الخبز على أعمال تتم في المزرعة، والبيدر، والطاحونة، والفرن، فإن ترتب الأشياء كذلك يقترن بحكمة التأني والتدرج، ولكن الحريص

(١) النورسي: الملاحق، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

بسبب حرصه لا يتأني في حركاته ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء. فإما أنه يقفز ويطفر فيسقط، أو يدع إحدى المراتب ناقصة فلا يرتقي لغايته المقصودة^(١).

المطلب الخامس: التمييز بين الدعوة والسياسة :

يجدر بنا أن نفرق أولاً بين مضمون الإسلام الذي نسعى إلى إقناع الناس به، ومن ثم إلى تطبيقه، والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من جميع المبادئ والأحكام التي من شأنها أن تهذب حياة الإنسان في حق نفسه، وأن تهذبها في نطاق التعاون مع أخيه الإنسان، وأن ترعى حقوق الأسرة ونظامها، وأن تبني هيكل المجتمع الإسلامي، وتقيم نظام الحكم فيه، وتنسيق العلاقات الإنسانية الصحيحة بين القادة والرعية، وتقيم فيما بين الطرفين نظام الشورى متكاملًا، مع ضوابط النصوص الآمرة والناهية.

لا بد أن نفرق بين ما أسلفناه، وبين الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة إلى الله، والمعرفون بدين الإسلام، والداعون إلى طريق التوحيد، للوصول بالمجتمع إلى رحاب الإسلام، والاصطباغ بأوامر الله وأحكامه. هذا الطريق الموصل إلى انتشار الإسلام وبسط حكمه وشرائعه، يجب أن يكون صافياً من شوائب التيارات والمنعرجات السياسية^(٢)، لأسباب عديدة ذكرها الإمام النورسي؛ منها:

أولاً: يقرر الإمام النورسي، وهو الذي خاض كلا من تجربتي الانخراط في العمل السياسي، والابتعاد عنها، أن السعي إلى خدمة الإسلام داخل التيارات السياسية، من شأنه أن يضطر صاحب هذا السعي إلى التعاون مع بعض تلك التيارات والركون إليها، بل الاندماج فيها في كثير من الأحيان، وذلك كي يتمكن من التصدي

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٣٥٣.

(٢) للمزيد: محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط ٦: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٥٨ - ١٧٥.

لتيارات أخرى، لا تتفق مع الرسالة التي ينادي بها، بل ربما لا تتفق مع النمط السياسي الذي يلعبه ويمارسه؛ ذلك لأن من المستحيل أن يندمج في العمل السياسي ثم يبقى في الوقت ذاته بعيداً عن تلك التيارات المتصارعة.

وهيهات أن ينسجم الإخلاص لوجه الله وحده في العمل، مع الركون بشكل من أشكال التحالف، إلى أي من الجماعات السياسية المحترفة؛ ذلك لأن هذا الركون يستدعي سكوتا عن كثير من الانحرافات والمحرمات التي قد تصدر عنها، كما يستلزم قدراً كبيراً من المجاملة والمهادنة لها على حساب المصلحة الإسلامية، التي يزعم أنه حارس أمين عليها، وداع مخلص إليها، هذا فضلاً عن أن مصانعة هذه الأحزاب تؤدي إلى مصادقة حقيقية لأفرادها واستئناس بهم. ولا بد أن تتراكم من ذلك آثار مظلمة على القلب تبعث فيه القسوة، وتنسيه ما هو بأمر الحاجة إليه، من غذاء التبتل وزاد الطاعات والقربات إلى الله عز وجل، ولنصغ إلى ما يقوله الإمام النورسي في بيان هذا السبب: «إن أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجارية، هو الإخلاص الذي هو أساس مسلكنا؛ فالإخلاص هو الذي يمنعنا عن ذلك؛ لأن في زمن الغفلة هذا، ولا سيما بالنسبة إلى من يحمل أفكاراً موالية لجهة معينة، فإنه يحاول أن يجعل كل شيء أداة طيعة لمسلكه، بل يجعل حتى دينه وأعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنيوي، بينما الحقائق الإيمانية والخدمة النورية المقدسة تأبى أن تكون وسيلة لأي شيء في الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية إلا رضا الله سبحانه.

وفي الحقيقة إنه من الصعب الحفاظ على سير الإخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية؛ لذا فإن أفضل علاج لهذا، هو الاعتماد على العناية الإلهية، وتفويض الأمر إلى توفيق رب العالمين، بدلاً من الاعتماد على قوة التيارات السياسية»^(١).

(١) النورسي: الملاحق، ص ٢٤٤ - ٢٤٧.

ثم إنه - رحمه الله - يجسد هذه الحقيقة التي أبرزها هنا، بتحليل نظري في تجربة واقعية، حيث يقول: «إن أعظم قوة لرسائل النور تجاه معارضيها الكثيرين، هي الإخلاص؛ فالرسائل مثلما لا تكون أداة لأي شيء في الدنيا، لا تهتم أيضا بالتيارات التي تبني على مشاعر الانحياز والموالة، ولا سيما التيارات السياسية؛ وذلك لأن عرق الانحياز يفسد الإخلاص، ويغير لون الحقيقة. حتى إن السبب في تركي السياسة منذ ثلاثين سنة، هو أن عالما صالحا قد أثنى بحرارة على منافق يحمل فكرا ينسجم مع فكره السياسي، وفي الوقت نفسه انتقد عالما صالحا يحمل أفكارا تخالف أفكاره انتقادا شديدا حتى وصمه بالفسق»^(١).

ثانيا: من المعروف أن الأسلوب السياسي يقوم على التفاوض عن كثير من الأخطاء والانحرافات التي كثيرا ما تتمثل في ظلم الآخرين، أو في إفساد نظام الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، ابتغاء الوصول إلى هدف معين؛ ولا يشترط لشرعية هذا التفاوض في ميزان النهج السياسي، إلا قناعة أصحاب هذا النهج بهدفهم الذي يسعون إليه، وكثيرا ما يكون هذا الهدف معتمدا في شرعيته على مجرد رؤية سياسية، وقد تكون مرحلية، يتبناها حزب ذو فكر سياسي معين.

فإذا اندمج الداعية إلى الله في خضم التيارات السياسية، فلا بد من أن يستسلم لسلطان هذا التفاوض؛ فيغمض العين عن سلسلة إفسادات تتم، بل يبرمج لها، وعن كثير من المظالم تحط على أبرياء آمنين، وذلك انسجاما مع ما تقتضيه ضرورات المخالفة السياسية، لمن قرر الداعي التعاون معهم على هذا النهج، غير أن بدهيات المبادئ الإسلامية الكبرى تتناقض مع هذا النهج تناقضا حادا؛ إذ هو يتناقض بشكل صارخ مع مبدأ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤). وإذا كان النهج السياسي في معالجة الأمور يأخذ سلطانه دائما من الأهواء البشرية، فإن المنهج الإسلامي المستخلص من كتاب الله وسنة رسوله، يأخذ سلطانه من رحمة الله ولطفه بعباده جميعا،

ومن ثمَّ فهو يفضل حماية الأبرياء من الناس، والإبقاء على غراس الإصلاح في المجتمع؛ لأن ترويع الأبرياء، واقتلاع غرس الصلاح، أو غل وأسرع في نشر الفساد والموبقات والفتن في المجتمع، من التجاوز عن جزئيات المفسد والانحرافات، ولقد عبّر الإمام النورسي عن هذا بأدق بيان وأوضحه، عندما أجاب الذين سألوه عن سبب ابتعاده عن استخدام النهج السياسي في الدعوة إلى الله، قائلاً: «إن القانون الأساسي للسياسة البشرية هو: يُضْحَى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، وتفدى الأشخاص حفاظاً على الجماعة؛ فجميع الجرائم البشرية التي ارتكبت إلى الآن، إنما ارتكبت بسوء استعمال هذا القانون.. إن الحريين العالميتين قد نشبتا من سوء استعماله، فأبادتا ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح الإعراض عن هذا القانون، أو سوء استعماله، بأخذ تسعين بريثاً بجريرة عشرة من الجناة، كما سمح بتدمير قصبة كاملة ابتغاء ملاحقة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة.. ولقد وجدت القانون الأساسي للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم، يحذر من هذا الظلم الشنيع قائلاً: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، وقائلاً: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢). فإن هاتين الآيتين تعلمان القاعدة الجلييلة الآتية: لا يؤخذ أحد بجرime شخص آخر، ثم إن البريء لا يضحي به حتى من أجل جميع الناس، دون رضاه، ولكن لو ضحي هو بنفسه بإرادته ورضاه فتلك هي مرتبة الشهادة.. فهذه القاعدة الجلييلة هي التي أقصنتني عن مزج عدالة القرآن بظلم السياسة»^(١).

ويؤكد على هذا لطلابه، توكيدا قويا قائلاً لهم: «إن الداخلين الآن في ساحة السياسة لا يستطيع أحد منهم أن يحافظ على استقلاليتة وإخلاصه؛ لأن تيارا من تياراتها سيجره إليه، ويجعله يعمل لحسابه، ويستغله في مقاصده الدنيوية، مما يؤدي إلى الإخلال بقدسية عمله وخدمته.. ثم إن أشد أنواع الظلم، مع أشد أنواع الاستبداد

قد اصبحا دستورا وقانونا من قوانين الصراع والنزاع المادي في هذا العصر، وهذا يعني أن كثيرا من الأبرياء يذهبون ضحية خطأ فرد واحد، أو يقع هذا الفرد مغلوبا على أمره؛ عندئذ يتوهم من هجر دينه من أجل دنياءه، أو جعل دينه وسيلة لدنياءه، أن حقائق القرآن المقدسة، قد تم استغلالها في ساحة الدعاية السياسية.. على أن أفراد الأمة بجميع طبقاتها، المعارضين منهم والمؤيدين لهم حصة في تلك الحقائق القرآنية، وهم بحاجة إليها.. لذا كان على طلبة النور أن يبقوا محايدين تماما، وكان من الضروري لهم عدم الخوض في السياسة وفي الصراع المادي، وعدم الاشتراك فيه^(١)

ثالثا: إن الشأن في منبر الدعوة إلى الله، أن يطلّ على الناس كلهم بشتى فئاتهم ومشاربهم ومستوياتهم، من مستوى واحد، وأن تتجه إشعاعات الدعوة إليهم جميعا بموضوعية تامة، ودون أي تحيز أو مصانعة لفئات دون أخرى منهم.

وإن الغيرة على الناس، والشفقة عليهم والحب لهم، هو شأن الرسل والأنبياء وسائر الرابانيين من الدعاة من بعدهم؛ فهل يتسنى لمن اقتحم تيارات العمل السياسي، وانجذب بالضرورة إلى بعض المحاور المتصارعة فيها، أن يعطي الناس كلهم من نفسه شعورا متكافئا من الإخلاص والحب لهم جميعا؟؟

ولما كانت الإجابة عن هذا السؤال واضحة، فإن الدعوة النورية أكدت أن مهمة الدعوة إلى الله مهمة إنسانية، تتسامى فوق صعيد المنافسات والصراعات السياسية، حيث تسري هذه الدعوة خلال أشعة الإخلاص للناس، لتتغلغل في سائر الأوساط، ولتسري إلى جميع الأفتدة والعقول.

ومن هذا المستوى الباسق والصافي عن سائر التهم والشوائب استطاع الإمام النورسي أن يوجه نصائحه، بل أن يدلي بتعليقاته إلى سائر رجال الأمة وفصائلها، دون أي تحيز منه إلى أي فئة منهم.

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٤٢٤.

ولقد جسد طلاب النور، هذه الحقيقة بوضوح مرارا وتكرارا، قائلين: «نحن لسنا أرباب السياسة أبدا، ولا نغير أي اهتمام بالمظاهر الفانية؛ لأننا لا ننظر إلى الدنيا إلا من وجهها الخيّر المؤدي إلى رضا الله.. أجل، نحن نحمل صفة معارضة، ولكنها معارضة ضد السقوط الأخلاقي وضد الإلحاد، وهذه المعارضة ناشئة عن اشتراكنا مع القرآن الكريم في شدة توبيخه وصرامة بيانه في هذه المواضيع»^(١).

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٦١٢.

الفصل الثالث

أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها

إن وضوح الغايات والأهداف من الدعوة إلى الله، في أذهان الدعاة، له دور كبير في نجاح الدعوة في مهماتها أو فشلها؛ من حيث تجسيد هذه الأهداف لمرامي الحقائق الإيمانية، واستمداها من واقع الإيمان، ونظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان. ولقد اهتم الإمام النورسي بتحديد الغايات، وتوضيح الأهداف والمقاصد الدعوية، وبناء على هذا القول نتناول أهم الغايات والأهداف التي تسعى الدعوة النورية لتحقيقها، ومنها^(١):

المطلب الأول: إنقاذ الإيمان :

إن الغاية الرئيسية التي سعى الإمام النورسي لتحقيقها، إنقاذ الإيمان وصد الإلحاد؛ فكان رغم الصعاب المتمثلة في المراقبة والملاحقة التي تغادره، يتحين فرص تبليغ هذا الهدف العظيم؛ فكان يتجاذب الحديث مع من وفقوا إلى لقاءه، ويخاطبهم حسب مستواهم الفكري والثقافي؛ فلقد كان الزائرون من طبقات الشعب كافة، فينصب حديثه مجملاً حول أهمية الإيمان في الوقت الحاضر، وكان يصرح بملء فيه بأن الهدف الأساسي لرسائل النور، تقوية الإيمان ضد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن، «وحين سأله الحاكم في إحدى المحاكم: ما هي مهنتك؟ أجابه الأستاذ: مهنتي إنقاذ الإيمان، إن إيمان إخوتي في الدين يشتعل ويلتهب»^(٢).

فهو يعتبر أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته، ورسائل النور تؤكد على هذه الغاية؛ لأن حماية الإيمان وإنقاذه، حماية للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

(١) عمار جيلد: حقيقة مقاصد رسائل النور، القاهرة: دار النيل، ط ٢: (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص ٢٠١-٢١٩.

(٢) نجم الدين شاهين: الشهود الأواخر، مجلد ٣، ص ٣٩٧.

وإن إنقاذ الإيمان الذي عمل الإمام النورسي على تحقيقه، هو مرجع العمل الإيجابي البناء؛ «فالإيمان الفاعل أقوى من صولجان السياسة، وبرنامج مكثف يسع الحياة كلها؛ وإذ لو كانت لنا مائة من الأيدي لما كفت في حمل النور المنبعث من الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان وسيبقى أساس مسلكنا الحاث على الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور: فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمتنا مخلصين نعمل عملاً إيجابياً»^(١).

وبالفعل؛ فإن هذا الإيمان التحقيقي الإيجابي الفاعل، الذي يتحرك به دعاة مخلصون متحابون متساندون، يبتغون رضوان الله والدار الآخرة، ينتج أهدافاً تبعية من أهمها ما يلي :

أولاً: إقامة الخير وصد الشر: فالإيمان «مصدر قيام الخير، وحائط صد الشر من ولوج القلوب والعقول؛ فهو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قصر الكون، ولا سيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها. إن مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية، الإيمان»^(٢).

ثانياً: إعطاء الحياة معنى: فإن «إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابياً لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن الكبير (الدنيا)، أو في السجن الصغير (المعروف)، فيمكن أن يكسب المرء ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، وأن يحول ساعاته الفانية من حيث النتيجة إلى ساعات باقية خالدة، فيكون قضاء بعض سنين في السجن، وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين»^(٣).

ثالثاً: تقوية الإرادة وتثبيت القلوب: «ترمي رسائل النور إلى تثبيت القلوب، وتنشيط عزائم الأتقياء والصالحين، وتشد على أيديهم، فتزودهم بالقيم والأصول الميسرة لتحقيق ذلك الأمر بيسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من يدخلها

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٦٤.

(٢) النورسي: المكنوبات، ص ٣٠٨.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٥١٩.

محررا من أفكار مسبقة، وهو سر فشل أعداء رسائل النور المستترين، أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية»^(١).

رابعا: التأصيل العميق للشفقة والرحمة: فإن الإمام النورسي يؤكد على أن «منهج رسائل النور الذي يعبر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير، ليمنعنا من الوقوع تحت طائلة الاستجابة للاستفزاز الاجتماعي أو المعرفي، من خلال قصر الاهتمام بالأمور الجزئية على حساب الأمور الكلية والأساسية؛ نحو اختصار المهم في المزاولة السياسية نقدا وتمحيصا بل وتأسيسا.

ويعطي نموذجا عمليا تأكيديا فيبين: «إن وراء أولئك المبتلين بالإلحاد - واستحقوا بذلك العقاب - عددا من الأطفال والمرضى والشيخوخ الأبرياء، فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه، وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد منعنا بشدة من الاهتمام بالمسائل الجزئية، على حساب معركة المصير، المعبر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية، والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرض البلاد والعباد إلى مالا تحمد عقباه»^(٢).

ومن هنا نجد أن الدعوة النورية تلح على التحليل الذي بموجبه تقدر الأولويات، وأولوية الأولويات حماية الإيمان بتبنيته، وإثباته إن اقتضى الحال.

خامسا: سلوك الطريق الأقصر للإيجابية البناءة: فالإمام النورسي يذهب إلى أن رسائل النور، من اقصر وأهم الطرق لتحقيق إنقاذ الإيمان، وأنها المعجزة المعنوية للقرآن الكريم في هذا العصر؛ فقد كشفت التجارب والأخبار أن لها تأثيرا عظيما في البلدان العربية والباكستان، حتى إن الإمام النورسي عبر عن ارتياحه لذلك، بقوله: «اضطرت روحي إلى بيان ومشاهدة هذه النتيجة العظيمة، وأنا على عتبة القبر»^(٣).

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٨٣.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٦ بتصرف يسير.

(٣) النورسي: الملاحق، ص ٤١٥.

سادسا: تحقيق الاتحاد والمحبة وإعلاء كلمة الله: فالمؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف، وفاعلية ذلك المسعى تجعل أولئك الخدام مراكز تبليغ تلك الأفكار، وأنموذج العيش بتلك الأفكار من جهة أخرى؛ فعلى الأمة والجمعيات الانتساب إلى زمرة الخدمة، أولئك الذين يمثلون خط الإيمان بأحوالهم قبل مقالهم، أولئك يتلخص مشروعههم في إشاعة المحبة والأخوة بين أفراد الأمة، فيسعفون الأمة بتكوين الاتحاد المحمدي، الذي هو شامل لجميع المؤمنين؛ فهو ليس جمعية ولا حزبا، إذ مركزه وصفه الأول، المجاهدون والشهداء والعلماء الراشدون»^(١).

سابعا: المصالحة بين المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة: فالإمام النورسي يرى أن المسلك المؤسس على الإيمان كغاية عليا في تطعيم الأمة ضد أمراض الإلحاد، هذا المسلك مدرسة تصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة، وأهل الزوايا والتكايا، وتجعلهم يتحدون في خدمة ذلك المقصد؛ ذلك أن الإيمان يحدث بينهم الميل عن التنازع، ثم الميل إلى تبادل الأفكار^(٢).

ثامنا: نبيل مرضاة الله: والبرهان العملي على السعي لتحقيق هذا الهدف، ما جاء في مرافعة أحد طلاب النور أمام محكمة (آفيون)، التي قال فيها: «أنتم تجدون رسائل النور أمامكم، وهي منبثقة من الإعجاز المعنوي للقرآن المبين، الذي هو نور إلهي؛ فما دام اكتساب الإيمان، والانتقال بهذا الإيمان في الدنيا إلى سعادة الدار الآخرة، أهم غاية للإنسان، وما دامت رسائل النور تقدم بفيض من القرآن الحقائق الإيمانية، وتقرب مئات الآلاف من قرائها إلى هذا الهدف، فلا مناص أمام عدالتكم السامية وحبكم للحقيقة، إلا فهم الوجه القرآني، الوجه الحقيقي لرسائل النور، وتقدير قيمتها الحقيقية، ومعرفة أن طلاب النور لا يسعون إلا لنيل رضا الله تعالى، وأنه لا هدف لهم سواه»^(٣).

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠٦.

(٣) النورسي: الشعاعات، رجع سابق، ص ٦٠٦.

تاسعا: التأسيس للشكر والعبادة: فالإيمان يهدف إلى التأسيس النظري للشكر، مع لفت النظر إلى النماذج التطبيقية المتجلية في سيرة المصطفى ﷺ، وصحابته الكرام البررة، وقد دلت تلك التطبيقات على أن أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية، الشكر والعبادة، والحمد والمحبة^(١).

عاشرا: تأسيس التواصل الإسلامي والإنساني: فإن الإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة، والأسرة الإنسانية من جهة أخرى؛ ذلك أن «الإيمان رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، تلك الجمعية التي تمثل الخدمة الإيمانية؛ فجميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية، ابتداء من أبسط تلميذ ومنتسب إلى الأستاذ، داخلون في هذه الجمعية؛ فمثلا: إن الأكراد موجودون وقيمون في إيران وسوريا وتركيا والعراق، وإذا ما أخذوا بالهوية الإسلامية وتقبلوها، فسيكونون وسيلة للاتحاد الإسلامي، وبذلك يصبحون سببا لتحقيق الوحدة الإسلامية، وليس عنصرا للتجزئة والفرقة»^(٢).

حادي عشر: إنقاذ الإنسان، والاستجابة لحاجاته: فالإيمان يهدف إلى إنقاذ الإنسان؛ «إذ لا يمكن تصور عدم استجابة العدالة الربانية والحكمة الإلهية لتلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق، وهو الإنسان، في حين تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق، فهل من الممكن أن تردا أهم ما يرجوه الإنسان، وأعظم ما يتمناه، وألا تصونا حشمة الربوبية، وتتخلفا عن الإجابة لحقوق العباد؟!»^(٣).

ثاني عشر: القيام بوظيفة الخدمة: فإنقاذ الإيمان يسر تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهية؛ لهذا كان أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي، هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية - أي بما هو موكول إلى الله - والاقتصار على وظيفة الخدمة،

(١) المرجع السابق، ص ٥٥٩.

(٢) نجم الدين شاهين: الشهود الأواخر، المجلد ٤، ص ٢٧٥.

(٣) النورسي: الكلمات، ص ٦٩.

بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا^(١).

ثالث عشر: الحماية من الهلاك: فالتعلق بالدين والإيمان به، يحميننا من الهلاك الدنيوي والأخروي، ومن هنا كانت نصيحة الإمام النورسي لكل إنسان وبخاصة المسلم، قائلاً: «أيها المسلم؛ لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا، تجاه الدمار الذي تولده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ، واستعصم به بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك»^(٢).

المطلب الثاني: بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق

لقد شاع في واقع المسلمين الانفصال بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقودة، وإن من غايات الدعوة النورية وأهدافها الكبرى، تجاوز ذلك الانفصال بالتأسيس للتواصل بين الإيمان والأخلاق؛ لذا، فقد جعلت الدعوة النورية الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة، هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام والأمة الإسلامية من ناحية الإيمان والأخلاق؛ «فإن جميع الموازنات والمقاييس المعقودة في رسائل النور، بين طريق الإيمان والكفر، تبين بيانا قاطعا أن طريق الإيمان والتوحيد أقصر الطرق وأصوبها وأيسرها، وأكثرها استقامة، بينما طريق الكفر والإنكار طويلة جدا، ذات مشكلات ومخاطر. فلا شك أن هذا الكون الذي يساق في طريق ذات استقامة وحكمة، لا يمكن أن تكون فيه حقيقة الشرك والكفر. بينما حقائق الإيمان والتوحيد واجبة وضرورية في هذا الكون، ضرورة الشمس فيه. وكذا فإن أيسر الطرق في الأخلاق الإنسانية وأنفعها وأقصرها وأسلمها، هي في الصراط المستقيم، وفي الاستقامة»^(٣). كما أن «الظهور على المدنيين من منظور الدين، إنها هو بالإقناع

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٧٠.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٦٧.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٦٤٩.

وليس بالإكراه، ويأظهار الإسلام محبوا وساميا لديهم، وذلك بالامتثال الجميل لأوامره، وإظهار الأخلاق الفاضلة»^(١).

المطلب الثالث: تحقيق قوة رابطة الأخوة والمحبة :

إن ما يسببه التحيز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلا؛ ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية، والاجتماعية، والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

وإن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع؛ فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة، ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى^(٢).

وتسعى الدعوة النورية إلى تحصيل المحبة والأخوة والتضحية ثم تمثلها، وبهذا يتيسر لها فرصة التبليغ العملي، والدعوة بالقدوة؛ فهي تعمل على تحقيق «التأسيس العملي لجمعية المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة، ابتداء من أبسط منتسب إلى أكبر أستاذ، إنه مسلك مؤسس للاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة»^(٣).

وعلى أهمية تحقيق هذه الغاية، أكد الإمام النورسي قائلا: «إن جوهر الحياة الإنسانية، ولاسيما للأمة الإسلامية، وأساسها هو وجود محبة خالصة بين الأقرباء،

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٣٥.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٣٣٩.

(٣) النورسي: سيرة ذاتية، ص: ١٠٧.

وجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية، ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه، ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائق القرآنية التي تنقذ حياته الأبدية.. لذا فإن طلاب النور الحقيقيين يظهرون علاقاتهم المقدسة مع الحقائق القرآنية، ويظهرون ارتباطهم الذي لا ينفصم مع إخوانهم في الحياة الآخرة»^(١).

المطلب الرابع: تحصيل الأمن والنظام والحرية :

دفعت طبيعة الواقع المتأزم الذي يمر به عالمنا الإسلامي، الإمام النورسي إلى التأكيد على أنه ليس من غايات رسائل النور، ولا من أهداف دعوتها، الاشتغال بالسياسة؛ لأن المعركة تتمثل في جهاد معنوي سلمي لإنقاذ الإيمان وحقائقه في نفوس الناس، وتحطيم الكفر المطلق الذي يعد أساس الفوضى والاستبداد من جهة، والتأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة من جهة أخرى.

ولقد أعلنت الدعوة النورية للمتربصين هذه الحقائق؛ فقالت: «أيها البائسون؛ إن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق الذي أسفله الفوضى، وأعلاه الاستبداد المطلق، وتفتيته ورده على أعقابهِ. وتسعى إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد»^(٢).

ولقد كانت تصرفات الإمام النورسي تصب في هذا المضمار؛ إذ تأسيساً لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، نجده ينأى بنفسه عن أن يكون هدفاً للاتهام بالتحلق بالدينيا ومفاتها، لهذا نجده من منطق الحكمة في الدعوة إلى الله، يتهرب تهرباً شديداً وينفر من التعرض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه من قوة الحق ما يسمح له بالدفاع عن حقه بجدارة وكفاءة، موضحاً أنه ما دام كل شيء زائلاً وفانياً، وما دام الأذى ينقلب إلى رحمة، فإنه يفضل الصبر والتوكل على الله وشكره، لأن محاولة

(١) النورسي: الشعاعات، ص: ٤٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٣٤.

الإخلال بصمته وطلاب النور، وإبعادهم بالإكراه عن هدفهم، عن طريق إيقاع الأذى، فلن يستجيبوا لذلك^(١).

المطلب الخامس: دفع العلل الاجتماعية المدمرة:

لقد اجتهد الإمام النورسي بكل ما وسعه الجهد، في بيان خطورة العلل الاجتماعية، وآثارها المدمرة، التي تفتك بالمجتمع وتعمد إلى إهلاكه، من هذه العلل على سبيل المثال:

١ - الحرص وعدم القناعة: فالحرص يعد من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك أنه كان وسيبقى سببا في تضييع كنز العيش الهنيء الرغيد، وتبديد مبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علة الخيبة، ومعدن الخسران والسفالة؛ لأنه يولد ثلاث نتائج:

أولاهـا: عدم القناعة، الذي يثني الشوق عن السعي وعن العمل، بما يث في نفس الحريص من الشكوى بدلا من الشكر، قاذفا به إلى أحضان الكسل، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال، ويبادر بالبحث عما لا مشقة، ولا تكليف فيه، من مال غير مشروع، فيهدر في هذا السبيل عزته وكرامته.

ثانيها: الخيبة والخسران؛ إذ يفوت مقصود الحريص، ويتعرض للاستئقال، ويحرم من التيسير والمعاونة، حتى يكون مصداق القول المشهور «الحريص خائب خاسر».

ثالثهما: إن الحرص يتلف الإخلاص، ويفسد العمل الأخروي، ويفتح دونه بابا للرياء والتصنع، فيكسر عزته، ويريه طريق الاستجداء والاستخزاء^(٢).

٢ - الحسد والتحاسد: وكذلك يدفع الإيمان الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أن مقتضيات الإيمان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض؛ إذ ليس في أمور

(١) المرجع السابق، ص ٣٤٧.

(٢) النورسي: للمعات، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

ديننا مثل هذه الأمراض. ويرجع منشأ تلك الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتب بالبعد عنها من تهالك على الشهوات، وما ينجر عنها من مناقشات وتسابق، ثم تراحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة، ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث إن المتهاكين على شيء واحد كثيرون، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة. ويبعد خطر تلك الأسقام بالتعلق بالإيمان ومقتضياته، وخاصة التفكير العملي في الآخرة، وما أعد الله فيها للمؤمنين^(١).

المطلب السادس: الاتحاد بين أهل الإيمان :

إن من غايات الدعوة النورية وأهدافها العليا، العمل على توحيد كلمة المؤمنين، وجمع شملهم لخدمة هدف واحد مؤداه خدمة الإيمان نفسه، وطريقة التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم؛ فلا يصح أن يبقى المؤمنون مشتتين في أهدافهم وجهودهم، ولهذا المسعى اثر عظيم في استئصال مرض خطير، معبر عنه بقولهم: «ما لي وما عليّ، فليفكر غيري».

وعلى هذا، فإن هدف الدعوة النورية، كما يقول الإمام النورسي: «إن قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف؛ إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضا التقليد... ثم يبين هدفه من هذا الاتحاد، وشروطه، فيضيف: إننا نتحدث بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين :

الشرط الأول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاز نهج المحبة، وعدم محاولة إظهار المزايا بانتقاص الآخرين^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٣٦.

المطلب السابع: تحقيق صحوة إسلامية راشدة :

تسعى الدعوة النورية جاهدة إلى إيجاد صحوة راشدة، تتجاوز الخلل في التصورات، وتتجنب الانحراف في الفعل، وتستوعب الواقع بجميع مكوناته المادية والمعنوية، مستمدة من القرآن الدواء؛ «فإن الذي كان يصبو إليه بديع الزمان منذ نعومة أظفاره، والأمل الذي كان يحده وهو في طريقه إلى أنقرة، هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي، هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضول قبل مجيئه إلى إستانبول، بل توضح أكثر عند قدومه إليها حتى حير السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة، والمهمة الثقيلة، والشوق الدائم قط؛ فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشرعية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تبشير سعادة الأناضول، والعالم الإسلامي قاطبة»^(١).

ويرى الإمام النورسي أن ما يخدم ذلك الهدف هو التأسيس للحرية، ووضع قوانين أساسية تصونها من عبث العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية، لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل على تحقيق الصحوة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحوة يمر ضرورة بالحرية^(٢).

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٨٢.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٦٩، ٣٩٢ - ٣٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨.

الفصل الرابع

من قواعد الدعوة النورية وأصولها

إن الدعوة النورية في حركتها الدعوية إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، تستمد قواعدها وأصولها من الرسالة الإسلامية نفسها، ولا تخرج في ذلك على مصادرها المعتمدة التي أوضحنا أهمها في الفصل الأول، ومن تلك القواعد والأصول ما نتناوله من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: الإيمان الحقيقي:

ذلك الإيمان الذي يسبغ على الدعوة النورية طابعا يقينيا عمليا، وبمقدار ما يرسخ هذا الطابع اليقيني الإيجابي في نفوس دعاة النور، تقوى إرادتهم العازمة، وتتضاعف طاقاتهم الفاعلة.

وإن طبيعة الدعوة النورية تكوّن هذا الطابع المميز في نفوس دعاة؛ لأنها ليست نتيجة اجتهاد معين يكون عرضة للخطأ، أو حصيلة تجارب محدودة قد لا تصور الواقع تصويرا كاملا، وإنما هي امتداد طبيعي لميراث النبوة الذي اكتمل بالرسالة الخاتمة التي اصطفاه الله سبحانه وتعالى للإنسانية، وبعث بها خاتم رسله ﷺ.

ولذلك فإن الإمام النورسي كان دائم التوجيه لطلابه في كثير من المواقف على ضرورة تحقق هذه القاعدة، فيقول: «لا بد لنا أولا أن نحول إيماننا من التقليد إلى التحقيق، نسعى لتقويته وتمتينه»^(١) لأن ذلك الإيمان الحقيقي يحول دون تحلي دعاة النور عن وظيفتهم التبليغية بإيجابية وأخلاقية عالية، يتحدث بها لسان الحال قبل لسان المقال: «وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء، وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي، دون التدخل

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٢، ص ١٢٣.

بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلد بالشكر، تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا، وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي»^(١).

ويؤكد على واقعية هذه القاعدة وتحقيقها في طلاب النور، أحد الشهود الأواخر، قائلا: «إن الذين يقرؤون رسائل النور، ولا سيما من الشباب الواعي، يكتسبون إيمانا قويا، فيصبح متدينا تدينا لا يهتز، ولا يتوانى عن أية تضحية، ويكون محبا لوطنه. وعندما يوجد إيمان صلد في أي موضع كان، فلا يكون هناك مجال للسفاهة وللسقوط الأخلاقي، الذي يكون نتيجة طبيعية لبعض الأيدولوجيات الضارة»^(٢).

المطلب الثاني: الأمل الواثق والاستشراف المستقبلي :

فإن الأمل هو بصيص النور الذي لا تستغني عنه كل الدعوات، وإذا فقدت الدعوة أملها في الفوز وبلوغ الأهداف، فقدت وجودها ومعناها الحقيقي؛ لأن الدعوة إلى مالا أمل في تحقيقه، نوع من العبث واللهو، ومن هنا، فإن الدعوة النورية تفتح لدعاة النور أجواء من الأمل تقوي عزيمتهم وتزيد من رجائهم، بل هي تبعث الأمل فعلا مستشرفا آفاق المستقبل القادم؛ فها هو الإمام النورسي يحدث زائريه حديث الأمل الواثق من بزوغ النور، وسط ظلمات الأحداث، فيقول: «إن خدمات طلبة رسائل النور لن تنتهي؛ ستأتي حتما إلى تركيا إدارة وحكم يخدم الدين المين، وسينجح طلبة النور، ويوفقون في تحقيق هذا»^(٣).

ولم يتوقف عند هذا فحسب، بل بين للذين أفرعتهم بداية الأحداث المؤلمة، ما وراء هذه الحوادث، وأنها لن تدوم، وأن الحال سيتغير إلى أحسن الأحوال، فيقول: «لا تحزنوا؛ سترون أحداثا خطيرة، وسيحاولون معكم كثيرا؛ فلا تنهوا ولا تحزنوا؛

(١) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١٠٦.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٥٨٩.

(٣) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٣، ص ٢٨٠.

فإن الحق سيتخذ مجراه. إنهم يريدون إلغاء الشريعة، ولكن الشريعة ترقى، ولن تنقطع أبداً؛ فالله صاحبها سيبعث من يدافع عنها ويحفظها، ويحيي الدين من جديد»^(١).
كما يبعث الأمل والطمأنينة في نفوس طلابه المسجونين معه، والذين عانوا معه الكثير من الآلام، فيقول لهم في السجن: «إنني أبشركم بكل كياني وروحي، إن جميع ما يصيبنا من مصائب، وبفضل التساند والتكاتف، لا يعمل على زعزعة صفوف الإخوة، بل ستتحول في مجال خدماتنا الإيمانية إلى نعم كبيرة، وتحدث فتحة مبيّنة لحركة النور من وراء ستار»^(٢).

المطلب الثالث: الدافع الذاتي للإخلاص :

إذا كان للدافع الذاتي عند الإنسان العادي أثر بليغ في حياته واندفاعاته، فإن طبيعة الدعوة النورية تقنع طلابها بأن الإخلاص لهذه الحقائق والمفاهيم الإيمانية، والدعوة إليها، والتضحية في سبيلها، مكسب شخصي للطلاب نفسه، قبل أن يكون مكسباً مثالياً أو اجتماعياً، وأنه ربح لجزاء ونعيم لا حدود له، قبل أن يكون عاطفة مثالية، أو اندفاعاً حماسياً، وبذلك تستطيع الدعوة النورية أن تجنّد جميع الدوافع الإنسانية لصالح الدعوة إلى الله، والوقوف ضد طوفان الكفر المطلق والإلحاد الفوضوي؛ فلقد تشكلت الشخصية الجماعية للدعوة النورية، من خلال الإخلاص الذي هو نوع من التجديد، أو التأصيل للدين، وكما أن المجدد الذي يأتي على رأس كل قرن لخدمة الدين والإيمان على الوجه المطلوب، فإنه ينبغي أن يكون مجدد الدين في هذا العصر، الذي يعج بهجمات تشنها المنظمات السرية، وشخصيات الضلال الجماعية، يجب أن يكون شخصية جماعية أيضاً، وإن هذه الشخصية الجماعية قد تكونت من رسائل النور، التي تشكلت من خلال الإخلاص والتضحية، إخلاص النورسي وطلابه، وتضحياتهم الكبيرة»^(٣).

(١) المرجع السابق، مجلد ١، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٤١.

(٣) للمزيد: النورسي: الملاحق، ص ٣٦١ - ٣٦٥.

المطلب الرابع: ارتباط الدعوة بالعلم والعمل :

العلم والدعوة وجهان لحقيقة واحدة، أما العمل فهو شرط لا ينفك عنها، ولا يمكن فصل هذه الثلاثة بعضها عن بعض؛ فإن عمل الإنسان بما علم تعبير عن توقيره لعلمه، إذ عدم القيام بالعبودية لمن عرف ربه هو عدم توقيره له، بل بلاهة وعمى وصمم.

ولقد كان الإمام النورسي جامعاً بين الثلاثة جمعاً مؤثراً في نفوس من يتعامل معه؛ فأما علمه: فقد كان مجهزاً بعلم متميز لحقائق الدين الذي يدعو إليه، مدركاً أن غاية العلم إنتاج المعرفة الإلهية والمحبة الإلهية، محذراً من ذلك العلم الذي لا يضرر محبة الله في قلب الإنسان، ولا يلهب ذوقه الروحاني. وكفينا في ذلك شهادة الشيخ «بخيت المطيعي»، الذي قال عقب حوار له مع الإمام النورسي، لمن حضر من العلماء: «لا يناظر هذا الشاب، ولا أتمكن أن أغلبه»^(١).

ولما كان الإسلام نظاماً إلهياً يربط العلم بالعمل ربطاً محكماً؛ ففي إحدى جوانبه الإيمان، والجانب الآخر تحويل هذا الإيمان إلى عمل وفعالية إيجابية يعيشها الداعي، فإن الدعوة النورية برائدها وطلائعها جسدت ذلك عملياً، يشهد بذلك الكثيرون؛ فيقول أحدهم: «كان الأستاذ يثير إعجاب الناظر إليه، لأن لسان حاله يطابق لسان قوله؛ ذلك لأن مظهره وملبسه وحركاته لا تشبه الآخرين: إن حال الأستاذ وتلقينه، هو كره أعداء الدين، وحب أهل الإيمان بالله واليوم الآخر والقرآن وقدسيته، والوقوف بوجه أعداء الدين، وعدم الانخراط في صفوفهم. إن لسان حاله يعلن مكانة أهل الدين المشرفة والعالية، وينقشها عميقاً في الأذهان.

لم يكن يأخذ هدايا من أحد، كان يعيش فقيراً حقاً؛ ففي إحدى الغرف توجد سجادة مفروشة، وقطع من القماش يصلي عليها، وما عدا ذلك فراغ لا شيء فيه. كان يرفض استلام أي شيء يأتيه من أعيان البلد بأسلوب مهذب ولطيف؛

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ١، ص ١٤٤.

لأنه لا يرغب في إحداث أية قطيعة مع أحد. كان يعيش بصورة فعلية ما يكتبه في رسائل النور»^(١).

المطلب الخامس: معرفة الواقع المعاصر:

فإن من لا يعرف مجريات عصره لا يختلف عمن يعيش تحت الأرض، وإذا حاول بوضعه هذا أن يبلغ شيئاً عن الدين والإيمان إلى الآخرين، فسيكون فعله عبثاً؛ لأن عجالات الزمن والحوادث ستفقده التأثير عاجلاً وآجلاً. وبناء على هذه الحقيقة فإن دعوة النور تحركت على أساس الوعي بظروف الواقع ومستوى المخاطبين، والإدراك بمدارك العصر، ويكفي دليلاً على ذلك «أن رسائل النور سلاح ماضٍ في هذا العصر، تحاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهرة طرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية من الفيض والإلهام القرآني، الذي يتوجه مباشرة لتقديم مفاهيم القرآن الحكيم بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة»^(٢).

المطلب السادس: انفتاح القلب نحو القرآن:

لما كانت الدعوة النورية قائمة على رسائل النور، التي هي دروس للقرآن الكريم بلغة العصر، فلا بد أن ينظم الداعي إلى النور، قلبه وضميره وفق القرآن الكريم، ومتناغماً معه؛ فيقوم بتطبيق الآيات الكونية الظاهرة في الآفاق والأنفس على الآيات المتلوّة، ومن ثمّ صياغة مركب منها، ويحرص كل الحرص أن يتصف بكامل كيانه، وبجميع أطواره وأحواله باللطف والنزاهة والشفقة والنظام وأمثالها من الصفات التي تجعل الداعية مؤمناً حقاً، وبفضل نجاحه في ذلك يوفق في دعوته وإرشاده.

ولقد كان قلب الإمام النورسي منفتحاً نحو القرآن، فانعكس ذلك على صفاته التي أضحت إسلامية خالصة، وعلى وسائله وأساليبه، فاستطاع أن يقدم في هذا المجال نماذج رائدة للداعي القرآني.

(١) المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٣٥.

فها هو أثناء إقامته في إستانبول، يأتي المستشرق الشهير «ألفريد جليوم» إلى جامعة إستانبول؛ ليلقي خمس محاضرات، وقد أثارت القضايا الخلافية التي طرحها المستشرق ردود فعل عدائية من العلماء المحليين؛ فقد أنكر الآيات القرآنية التي تصف «السموات السبع»، قائلا: «إن علم الفلك قد تقدم وأثبت أنه لا توجد سبع طباق في السماء أو في الفضاء، ولذلك فالآية تناقض العلم. وقد أخبر الطالبان «محسن علوي»، و«ضياء آرون» أستاذهم النورسي عن المحاضرة، فأعد رسالة ذكر فيها بعض أجزاء من رسائل النور. وفي اليوم التالي ذهب الطالبان إلى الجامعة ووزعا نسخا من هذه الرسالة قبل المحاضرة الثانية، وقرئت هذه الرسالة على المستشرق، فسأل عمن كتبها فقبل له: عالم دين اسمه «بديع الزمان»، فاختصر المستشرق محاضراته ذلك اليوم، وغادر البلاد قاطعا زيارته قبل خمسة أيام»^(١).

المطلب السابع: استعمال الوسائل المشروعة:

الداعي إلى الله يتحرى بدقة الوسائل والطرق المشروعة، لدى دعوته الناس وتبليغهم؛ إذ لا يسلك إلى هدف مشروع إلا بوسيلة مشروعة لا شبهة في مشروعيتها. ولما كان هدف الدعوة النورية هو الحق، وطلابها في ذات الوقت أعداء الباطل، فإنهم لم يستعملوا الباطل الذي هو عدوهم لبلوغ الهدف الحق؛ لأنهم لو صنعوا ذلك - لا قدر الله - يكونون قد كذبوا أنفسهم، وناقضوا جميع ما قاموا به من أعمال. وما أروع ما قاله أحد الشهود الأواخر في دفاعه أمام محكمة (آفيون): «إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة، وتستهدف نيل رضا الله الباقي الأزلي الرحيم ذي الجلال، الذي لا يشكل الجمال والحسن إلا ظلا خافتا لجماله، ولا تشكل لطائف الجنة جميعا إلا لمعة من حجته سبحانه، فما دام مثل هذا الهدف المقدس، ومثل هذا الهدف السامي موجودا، فإنني أبرئ رسائل النور وأنزهها ألف مرة من أن تقع في أمور سفلية ومحرمة»^(٢).

(١) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣١٤.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٦٠١.

وما أبهى ما أكد عليه الإمام النورسي حين قال: «إن مهمة رسائل النور الأساس، هي خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق، الذي يودي بالحياة الأبدية، ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سما زعافا، وجحima لا يطاق. وإن منهجها في ذلك، هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتزندقة تمردا، على التسليم بالإيمان؛ لذا فليس من حقنا أن نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان»^(١).

المطلب الثامن: رسالية الدعوة وتنزهها :

فالداعي إلى الله لا يريد جزاء ولا شكورا من أحد، عوضا عما يؤديه من وظيفته المقدسة، ماديا كان ذلك الأجر أو معنويا؛ لأن طلب الأجر يذهب صفاء الصدق والإخلاص، وحالما يتكدر الصدق والإخلاص تتلاشى قوة التأثير.

لذلك؛ لا يكون داعيا إلى الله ومبلغا عنه سبحانه وتعالى، من يسعى وراء الأجر، ويغرق في حياة مسرفة فارهة؛ لأن الذين لم يجعلوا حياتهم بمستوى السواد الأعظم، ليسوا ممن يسرون في طريق الرسول الأعظم المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام، بل إن أطوار هؤلاء وأقوالهم كذب في كذب، ولم يهتد أحد إلى الصدق بالكذب، ومن لم يهتد إلى الصدق، فلن يكون هاديا لغيره قطعا.

ولنستمع بقلب شهيد، وحس واع، إلى الإمام النورسي الداعية والمرشد النوري، الذي نور الله عقله كقلبه، وقلبه كعقله، إذ يقول: «إن أهل الضلالة يتهمون العلماء باتخاذهم العلم مغنما، فيهاجمونهم ظلما وعدوانا بقولهم: إنهم يجعلون العلم والدين وسيلة لكسب معيشتهم. فيجب تكذيب هؤلاء تكذيبا فعليا؛ فنحن مكلفون باتباع الأنبياء عليهم السلام في نشر الحق وتبليغه، وإن القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق، أنهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (يونس: ٧٢)،

﴿ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (هود: ٢٩)، ﴿ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (سبأ: ٤٧)، وإن الآية الكريمة: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (يس: ٢١)، تفيد معاني ومغزى عميقا، فيها تخصص مسألتنا هذه^(١).

المطلب التاسع: الحياة بالدعوة :

إن أهم قاعدة من قواعد دعوة النور، أن يحيا طالب النور بما يدعو، ويدعو بما يحياه؛ ذلك لأنه على الصراط السوي للمؤمن الحقيقي، والمؤمن الحقيقي هو من بلغ إلى تكامل الظاهر والباطن، فلا تحالف بين الظاهر والباطن في هذا المؤمن.

وبالتالي؛ فإن طلاب الدعوة النورية، يتعدون تماما عن الحياة الازدواجية؛ لأنها صفة النفاق، ويتنزه الداعي النوري الصادق من مثل هذه الأخلاق المذمومة.

وعلى هذا؛ فالداعي النوري ينظم كل حركاته وتصرفاته وسلوكه وفق حياته الدعوية؛ أي يقوم ويقعد متفكرا بالدعوة النورية إلى الله والتبليغ عنه سبحانه، وإرشاد الآخرين إلى ما عاشه.

وإنه لقدر إلهي أن تترافق وتتداخل وظيفة الدعوة والعيش بها، والمعاونة من أجلها؛ إذ الأشياء التي تحصل بصعوبة وتعب، تحظى بالاهتمام والعناية. وما أصدق قول الإمام النورسي لطلابه: «مع أنني شخص مقصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الأمة، وفي سبيل إنقاذ إيمانها، ولقد سعت بكل جهدي للعمل برسائل النور، لكي أضحي بنفسي في سبيل حقيقة افتدتها ألوف الأنفس، وهي الحقيقة القرآنية. واستطعت بتوفيق من الله تعالى وفضل منه، أن أتحمّل شتى ضروب التعذيب فلم أتعثر ولم أنسحب»^(٢).

(١) النورسي: المكتوبات، ص ١٦.
(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٤، ص ٢٢.

المطلب العاشر: الصفاء والإخلاص:

لابد للداعي إلى الله أن يحافظ على تواضعه وإنكار ذاته، مهما اعتلى من مقامات ومناصب، وأن يحافظ على وضعه كما هو في كل زمان ومكان؛ فهو ذلك الإنسان الذي لم يطرأ عليه تغيير، فحياته كلها تتسم بالبساطة والفطرية، وقلبه مفعم بالتجرد والبساطة، وعينه مليئة بأنوار البساطة، حتى مسكنه ومحيطه وبيئته لا يشاهد فيها إلا التواضع والبساطة.

وهذا ما شهد به الكثيرون للإمام النورسي بصفة خاصة وطلاب النور عامة، فيقول أحدهم: «كان الأستاذ متواضعا كل التواضع، ولذلك عندما رأيته لأول مرة لم أكن لأعرف أنه عالم من شدة تواضعه»^(١).

ويضيف الآخر: «لقد كان يعيش فقيرا حقا»^(٢).

ومع ذلك نجده -رحمه الله- يخاطب نفسه قائلا: «يا «أنا» لك أمور تسعة تعاميت عن ماهيتها، وعواقبها: أما جسدي؛ فكالثمرة المتزهرة المتزينة صيفا، المنكمشة المتفسخة شتاء، وأما حياتك المادية؛ فانظر إلى جنس الحيوان كيف يسرع فيهم الموت والزوال. وأما إنسانيتك؛ فمتردة بين الانطفاء والاصطفاء والزوال والبقاء. وأما عمرك وحياتك؛ فكقامتك قصيرة معينة الحدود لا تقدم ولا تؤخر. وأما وجودك؛ فليس ملكا لك، فله مالك، الملك له وأشفق به منك. وأما مصائبك؛ فلا تمر حقيقة لأنها تمر سريعا، بل تحلو لأنها تحول وأما أنت هنا الآن؛ فمسافر ثم مسافر ثم مسافر، والمسافر لا يعلق قلبه بما لا يتعلق به ويفارقه بسرعة.

وأما وجودك؛ فافده لموجده الذي يشتريه بثمن غال، فسارع إلى البيع بل الفداء. وأما لذائذ الدنيا؛ فقسمتك تأتيك، فلا تطش في طلبها..»^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٩١.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨.

(٣) النورسي: المثوي العربي، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

وهكذا يجسد الإمام النورسي غنى ذاته، الذي لا يزيد فيه ولا ينقص منه تغير الأحوال والأطوار، ورغم كون قبره مجهولاً، إلا أن خيام بساطته وفطرته في قلوب الملايين من الناس، تحوي آثار صفائه وإخلاصه.

المطلب الحادي عشر: المثابرة والإصرار على أمر الدعوة :

إن المثابرة والإصرار على أمر الدعوة إلى الله، وسيلة لجلب الرضا الإلهي، وفي الوقت نفسه علامة على إخلاص الداعية، وسر من أسرار قبول ما يبلغه في وجدان المخاطبين. ورحم الله شيخ الإسلام «مصطفى صبري» الذي شهد بمواظبة الإمام النورسي على جعل كلمة التوحيد تستقر في القلوب، وإلحاحه على إنقاذ إيمان الناس، بينما أخطأ غيره، فيقول: «أنت إذن على قيد الحياة يا «سعيد»؛ لقد بقيت أنت في أرض الوطن ثابتاً، وداومت على العلم والجهاد ولازلت، بينما أخطأنا نحن، وحرمتنا من ذلك يا «سعيد»»^(١).

ويتأثر أحد السجانيين، وتهتز مشاعره، حين يرى إصرار الإمام على دعوته ومواظبته عليها، فيقول: «لقد سمعته ينادي من داخل محبسه: (أريد رسائل النور فحسب، لن أتخلّى عن عملي هذا) فتأثرت كثيراً بهذه العزيمة الظاهرة من هذه الجملة القصيرة، وأصابني حزن وألم كبير لما تتلقاه هذه الشخصية العظيمة من ظلم وعسف»^(٢).

المطلب الثاني عشر: الوعي بقوانين الفطرة :

من الأصول التي تقوم عليها دعوة النور، عدم الاصطدام مع قوانين الفطرة، وضرورة اتخاذ البصيرة أساساً في الدعوة إلى الله؛ لأن الفطرة مستقرة بالآيات التكوينية، ويجب أن تبلغ الدعوة وفق هذه القوانين، أي تؤخذ الخصائص والمزايا التي فطر الإنسان عليها بنظر الاعتبار، ولقد حرص الإمام النورسي على تعليم طلاب النور هذه القاعدة بأكثر من طريقة، قائلاً لأحداهم: «يا أخي؛ ليس هناك إنسان لا يمكن

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٢، ص ١٤٣.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٩.

أن لا يفتح للإسلام، المهم الدقة المتناهية للذين يخدمون الإسلام؛ فإن الإنسان يشبه قصراً ببائنة باب، وحتماً هناك باب يدخل منه إلى ذلك الإنسان. لقد أغلق تسعة وتسعون باباً أمام الإسلام من قبل كفار أوروبا، ومنافقي آسيا، ولم يبق للإسلام غير باب واحد، وهو «باب الفطرة»، وإذا ما تمكنت من الدخول من خلال ذلك الباب بفضل فراستك، فستنتفتح الأبواب الأخرى، ويستطيع الإسلام من غزو وفتح ذلك الإنسان»^(١).

المطلب الثالث عشر:

الميزان الدقيق في العلاقة مع أصحاب المال والسلطة:

تُعلم الدعوة النورية الدعاة إلى الله، أن يقتدوا بسيرة أعظم مرشد على الإطلاق سيدنا رسول الله ﷺ، فيتعلموا منه - ﷺ - الاستغناء عن أصحاب المال والسلطان في المجتمع، وعدم الإعجاب بهم، مع الاستمرار في دعوتهم وإرشادهم.

وهذا ما صنعه الإمام النورسي؛ فإنه لم يكن ليأخذ هدايا من أحد، إذا أصر المهدي يقول له: «إذا لم أدفع ما يقابلها من ثمن تضر بصحتي وتفسد قواعدي»^(٢).

كما كان يرفض استلام أي شيء يأتيه من أعيان البلد بأسلوب مهذب ولطيف؛ لأنه لا يرغب في إحداث أية قطيعة مع أحد^(٣).

وفي نفس الوقت لم يتخل عن واجبه الدعوي نحو هؤلاء الناس؛ فها هو يرشد بعض الساسة قائلاً: «أقول لكم بكل وضوح، وبشكل أكيد وقاطع؛ إن هذا البلد وحكوماته ستكون بحاجة ماسة إلى نشر رسائل النور وأمثالها في العالم الإسلامي، والعالم بأسره؛ لإبراز مفاهيمها واعتباراتها ومفاخرها التاريخية»^(٤).

(١) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٥٦.

المطلب الرابع عشر: معرفة المدعوّ وأسلوب التفاهم معه :

أولاً: معرفة المدعو: فإن الداعي إلى الله يتفقد أحوال المدعوّ عن كذب، ويتصرف تجاه أخطائه برحابة صدر؛ فيتخذ تجاه المؤمن طور المروءة، أما تجاه أهل الكفر والإلحاد، فيتصرف بالكياسة والدراية، وبهذه الأساليب يتمكن من التقرب إلى قلب مخاطبه ومنطقه من جهة، محباً إليه ما يريد تبليغه، ويسوقه إلى القبول من جهة أخرى. وبالفعل كان الإمام النورسي «يكرم زواره من الشخصيات المعروفة على اختلافهم، ويتقبلهم كما هم، يذكر محاسن أفعالهم، ويشجعهم على الاستمرار، سواء القليلة منها أو الكثيرة»^(١).

ثانياً: الحذر من النقاش والجدال: فإن الداعي إلى الله حذر جداً أن يؤول الكلام في الحوار إلى جدال ونقاش؛ إذ المتكلم في الجدل والنقاش هو «الأنانية»، وهذا الجو من الجدل الذي لا يراده الوصول إلى الحق، يسلمّ زمامه إلى الشيطان. كما أنه في الجدل لا يخطر بالبال دائماً رضا الله؛ لأن الداعي والمدعو كليهما يكون في حالة متوترة ومشدودة بالأنانية، وفي مثل هذا الجو الذي ليس فيه رضا الله سبحانه، لا تحصل الهداية مهما كان الكلام جيداً؛ حيث الهداية بيد الله وحده، ولا ترد في مواضع ليس فيها رضا الله.

إن فهم هذا الأصل من أصول الدعوة للمخاطب، سمة من سمات حراس الحقيقة، أصحاب الجنديّة الرسالية النورية، الذين وجه الإمام النورسي وصيته إلى جيل منهم، قائلاً: «إنني أضع كل واحد منكم حارساً للنور وحافظاً له؛ إذ إن أي واحد منكم إنما هو «سعيد» ووارث لي؛ ستكونون آلافاً بدلاً من حارس واحد، وستعتبرون كل رسالة أو مجموعة نورية بمثابة «سعيد» معنوي؛ خذوا منها دروسكم بدلاً مني. لا تتضعضعوا، لا قيمة للمصاعب الفانية، ولا موانع أمام محاوراتنا بأي شكل كان.

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢٣.

إن النور كاف وواف لطلاب النور الحقيقيين، فعليهم أيضاً أن يكونوا مقتنعين؛ فلا يركزوا أنظارهم إلى منافع مادية أو معنوية، أو اكتساب شرف من غيره.

يجب الابتعاد عن الدخول في مناقشات ومجادلات ومباحثات متحيزة في المسائل الدينية، ويجب تجنب التطرف والتعصب؛ لكي لا يظهر أمام النور معارضون من ذوي الأغراض والنيات السيئة»^(١).

ثالثاً: الانخلاع من الأنانية: فالأنانية عامل يعيق الهداية، ويزيل بركتها سواء للداعي أو للمدعو؛ لذا فإن الداعي ينخلع من هذا الحس الصغير، بل يقول ما يريد قوله ضمن تواضع وإنكار ذات، وبهذا ينقذ مخاطبه أيضاً من فكر مسبق، ومن العناد. وإن مراعاة هذا الأصل في الدعوة النورية، جعل الكثيرين ممن تعامل مع الإمام النورسي يتعلق به، وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله: «لقد كان الأستاذ شديد التواضع، وواسع القلب، وفسيح الجنان، وكان من شدة تواضعه بحيث بدأت أحس وكأنه لا يعرف الشيء الكثير؛ لأنه كان يكرر ما كنت أعرفه.. لقد زاد من ارتباطنا به شدة تواضعه، وبساطته، وعلو همته، ومحبته واهتمامه بنا»^(٢).

رابعاً: معرفة البناء الفكري للمدعو: لأن من لوازم معرفة المدعو، الإحاطة بمستواه الاجتماعي، وبنائه الثقافي، وهذا أصل مهم جداً من أصول معرفة فن الدعوة والتبليغ؛ فكما أن الدعوة وظيفة، فإن معرفة فن الدعوة وظيفة أخرى. ولقد أجاد الإمام النورسي كلتا الوظيفتين، ونجبرنا عن ذلك أحد الشهود الأواخر قائلاً: «إن الأستاذ كان يقابل من هم على مستوى الفلاح أو العامل أو الراعي، ويتحدث إليهم على قدر مداركهم، ويتواضع معهم، وينزل إلى مستواهم، ويخاطبهم باللسان الذي يفهمونه. وعندما يجلس إلى أستاذ جامعة، يحاوره بأدق المعلومات العلمية،

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٢، ص ١٠٦.

حتى يخرج متعجبا من غزارة معلوماته عن تاريخ حياة الكرة الأرضية، والمجموعة الشمسية والأفلاك»^(١).

خامسا: معرفة ثقافة العصر: وتبعا للأصل السابق، فلا يمكن لمن يجهل ثقافة عصره، ومدى فهمه وأسلوب خطابه، أن يفهم إنسان عصره شيئا؛ لأن كل شيء في الكون، وكل ما يحدث فيه، لسان وغصن؛ فعلى الداعي إلى الله أن يتعلم هذا اللسان، ويستمسك بهذا الغصن، وإلا عجز عن فهم الآيات التكوينية، وبالتالي يُضرب عليه الذل والمسكنة.

وما أجمل تلك الشهادة التي تحلي هذا الأصل في فن الدعوة عند الإمام النورسي: «إن الأستاذ فيض علما، وينشر هذا العلم، وهو يستخدم في خوارق علمه، وفي أكثر المسائل العلمية تعقيدا، منطقا عاليا حير أكبر المفكرين وأذهلهم، ويستخدم أسلوبا جذابا رائعا ومشوقا، فياضا بالحرارة، نابضا بالعشق والعواطف الجياشة، وذلك بلغة تعلمها بعد نصف عمره، حتى لتبدو كتاباته وكأنها بحر إيمان، وخزينة توحيد، ومحيط حكمة»^(٢).

سادسا: مرونة الداعية: فلا بد أن يكون الداعية مرنا، ويحافظ على مرونته هذه؛ لأنه ينزل أحيانا في أعماق الوديان، وأحيانا يصعد أعالي المنابر؛ إذ بين مخاطبيه من هو في كلتا النقطتين، وهذا يقتضي أن تكون مساحة ثقافته واسعة، وقد رأينا في الأصل الرابع كيفية تعامل الإمام النورسي مع جميع المستويات، من مستوى الفلاح أو العامل أو الراعي إلى مستوى أستاذ الجامعة، وكان الأستاذ بمرونته العالية «يكلم مخاطبيه حسب قابلياتهم ومستوياتهم، كان الجميع يخرجون من عنده برضا تام، وقناعة كاملة»^(٣).

(١) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١٠٩.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٦١١.

(٣) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٢، ص ٣٧٣.

سابعاً: النزول بمنازل المخاطبين: فالداعي الواعي ينزل إلى منازل المخاطبين، ويكلمهم بقدر عقولهم، ويسع جميع الناس بخطابه، كل في موضعه؛ فمع الأطفال كالطفل، ومع الشباب كالشباب، ومع العجوز كالعجوز.

وإن الإمام النورسي حقق ذلك نظرياً وعملياً؛ ففي كليات الرسائل النور نطالع رسالة «مرشد الشباب»، ورسالة «مرشد أخوات الآخرة»، ورسالة «مرشد أهل القرآن»، ورسالة «إلى الشيوخ».

وفي الواقع العملي مارس ذلك فيما يكلف به المخاطبين؛ «فيكتب رسائل للبعض، ويكلف غيرهم بواجبات مختلفة، عندما يكون مخاطبه موظفاً إدارياً كبيراً»^(١).

ثامناً: النظر من زاوية العصر: نخلص مما سبق أن تناولناه في الأصول السبعة لمعرفة المدعو وأسلوب التفاهم معه، إلى أنه على الداعية أن ينظر من زاوية عصره الذي يعيش فيه، قبل أن يتطرق للمسائل المرتبطة بالعمل الدعوي؛ فيكون خبيراً بالبناء الروحي للمخاطب، وعالماً بالمسائل التي انغrust في ذهنه انغراس السهم المسموم، ثم يتكلم بما يريد أن يتكلم ضمن هذه المعرفة، وذلك كي يلقي القبول الحسن، وينعكس في قلب المخاطب، ويستقر في ذهنه؛ فيصبح الداعي بالنسبة له، كما قال أحد الشهود الأواخر عن الإمام النورسي: «كأنه أخلص صديق، وأقرب رفيق، وأعز صديق، تصرفاته تربط الإنسان به أراد ذلك أم لم يرد غير أنه كان يريدنا أن لا نتعلق به، بل نرتبط بالحقائق القرآنية، وبرسائل النور وكان يسعى لتحقيق ذلك»^(٢).

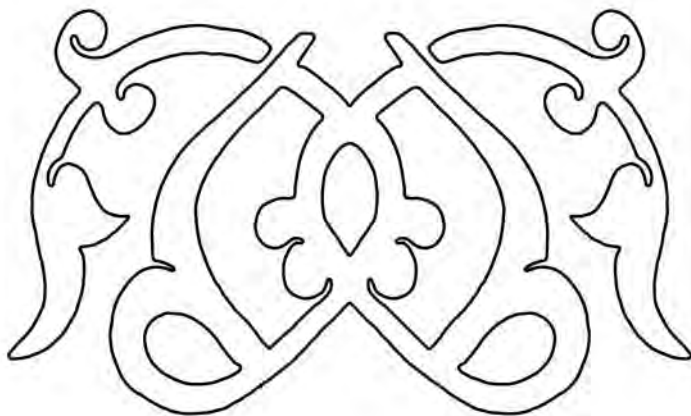
(١) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢٠.



الباب الثاني

من مقومات الداعية



الباب الثاني

من مقومات الداعية

الفصل الأول: وظيفة الداعية.

الفصل الثاني: من سمات الداعية وأخلاقه.

الفصل الثالث: من عدة الداعية.

الفصل الرابع: أسلوب الداعية.

إن الداعية هو الأصل في حركة الدعوة إلى الله؛ لأنه بممارسته للدعوة، وقدرته على الانطلاق بها، تكون الدعوة ويتحقق التبليغ.

وإن مسئوليته تنطلق من إحساسه بالحياة وهي تتحرك في إطار الحقائق الإيمانية والأخلاق الربانية التي تحملها دعوته، وفي ضوء ذلك لا يمثل المزاج الذاتي للداعية شيئاً بالنسبة إليه إلا بقدر ارتباطه بدعوته؛ لأنه يؤمن بأن ما يملكه من وقت وفكر وجهد هو للدعوة، فحسبه من حياته وقوته ومواهبه، أنها تحقق أهداف دعوته وتجسدها في الحياة.

لذا فإن «الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، سعيد المشهور المجدد، ترجمان الحقائق في العصر الأخير، معلم الإيمان، والأستاذ الوفي للإسلام، صاحب الخلق السامي، والمستوى الرفيع، والوجه الصبوح والسياء المشفقة.. يكفيه فخراً أنه فرد من الأمة المحمدية، هذه الصفة أبرزت عنده النظرة الثاقبة، والحس المسبق، واكتشاف أهمية ومكانة العقل السليم، والتوصل بالعلم والفنون والمعرفة عند سلوك طريق الرب الحكيم، والتسلح بهذه الوسائل أساس في نشر دعواه، مدركاً منذ البداية الأوضاع والظروف التي أوجدها هذا العصر، وهو بهذا أصبح الراعي والقائد الذي يدرك ما هو الأفضل والأنسب للمسلمين على مختلف مشاربهم»^(١).

فتعالوا نقرب من مقومات هذا الداعية التي نستخلصها مما أدلى به الشهود الأواخر.

(١) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٦.

الفصل الأول

وظيفة الداعية

لقد أدرك الإمام النورسي أن الدعوة إلى إنقاذ الإيمان، ونشر حقائق القرآن والاعتداء بخير الأنام عليه الصلاة والسلام هي قلب الكون، وروح الوجود، وأنها ميزان العالم، وصمام أمن وأمان له؛ فتحرق قلبه شوقاً وهو يقوم بوظيفته في التبليغ، واشتعل ذهنه هما بتبعات هذه الوظيفة، سرى في دمه عرق بطولي عارم، دفعه لتحدي قدرات هي أعظم من قدراته، وإمكانات هي أعظم من إمكاناته، فما هذه الوظيفة التي قام بها الإمام النورسي أحسن قيام؟

المطلب الأول: إنقاذ الإيمان :

حينما سأل الحاكم الإمام النورسي: «ما هي مهنتك؟ أجابه الأستاذ: إنقاذ الإيمان»^(١)، ولقد كان - رحمه الله - صادقاً في دعواه كل الصدق؛ فهو لم يترك فئة من الناس، إلا واجتهد في إنقاذ إيمانها، حتى المحكوم عليهم بالإعدام في قضايا جنائية، ولم يكن هذا ديدنه وحده، وإنما تعلم منه طلابه الدرس عملياً، وترجموه واقعياً، ويعبر عن ذلك أحدهم بقوله: «أصبحنا سبباً لإنقاذ الكثير من السجناء من بؤسهم؛ فوجدوا الخلاص من أدرانهم، وشقاوة حياتهم، في قراءة القرآن، ومطالعة رسائل النور.. وعندما أخذوهم لتنفيذ حكم الإعدام، كان بعضهم يتلو القرآن، وبعضهم الآخر يقرأ الأدعية والأوراد، أو على سجادة الصلاة؛ ترى ماذا كان سيحصل لهم لو أخذوهم من مائدة القمار أو من الموبقات»^(٢).

(١) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٣٩٧.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٧٥.

المطلب الثاني: المرباطة في خدمة حقائق الإيمان والدفاع عن القرآن :

لقد جعل الإمام النورسي جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه، مدارج للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه، وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلاً ومرشداً وأستاذاً له، حتى إنه أعلن لمن حوله: «لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها»^(١).

وبرّ الإمام النورسي بقسمه، ويشهد بذلك الكثيرون؛ فقال أحدهم: «بينما كان قائد القوات المتطوعة في الحرب العالمية الأولى، الأستاذ بديع الزمان، يحارب ويبدع السلاح على رؤوس الجبال المكسوة بالثلوج تجاه الروس، كان يميل على أحد طلبته تفسيره «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»؛ ليقدمه إلى طلابه القادمين في المستقبل، كي يخوضوا غمار المحاربة المعنوية والفكرية والعلمية، تجاه الكفر والضلال»^(٢).

بل كان لا يجب أن يعرف تعريفاً غير كونه «دلالاً في محل جواهر القرآن الكريم، وخادماً فيه، ومنشغلاً بإعلان نور القرآن»^(٣).

وفي مرباطته - رحمه الله - لم يكن يعمل لنفسه أو لجاء أو لمنصب، أو ليرتاح ويعيش برفاه، «وإنما لإنقاذ الإيمان من الدرن الذي أصيب به، وتصفية الشبهات والشكوك، ومجاهد في سبيل التوحيد والتكاتف، ويمتنع عن الدخول في مواضع الخلافات وإثارة التفرقة، وكل ما يضر بالتآزر؛ لذا كان لا يدخل في التفرعات التي تخرج عن ما يتفق عليه المؤمنون من أصول مشتركة لا يختلفون عليها»^(٤).

ومن هنا، حرص كل الحرص على التأكيد في كل موقف دعوي على الوظيفة الرئيسية له، ولطلابيه، قائلاً: «إخواني؛ إن وظيفتنا هي خدمة الإيمان والقرآن الكريم بإخلاص تام، أما توفيقنا ونجاحنا في العمل وإقبال الناس إلينا،

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٦٦.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ١، ص ٥٠.

(٣) المرجع السابق، مجلد ٢، ص ٦.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢٣.

ودفع المعارضين عنا، فهو موكول إلى الله سبحانه؛ فنحن لا نتدخل في هذه الأمور، حتى ولو غلبنا، فلا ينقصنا هذا شيئاً من قوتنا المعنوية، ولا يقعد عن خدماتنا؛ فعلينا الثقة والاطمئنان والقناعة انطلاقاً من هذه النقطة»^(١).

المطلب الثالث: بناء الأسس المتينة:

من أولويات الداعية إلى الله، البدء ببناء الأسس المتينة، والنزول بالتدريج إلى الفروع. ولهذا فإن الإمام النورسي يرى أن أكبر حقيقة في الدنيا هي حقيقة الإيمان، وأن القضايا الإيمانية لها الأولوية في التبليغ. ولأجل ترسيخ هذه الأسس، يطلب من طلابه أن يذكروهم - إذا أحسوا غموضاً في حديثه - بتبسيط هذه الأسس، فيقول: «إن مواعظي غير مفهومة غالباً؛ لأن غايتي إصلاح الأسس التي يبنى عليها الإيمان، فإذا أصبح الأساس صلباً قوياً، فلا يؤثر فيه مؤثر بعد، حتى الزلازل.. فليجلس أحدكم إذن بجانبني، كي يذكرني عندما يصبح الموضوع غامضاً، لأبسطه بسطاً، وأشرحه واضحاً»^(٢).

والإمام النورسي في سبيل ترسيخ هذه الأسس، لا يلتفت إلى العوائق والإيذات، معلناً: «إن هدفنا وبرنامحن، إنقاذ أنفسنا أولاً، ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدي، والسجن البرزخي الانفرادي المؤبد، ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة، ومحافظة أنفسنا، بالحقائق القوية الفولاذية الواردة في رسائل النور، من الإلحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا والآخرة»^(٣).

المطلب الرابع: تبليغ الدعوة للناس كافة:

لما كانت مهمة الدعاة إلى الله هي التبليغ فقط، وعلمهم أن قبول هذا التبليغ أو عدم قبوله، موكول إلى الله تعالى، فإن الإمام النورسي حرص على أن يبلغ دعوة النور لكل من يلقاه، أو يستطيع التواصل معه، ولننعم النظر، ونشهد القلب،

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١٠٠.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ٨٧.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٤٢٨.

ونرهف السمع، ونحن نستعرض بعض المواقف الدعوية البليغة في دلالاتها على نفس الداعية، وإصراره على مواصلة الدعوة النورية في اتجاه الغاية المنشودة.

أولاً: دعوته للرعاة: فإن الإمام النورسي كلما مرّ على جماعة من الرعاة يتكلم معهم قائلاً: «إذا ما أديتم صلواتكم الخمس، فكأنما جميع ساعات نهاركم عبادة لكم.. إن عملكم خدمة للإنسانية، وإن المنتج من جهودكم من لبن وجبن ولحم وصوف، يعود إليكم أجرها، وتكتب لكم حسنات، لا يهم من كان المستفيد منها، وتحسب لكم صدقات، ولا تؤذوا هذه الحيوانات؛ فهذه حيوانات صدوقة ومخلصة»^(١).

ثانياً: دعوته للغجر: وقف الإمام النورسي في الطريق ينصح بعض الغجر ويقول لهم: «أنتم تقيمون في أماكن متواضعة، لعلمكم أن الدنيا فانية.. أنتم رفقاء في المهنة؛ لأنكم رحالة مثلي.

وبعد هذا الحديث معهم أصبحوا يحترمونهم - رحمه الله - ويقرّونه أينما شاهدوه»^(٢).

ثالثاً: دعوته للسائقين: فلقد حرص الإمام النورسي على أن يقول لكل من يقابله من السائقين: «إن خدمة السياقة خدمة للناس، وإذا قمتم بأداء الصلوات المفروضة، أصبحت جهودكم بمثابة عبادة لكم»^(٣).

رابعاً: دعوته للفران: فيحدثنا صاحب الموقف قائلاً: «عندما علم أن مهنتي فران، قال لي: إن أهل الأفران يؤدون خدمات عظيمة للناس في مجال تهيئة الغذاء لهم، وسد احتياجاتهم، إن عملهم يعتبر عبادة لهم، إذا ما كانوا يؤدون الصلوات»^(٤).

خامساً: دعوته لرجال الشرطة: فإن الإمام النورسي لم يدع فرصة من فرص مداهمة رجال الشرطة مسكنه للتفتيش، أو للتحقيق، أو للسجن، أو حتى للزيارة،

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٨.

(٤) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣٠٦.

إلا وانتهزها ناصحاً لهم، بمثل قوله: «أنا أقول إن التزام رجال الشرطة بالفرائض والتقوى والإيمان، واجتناب الكبائر، أولى من التزام رجال الدين وأهل التصوف في هذا الزمان؛ فهناك حاجة شديدة إلى وجودهم، وواجباتهم ووظائفهم تقتضي ذلك؛ لكي يستطيعوا أداء مهامهم فيحافظوا على الأمن العام أمام الذين يقومون بتخريب المعنويات»^(١).

وينصح مجموعة من الشرطة حالت بينه وبين زيارة مرقد «مولانا جلال الدين الرومي»، نصيحة مغلفة بالشكر، ومطعمة بالتوجيه غير المباشر الذي هو أبلغ أثراً، فيقول: «إنني أود أن أشكركم؛ إن تقبيل اليد عذاب بالنسبة لي، لقد كنتم أنتم من حالوا دون ذلك.. لقد خدمت أمن واستقرار هذا البلد مدة ثمان وعشرين سنة، قضيتها إما في السجون، أو النفي والإبعاد والمضايقات، والتعذيب والتنكيل.. أنتم تخدمون أمن هذا الوطن وسلامته من الناحية المادية، أما أنا فأخدمه من الناحية المعنوية؛ فلقد خدمنا نحن بقدر ألف من المدعين والحكام ومدراء الشرطة؛ لذا انظروا إلينا باعتبارنا زملاء في الواجب، ولا تنتظروا بعين أخرى»^(٢).

سادساً: دعوته للمعلمين: فما أبهى أنوار كلماته التي توجه بها إلى المعلمين موجهاً ومرشداً، بقوله النوري: «إنني أنظر إلى المعلمين من أهل الدين في هذه الأيام نظرة الأولياء في الأزمان الغابرة؛ لأن مهمة التربية كانت معطاة للوالدين قديماً، بينما يتولاها المعلمون هذه الأيام.. إن الخيرين من المعلمين هم أفضل الناس، والسيئيين منهم هم أسوأ الناس؛ لأن الأطفال الأبرياء يأخذون الكثير من معلمهم، فهم أمثال المغناطيس، يجلبون إليهم الصالح والطالح من تصرفات.. إن مكان المعلم الصالح في قمة المناثر، والسيئ في السافلين، ليس بينهم حالة وسطى، إما في أعلى عليين، أو في أسفل السافلين»^(٣).

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق المجلد ٤، ص ١٠٦.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٥٣.

سابعاً: دعوته للنواب في عهد الاتحاد والترقي (١٩٢٢م): فعندما لاحظ الإمام النورسي، وجود نسبة من السياسيين والنواب يتهاونون في أداء الصلاة، وجه دعوته إليهم قائلاً: «إن كان في طريق تسعة احتمالات للهلاك واحتمال واحد فقط للنجاة، فلا يسلكها إلا مجنون طائش لا يبالي بحياته؛ ففي أداء الفرائض الدينية نجاة بتسع وتسعين بالمائة، علماً أنه لا يستغرق هذا الأداء إلا ساعة واحدة في اليوم، مقابل ما قد يمكن أن يكون احتمال ضرر واحد فقط يصيب الدنيا ومن حيث الغفلة والكسل. بينما إهمال الفرائض وتركها فيه احتمال تسع وتسعين بالمائة من الضرر، مقابل احتمال واحد بالمائة من احتمال النجاة من حيث الغفلة والضلالة.. فيا ترى أي مسوغ، وأي مبرر يمكن ابتداعه في ترك الفرائض الذي يصيب ضرره الدين والدنيا معاً؟ وكيف تسمح حماية الفرد ونخوته بذلك التهاون؟»^(١).

ثامناً: دعوته لرئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك: لما وجد الإمام النورسي استهانة مصطفى كمال أتاتورك بالصلاة، قال له محتداً: «باشا پاشا» إن أعظم حقيقة في الإسلام بعد الإيمان هي الصلاة، والذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود»^(٢).

تاسعاً: دعوته للسياسيين الديمقراطيين (١٩٥٠م): فإن الإمام النورسي ما فتى يوضح للسياسيين الديمقراطيين، طبيعة دعوة النور، ونهج طلاب النور، قائلاً لجماعة منهم: «ليس لرسائل النور وطلبتها أية علاقة بالأمر السياسي، ولا يحملون نية التشكيك بها؛ لأن خدماتنا ليست دنيوية بل أخروية.. إن طلبة رسائل النور ليسوا أدوات إلا لإرضاء الله تعالى، لذلك لا يهدفون إلى مشاركة التيارات السياسية؛ لأن الذين يأتون لتلقي الدروس الإيمانية، لا يمكنهم أن ينظروا بعين الانتماء إلى طرف ما؛ لا فرق بين الصديق والعدو في محافل الدروس، في حين أن السياسة تستوجب الانتماء، وهذا يؤذي المعاني الإيمانية، ويكسر الإخلاص. إن طلاب رسائل النور

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٦.

رغم تعرضهم لأشد أنواع التعذيب والأذى والضيق، يتحملون ذلك بحلاوة، ولم يصبحوا أدوات وآلات لأي شيء، ولم يمدوا يدهم ليمسكوا مقابض السياسة. إلا أن رسائل النور وبسبب تخطيطها قواعد الكفر المطلق، وما تحته من التمرد والعصيان، وما فوقه من الاستبداد المطلق؛ فإنها على تماس من نوع خاص بالسياسة. لقد ثبت هذا من دوام طرز الحياة لمدة خمسة وعشرين عاماً، وما رافقها من دعاوى في المحاكم، إلا أنها لم تستبدل مسألة إيمانية واحدة بكل زخارف الدنيا^(١).

عاشرا: دعوته لوزير المعارف والعدل وأركان الدولة: فقد وجه الإمام

النورسي رسالة إلى الوزير «توفيق إيلري»، جاء فيها: «لا وسط بين الكفر والإيمان؛ ففي هذه البلاد وتجاه مكافحة الشيوعية، فليس هناك غير الإسلام، وليس هناك وسط؛ لأن التقسيم إلى يمين ويسار ووسط، يقتضي ثلاثة مسالك، وهذا يصدق لدى الإنجليز والفرنسيين، ويمكنهم أن يقولوا: اليمين الإسلام، واليسار الشيوعية، والوسط النصرانية. إلا أن الذي يجابه الشيوعية في هذه البلاد ليس إلا الإيمان والإسلام؛ فليس هناك دين ومذهب آخر يجابهها، إلا التحلل من الدين والدخول في الشيوعية؛ لأن المسلم الحقيقي لا يتنصر ولا يتهود، بل إذا خلع دينه يكون ملحدًا فوضوياً إرهابياً.

وكما أدرك وزير المعارف والعدل هذه الحقيقة، سيدركها بإذن الله سائر الأركان في الحكومة حق فهمها، فيحاولون الاستناد إلى قوة الحق والحقيقة والقرآن والإيمان، بدلا من اليمين واليسار، وينقذون بإذنه تعالى هذا الوطن من الكفر المطلق والزندقة، ومن دمارهم الرهيب^(٢).

حادي عشر: دعوته لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء: فإن رسالة

الإمام النورسي إلى «جلال بايار» رئيس الجمهورية التركية، و«عدنان مندريس»

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

رئيس الوزراء، تضمنت ما يلي: «رجل على شفير القبر جاوز الثمانين، وابتلي بأمراض عديدة، شيخ غريب ضعيف.. لقد ظهر أضرار ومخاطر النعرة القومية والعنصرية في عهد الأمويين، كما فرقت الناس شر فرقة في بداية عهد الحرية وإعلان الدستور؛ حيث تأسست النوادي والتكتلات، كما استغلت آثار النعرة القومية مجددا للتفريق بين الإخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين، فعم الاضطراب، وسلبت راحة الناس.

علما أن الإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية والعنصرية التي فطروا عليها. والأتراك مسلمون في أنحاء العالم كافة، فقوميتهم مزجت بالإسلام لا يمكن فصلهم عنه؛ فالتركي يعني المسلم، حتى إن غير المسلم منهم لا يكون تركيا.

وكذلك العرب؛ فإن قوميتهم مزجت بالإسلام أيضا، وينبغي هكذا؛ فقوميتهم الحقيقية هي الإسلام وهو حسبهم ألا إن العنصرية ودعوى القومية خطر عظيم»^(١).

ثاني عشر: دعوة العصاة والإشفاق عليهم: إن كل من تعامل مع الإمام النورسي، من الشهود الأواخر، يشهدون بأنه - رحمه الله - ما عامل عاصيا بقسوة، وإنما كان يبدي له الشفقة والرحمة؛ ففي يوم «رأى شخصا في حالة سكر شديدة، فاقرب منه وقال له: يا أخي، تعال واجلس جنبي ولنتكلم معا، فجلس السكير إلى جواره.. قال له الإمام: أريد منك أن تعديني على أداء الصلوات الخمس، وصوم شهر واحد في السنة، وأنا أعدك أن أدعوك طالما أنا على قيد الحياة. هنا أخذ السكير ينشج من البكاء. وقال: والله وبالله أقسم إنني أعدك، أعطيك وعدا وكلاما بأنني سأذهب وأغتسل اليوم، وأقوم لأنسحر هذه الليلة، ويكفي أن تدعولي. ولكي أتخلص من هذا الوضع المزري، فلن أترك صلواتي ولا صومي»^(٢).

(١) النورسي: الملاحق، ص ٤١٥.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٣، ص ٢١٠.

بل إنه - رحمه الله - كان أستاذ المعنويات العالية في دعوته للعصاة؛ يقول أحدهم: «قال لي يوماً: هناك شكاوى بحقك. تلعب القمار، وتشرب الخمر، وتحضر حفلات الرقص، هل كل هذا صحيح؟ أجبتة: نعم؛ صحيح كل هذا، يا استاذي.

قال: لن أستطيع أن أقول لك لا تفعل؛ أقول من الأفضل ألا تفعل. إذا ما قلت لك: لا تفعل، أتحمّل تبعات قولي يوم الحساب يوم الحشر، وهذا تدخل بين العبد وربه»^(١).

ثالث عشر: دعوة المخالف في المذهب الديني: فقد قال لمعلم من الطائفة العلوية، برأفة ورقة: «أنتم لا تحترمون الإمام علياً؛ فلقد كان سيدنا علي يصلي صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء. وإذا كنتم تحبون الإمام علياً، قوموا بأداء صلواتكم»^(٢).

رابع عشر: دعوة الآخر الديني: فقد تحدث الإمام النورسي مع بطريك الروم الأرثوذكسي الأكبر «أثينا غوراس»، «وقال له: أنتم إذا ما اعترفتم بأن القرآن كتاب الله، وعملتم بمقتضى الدين المسيحي الحقيقي، لأصبحتم من أهل النجاة. فيجيبه البطريك: أنا أقبل بهذا»^(٣).

(١) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١٦٥.

الفصل الثاني

من سمات الداعية وأخلاقه

بما أن الإمام النورسي قد عاش حياته للدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه، فإن كلامه يصدر محملاً باللطاف من الشفقة والرحمة بأولئك الغافلين عن درب الإيمان، وينطق بالصدق الذي يفتح القلوب والعقول، ويشرق بشمس الأمل والثقة في تأييد الله لعباده المؤمنين، ومن هنا استطاع أن يحقق في نفسه سمات متميزة، وأخلاقاً يشهد لعظمتها العدو والصدیق.

المطلب الأول: أهلية التصدر للدعوة:

فإن حمل أمانة الدعوة إلى الله يتطلب من المتتبعين لحمل هذه الأمانة أمرين :

أولاً: جودة المعرفة بأصول الإسلام وفروعه: تلك الجودة التي تمكنهم من نقل حقائق الإيمان والإسلام إلى الناس، فيعلم المدعوون أن الإسلام صلة قائمة تربط الإنسان بربه، وتوجهه في شؤون حياته كلها.

والإمام النورسي تمكن في شبابه المبكر من إكمال المواد المقررة حسب منهج العلماء العثمانيين في ذلك الوقت، واستوعب ما يقرب من تسعين كتاباً من أمهات الكتب في العلوم الدينية واللغوية وعلم الكلام.

ولما وقف على كون علوم المدنية الحاضرة ضرورية أيضاً لتبليغ دعوة الإسلام إلى إدراك العصر، قام بجهد الشخصي بدراسة الأحياء والكيمياء والفيزياء والجولوجيا، والرياضيات وعلم الفلك، والتاريخ والجغرافيا والفلسفة^(١).

ثانياً: الروح المعفمة بالحق والنشاط والأمل واليقظة: فمهمة الداعي إلى الله أن يرمق الحياة بعين ناقدة وبصر حديد، حتى إذا رأى فتوراً نفخ فيه من روحه ليقوى،

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٦٢-٦٣

وإذا رأى انحرافاً صاح به ليستقيم، إنه في مجتمعه متحرك من تلقاء نفسه للتحذير والتنبيه، كلما عرض لحقائق الإيمان وتعاليم الإسلام ما يعكر صفوها، ويعوق انطلاقها. وإن الإمام النورسي بعينه الناقدة، وبصره الواعي، وبصيرته النورانية النافذة، أدرك الخطر حينها وصل أنقرة، ورأى عن كثب غزو العقلية الأوربية، وضعف الاعتقاد والتمسك بالإسلام، فأعلن: «إنه لا يؤمني سوى المخاطر المحيطة بالإسلام؛ إذ كانت المخاطر سابقاً تأتي من الخارج، وكانت مقاومتها يسيرة. أما الآن، فإنها تأتي من الداخل حيث دبت الديدان في الجسد فتعسرت المقاومة. إنني أخشى ألا تتحمل بنية المجتمع هذا الداء الويل، لأنه لا يحس بالعدو، ويظن من يقطع شريانه ويمص دمه صديقاً له. وإذا عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد، فقلعة الإيمان إذن في خطر، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يؤمني».

إنني أرى الرؤوس الكبيرة سادرة في الغفلة؛ فقلعة الإيمان لا تستند بأعمدة الكفر النخرة، ولهذا أبذل كل جهدي وسعيي في الإيمان وحده. إنني أترنم بجوهر حياة المجتمع، وبوجوده المعنوي، وبوجدانه وإيمانه، وقد حصرت انشغالي في أساس التوحيد والإيمان الذي أسسه القرآن؛ إذ إن العمود الرئيس لمجتمع الإسلام هو هذا، فإذا تزلزل ضاع المجتمع»^(١).

المطلب الثاني: الصلة بالله وعمق العالم الروحي :

فمن البدهيات أن قوة الصلة بالله والعمق الروحي للمسلم بصفة عامة وللدعاة بصفة خاصة، هي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة؛ فالصلة الإلهية روح ينفث الحياة، وينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدفء. وبقدر العمق الروحي للداعي، ينعكس قوله على الآخرين؛ فكلما اقترب إلى المولى عز وجل، قرب المولى إليه حتى يكون بصره التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها؛

فيكون الله سبحانه وتعالى أساس كل حركة له، بمعنى أن حركاته كلها تجري في ظل تأييد الله سبحانه وتعالى.

وبهذا الخلق العظيم عاش الإمام النورسي معتزاً بنسبته إلى الله، لا يهون ولا يهين، ولا يعدل بدعوته إلى الله والتبليغ عنه حقائق الإيمان والإسلام شيئاً، لذلك كان أكبر من الحياة وما فيها، وفي هذا المضمار تكفينا شهادة أحد معاصريه من المفكرين الأتراك إذ يقول: «إن «سعيد النور» شيخ كبير السن وذو حفظ عظيم، يلتف حوله الناس من عمر ثماني سنوات إلى ثمانين سنة؛ أعمارهم وعقولهم وأشغالهم شتى، لكنهم يجتمعون على شيء واحد: الإيمان بالله رب العالمين، برسوله الكريم ﷺ، وبكتابه العظيم، ونرى كل واحد منهم كمن وجد شيئاً بعد أن ضيعه. كأن القرآن يتنزل طرباً، حينما تطلع على «سعيد النور» وطلابه؛ تحس بنفسك في خير القرون، وجوهم نور، باطنهم نور، ظاهرهم نور، وكلامهم في حضور واطمئنان.. ما أعظم السعادة في ربط الأصرة بخالق الكون العلي القدوس الدائم الحاضر الناضر! وما أجمل السير في سبيله! بل عشق سبيله حتى الوله!.

«سعيد النور» شيخ عاصر ثلاثة عهود، وخبر حوادث الزمان.. عهود زاخرة بالتغيير والانقلاب والانهدام وما من شيء إلا وأصابه الهدم، غير رجل واحد ظل منتصباً، رجل قدم إلى إستانبول من شواهد الشرق، من حيث تشرق الشمس، يحمل إيماناً راسخاً كالطود، جعل هذا الرجل صدره المنعم بالإيمان سداً منيعاً أمام أشرار العهود الثلاثة، ولم يفتأ يدعو إلى الله، ويدعو إلى الرسول، ولا إلى شيء إلا الله والرسول.

رأسه شامخ كقمة جبل «آارات» لم يطأئه ظالم، ولم يغلبه عالم، صلب كالصخور، إرادة قوية عجيبة، ذكاء كالبرق، هذا هو «سعيد النور».. لم تكن المحاكم العسكرية والمدنية والانقلابات والثورات، ومنصات الإعدام المنصوبة له، وأوامر النفي والتغريب، رجل المعنويات العظيم عن طريقه.. قاوم كل ذلك

بقوة وشجاعة لا نهاية لها، نابعتان من الإيمان بقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) فكان كلام الله هذا تجلي في «سعيد النور»^(١).

المطلب الثالث: الإخلاص التام:

فإن روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع، الإخلاص الذي هو فريضة على كل عابد وهو في محرابه الخاص، بينما بالنسبة للداعي فهو فريضة أكدة، وعقدة أوثق، وإن اتساع نطاق العمل، واشتباكه مع أحوال الناس، يجعل الداعية أحرص على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه، حتى لا يضل الغاية، ولا يجيد عن النهج. وإن طريق النور ودعوة النور هو طريق الإخلاص، الذي تناوله الإمام النورسي في رسائل النور، ومع كثرة هذا تناول أفرد له رسالة مستقلة «رسالة الإخلاص»، التي كتب في مستهلها: «يجب أن تقرأ كل خمسة عشر يوماً على الأقل»^(٢).

ولهذا أكد الإمام النورسي على أن «طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء، فحتى لو مُنحوا مرتبة القطبية يفضلون عليها خدمة الإيمان، حفاظاً على الإخلاص»^(٣).

ولقد عمد الإمام في تربيته لطلاب النور إلى جعل الإخلاص غاية الغايات في نفوسهم وعقولهم، ويبين ذلك لأحدهم بقوله: «أخي العزيز الفطن؛ نحن نهرب هروبا من احترام الناس إيانا وتوقيعهم لنا، وحسن ظنهم بنا، وإكرامهم لنا، وإعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكتنا.. فاللهات وراء الشهرة التي هي رياء وعجب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عجب ذو فتنة، وحب الظهور وكسب إعجاب الناس، كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه»^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) النورسي: اللمعات، ص ٢٢٥.

(٣) النورسي: الملاحق، ص ٢١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٨٩.

ويزيد - رحمه الله - الأمر توضيحاً وترسيخاً، فيقول: «بل قد جرحت أكثر من مائة مرة مشاعر طلاب النور الذين يحملون حسن ظن مفرط بشخصي.. فأنا لست المالك لبضاعة النور، بل لست إلا دلالاً ضعيفاً بسيطاً في حانوت مجوهرات القرآن»^(١). ويمتد إخلاص الإمام النورسي إلى ما بعد الوفاة، وكم من شاهد يذكر تكراره لوصيته التي قال فيها: «لقد طلبت من ربي إطالة عمري، والحمد لله رأيت كل ما تمنيته، وأرجو أن يبقى مكان وموقع قبري خفياً وسراً لا يعرفه سوى اثنين أو ثلاثة من طلبتي؛ فكما كانت الهدايا التي بدون مقابل تؤذيني في الحياة الدنيا، فإن هناك أحوالاً تصيب فيها العين، وقد أعطيت هذه العلة لأجل الإخلاص الكامل والتام لرسائل النور؛ ذلك لأن الرياء متستر هذه الأيام تحت ستار الشهرة والشرف.. يلزم ترك الأنانية كلياً بالتوسل والإخلاص التام»^(٢).

المطلب الرابع: الصبر الجميل :

فإن أعظم مقياس للقوة والقدرة في طبيعة الداعي، هو الصبر وتحمل المشقات والابتلاءات، وإن أصالة الداعي تتجلى مشرقة في المحنة وآلامها، وما أجمل توجيه الإمام النورسي في قوله: «وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهم الحقائق وأجلها، وأشدها رسوخاً وثبوتاً، ولا يمكن تقييمها أو تقديرها بأية قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبیب، بل الدنيا بأسرها في سبيل تحققها، فلا بد إذن من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وأن نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء»^(٣).

وعن كون الإمام النورسي نموذجاً في الصبر والتحمل، يقول أحد الشهود: «أعطى أفضل مثال للعفة والنزاهة، وصبر على جميع أنواع المكاره والمضايقات، ونذر نفسه لإظهار الحقيقة، وإظهار الأنوار القرآنية والمعارف المحمدية»^(٤).

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٤٦٨.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٧٤.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٣٧٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٠٩.

المطلب الخامس: الشجاعة:

إذا لم يكن الدعاة الصالحون من وضوح النية وروعة السلوك، وتألق السيرة، على النحو الرائع البارز، فهيئات أن يفوز بهم مبدأ، أو تنجح بهم فضيلة؛ لأن طبيعة الشر عنف المصدر، وحدة المسير، ومقتضى ذلك أن يكون الإيمان قادراً على الظهور، قادراً على الحركة، قادراً على المقاومة، شجاعاً في تصرفاته جميعاً.

ولهذا كانت الشجاعة خلقاً أصيلاً في الإمام النورسي، وشيمة لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس، ويواجه ما يواجهه من بلايا وتحديات.

وإن مدد هذه الشجاعة التي صبغت حركاته كلها، ونبعها الدافق، اعتقاده الجازم بأن حقائق الإيمان يجب أن تسود، وأن هدى الله الذي عبرت عنه رسائل النور بأسلوب العصر، يجب أن يعلو، وأن طلاب النور ما ينبغي أن تخفت أصواتهم، ولا أن يغلبوا؛ لأن خصومهم في الأرض ليس لهم حظ ومهابة.

هذه الشجاعة التي تحلى بها الإمام، لم تكن قاصرة على ميدان الجهاد المعنوي السلمي، بل تجلت من قبل وقت الحرب العالمية الأولى، حتى قيل له إبان الحرب: «يا ملا سعيد؛ ماذا جرى لك؟ فهل أنت أشجع الناس؟ فلقد انسحبت الحكومة وانهمز الأهالي في حرب «بتليس»، ولم تنسحب أنت، بل ثبتت وستون شخصاً معك أمام العدو أيماً ثبات، وقد أصابتك كل هذه المصائب من وراء شجاعتك. فابتسم الأستاذ، وقال: قد فدينا أنفسنا لأجل إنقاذ الأبرياء من الناس، وتطهير الوطن من الأعداء؛ فلا أهمية تذكر للمظالم والمعاناة التي قاسيناها لأجل سعادة المسلمين»^(١).

وفي عام (١٩٥٢م) «دعاه مباشرة وكيل وزير التربية الباكستاني «علي أكبر شاه» إلى زيارة باكستان، ووعدته بتخصيص محطة إذاعة ومطبعة تحت تصرفه. فأجابه الأستاذ أمام هذا العرض: أخي «علي أكبر شاه»؛ هذه الخدمات يجب أن تؤدي

وجها لوجه؛ إن الخدمة لا تؤدي من وراء الستائر، إن العلة الرئيسية والأساسية بدأت من هنا.. حتى ولو كنت في مكة المكرمة لأتيت إلى هنا، إن الخدمة الأصلية تكون هنا، لأن الجبهة هنا»^(١).

المطلب السادس: التضحية:

فإن التضحية من السمات الواضحة في شخصية الإمام النورسي، فهو قد وضع التضحية أمام عينيه من البداية، تضحية بكل الأمور المادية والمعنوية التي يتغنى بها الآخرون، تضحية غالية بلا حدود ليتنعم الآخرون، وما أعمق تضحيته! تلك التي عبر عنها بهذا القول البليغ: «لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة المجتمع؛ فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد، بل ألف سعيد قربانا، ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي، بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي»^(٢).

ويعبر - رحمه الله - عن نفس المعنى بأسلوب آخر، قائلا: «لي حياتان أعيشهما: حياة معنوية أخروية، وأخرى دنيوية، لازلت ممسكا بهما معا. أنا على استعداد للفداء بهما عندما يقتضي الأمر، ليتجنبني الذين يملكون حياة واحدة»^(٣).

المطلب السابع: الإيثار والحذر من الأنانية:

لأن طريق الدعوة النورية يقتضي ترك الأنانية، والمحافظة على الإيثار والإخلاص، وبتعبير الإمام النورسي: «إن مسلكنا ينحصر في هذا الوقت في خدمة الحق وحده وترك الأنانية كليا، ولا يحصل بغير ذلك قطعاً، وقد اقتنعنا بهذا قناعة تامة. كما أن نفسي الأمارة منذ عشرين سنة، اضطرت إلى الرضوخ إلى هذا المسلك. نحن مكلفون في كل الأحوال بالمحافظة على الإخلاص الذي هو مسلكنا وطريقنا»^(٤).

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٢٤٨.

(٢) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٥٧.

(٣) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ٦٦.

(٤) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣٣٣.

المطلب الثامن: المهمة العالية، والغيرة على الدعوة :

فلقد كان الإمام النورسي يؤدي دعوته النورية بهمة عالية في جوٍّ مفعم بالعشق، لدرجة أن الدعوة النورية كانت شوقه الدائم وعشقه لا يبتغي عنها عوضاً، وينقل إلى طلاب النور هذه المهمة مع الغيرة على دعوة النور، معلماً إياهم بقول واضح: «إخوتي الأعزاء؛ اعلّموا يقيناً أن الوظيفة التي ينشغل بها طلاب رسائل النور، مسألة أجل وأعظم من أعظم مسائل الكرة الأرضية قاطبة، فلا تفوتوا في مهمتكم الباقية، ملتفتين إلى مسائل دنيوية مثيرة للاهتمام، اقرؤوا كثيراً المسألة الرابعة من رسالة الثمرة، كيلا تخور عزائمكم وتضعف قوتكم المعنوية»^(١)

ويبين لهم ملامح الغيرة المحمودة على تلك الدعوة المباركة تلك الغيرة الإيجابية التي تتطلب الإدراك بأنه: «لا بد أن نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا، في وظيفتنا المقدسة، ولا بد أن نعد كل ما هو خارج عنها أموراً لا تعيننا بشيء، فلا نضيع وقتنا بها؛ لأننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن إذا ما اعتدى علينا، نظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني»^(٢).

وعندما يشفق عليه أحد طلابه مما يقوم به من أعمال كثيرة، ويطلب منه أن يستريح قليلاً، ويعمل هو مكانه، فيقول له: «أخي؛ إن همتي وغيرتي لا تسمحان لي بالعودة وأنت تعمل أمامي؛ فلو عرفت ما في الغيرة والمهمة من خير، لكنت تقضي عمرك كله دون أن تخلد إلى الراحة، فما كانت لتفوتك دقيقة فارغة»^(٣).

المطلب التاسع: الرحمة والشفقة:

فالدعوة النورية قامت على الرحمة وانطلقت من الشفقة بكل أبعادها ومدلولاتها، وإن رسائل النور التي «هي من المعجزات القرآنية، وسلاح ضد أعداء

(١) النورسي: الملاحق، ص ٢٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٨.

(٣) نجم الدين شاهينز: الشهود الأواخر، المجلد ١، ص ٨٥.

الدين والحركات الإلحادية، تقوم بإصلاح النفوس والأرواح المتحطمة تحت تأثير الحركات الإلحادية، وبروح معنوية، ودعم إيماني كبير، وإسناد عظيم^(١).

ولما كان القرآن الكريم قد حصر رسالة النبوة الخاتمة، وحدد هدفها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فإن الإمام النورسي، أوضح بسلوكه العملي قبل القول، أن العالمين لا تقتصر على عالم الإنسان، وإنما تتجاوز إلى العوالم الأخرى جميعها؛ فالمخلوقات على تنوعها عضويًا ووظيفة، منشأها وأصلها واحد؛ فهي متجانسة متأخية مترافقة بأصل المنشأ.

ومن هنا، فإن الرحمة والشفقة تشمل كل الكائنات والمخلوقات إضافة إلى الإنسان، فالرحمة هي أعلى درجات السمو والراقي والتعاطف والحنو والرأفة والإحسان، وهي منبع صفات وخصائص الخير جميعا، وهي غاية الدعوة النورية وقاعدتها في نفس الوقت، كما أنها معيار السلوك الراقي عند طلاب النور، ذلك السلوك المثير للاقتداء، والذي يحول دون القسوة والجفاء؛ فهي شاهد من تأثروا بهذا السلوك في حياة النورسي يقول: «كان الأستاذ شديد الشفقة والرأفة بالأحياء، فلم أره طول حياته، يؤذي حيوانا حتى النمل»^(٢).

ويتعجب من شدة شففته ورحمته بالحيوان، فيضيف: «عندما نذبح ذبيحة، يقول الأستاذ لنا: ضعوا ما لا تحتاجونه من اللحم في موضع كي تأكله الحيوانات»^(٣).

ويحدثنا آخر عن هذه الرحمة العالية عند الإمام، فيقول: «كان الأستاذ رحيما شقيقا بالمخلوقات جميعا، لا يرضى لنا طرد الذباب من الغرفة إلى الجو البارد في الخارج، ويقول: إن هذه الحشرات على وشك الفناء قريبا، لم يبق من أعمارهم الكثير، إنهم أصدقائي في هزيع الليالي»^(٤).

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ٩٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

وما أبلغ الدرس العملي الذي تلقاه أحدهم! وما أروع تعليم الإمام له! يقول المتعلم الذي قتل سحلية: قال الأستاذ:

- هل تعرض لك هذا الحيوان؟، فأجاب: كلا.
- هل أخذ منك شيئاً؟، فأجاب: كلا.
- أأنت ترزق هذا الحيوان؟، فأجاب: كلا.
- هل تجول هذا الحيوان في أملاكك؟، فأجاب: كلا.
- أأنت الذي خلقتة؟، فأجاب: كلا.
- من قال لك اقتله؟! إن في خلق هذه الحيوانات ألفاً من الحكم الربانية، أنت يا أخي قد أخطأت في قتل هذا الحيوان»^(١).

المطلب العاشر: الأمل والثقة في تأييد الله:

فلقد كان الأمل باعث العمل على نشر الدعوة النورية عند الإمام النورسي، بل مؤلّد للتلذذ بالخدمة الإيمانية، وموقظ الطباع المختلفة؛ لتنشط ببذل المزيد من الجهد لإعلاء حقائق الإيمان.

ومع الأمل تتعانق الثقة في تأييد الله، تلك الثقة التي هي روح التوكل على الله في الدعوة إليه سبحانه. ملأت هذه الثقة كيان الإمام النورسي، حتى أمن في نفسه وعقله ووجدانه من فوت ما قدره الله من نصرة دعوة النور، وطلاب النور؛ فظفر - رحمه الله - بروح الرضا مع عين اليقين، ولطف الصبر.

ولقد عمد الإمام النورسي إلى تعميق ذلك في نفوس طلابه، بمثل قوله: «يا أولادي لا تقلقوا أبداً؛ فإن رسائل النور قصمت ظهر أعداء الدين والماسونيين، إن رسائل النور منتصرة دائماً»^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٨٢.

وكثيراً ما يرسخ هذه السمة باعثاً الطمأنينة في نفوس طلابه، قائلاً: «يا أخي؛ لا تخافوا أبداً؛ لقد قصم ظهر الكفر، إنني أهنتك، سيشتع نور الإسلام بعد الآن إن شاء الله؛ لقد تهدمت الشيوعية واللا دينية»^(١).

ويضيف - رحمه الله - مؤكداً: «أخي؛ إن خدمة صغيرة في سبيل النور ستعطي نتائج كبيرة، وإن خدمتنا مقدسة، وفي سبيل خدمة الإيمان، لا يأخذن منكم التعب والملل والإحباط»^(٢).

ولنتأمل معالم هذا الأمل الواقعي، ولنستشعر أحاسيس الثقة اليقينية في تأييد الله، ولنصغ إلى كلمات الاستبشار المشرقة، في هذا الحوار الذي دار بين الإمام النورسي، وشرطي روسي: «قال الشرطي الروسي: إنني أحرار من فرط أملكك - رد الأستاذ: وأنا أحرار من عقلك! أيمن أن تتوقع دوام هذا الشتاء؟! إن لكل شتاء ربيعاً، ولكل ليل نهاراً.

- قال الشرطي: لقد تفرق المسلمون شذر مذر.

- رد الأستاذ: ذهبوا لكسب العلم؛ فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفء يدرس في إعدادية الإنجليز، وها هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدروس في المدرسة الإدارية السياسية للإنجليز، وها هو القفقاسي والتركتاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس. فها هذا؛ إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعدما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في آفاق الكمال، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء»^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٢.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٥٠.

المطلب الحادي عشر: التسامح والعفو:

فالإمام النورسي كان سمحاً في جميع أطواره، عفواً عن قدرة، حليماً عن عمق روح، واسع الصدر، صاحب آفاق ممتدة في النظر، وفي نفس الوقت ليس عنده أدنى تنازل عن دعوة النور، ولا يقبل المهادنة مطلقاً.

فها هو يقول لعريف أمسك بتلابيبه: «لو كنت أريد الانتقام لانتقمته خلال ساعتين من الذين يسومونني العذاب، ولكنني لإرضاء الله تعالى أجاهد وأعمل لإنقاذ إيمان هذه الأمة»^(١).

بل كان - رحمه الله - «يمتنع من الدعاء على أعدائه، لما تمتع به من شعور إنساني عال، وصفة الرحمة والشفقة التي تتصف بها شخصيته الإنسانية، بل يدعو ربه أن يكون الإيمان من نصيبهم»^(٢).

ويبرر الإمام النورسي هذا الأمر لمن يستغرب عليه ذلك، فيقول: «لما كانت الشفقة دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلک رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم، بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص بريء»^(٣). وكان كثيراً ما يقول لطلابه بخصوص من آذوهم: «إنني سأحت الذين آذوني، أنتم كذلك سامحوهم»^(٤).

المطلب الثاني عشر: مداومة العبادة والدعاء:

فلقد كانت المداومة على العبادة والدعاء، وصفاً ملازماً للإمام النورسي، لا يقل عن أوصافه الأخرى؛ لأنه لا يترقب تأثير كلامه في المخاطب، ونفوذه إلى قلبه إلا من الله تعالى.

(١) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٣٥٣.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٤٣٩.

(٤) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٤، ص ٧٠.

ولقد اهتدى كثيرون بالدعاء والتضرع القلبي، لذا كان الدعاء هو الحصن الحصين الأول والأخير للإمام - رحمه الله - ويؤكد على ذلك ما رواه الشهود الأواخر بأن «حياته كانت تجري ضمن نظام دقيق يغطي كل أربع وعشرين ساعة من يومه؛ كان دائماً يحافظ على تسبيحاته وأذكاره الليلية وصلوات التهجد، ويتنظر الأسحار وهو منهمك في الذكر والدعاء، وكانت له ساعة من الزمن وكأنه يتهجد مع كل ذرات هذا الكون. أما حياته في النهار، فكانت تجري بانتظام بين الحاجات الإنسانية، القراءة والتصحيح، واستقبال الزوار، والتدريس»^(١).

المطلب الثالث عشر: رهافة الحس:

فإن الإمام النورسي أحب الإنسان وأشفق عليه، وحزن لآلامه، وتألّم لشقائه؛ فدعاه للارتقاء بفكره ومشاعره وطموحاته إلى معاني الخلود والأبدية، وألا يكون سلبب الدنيا بضيقها ومحدوديتها، وحثه على رؤية فساد نفسه، وفساد العالم من حوله، وأن يتبصر في ذاته، لأن هذا التبصر هو الخطوة الأولى في تبصره للعالم الواسع، مما يجعل قواه العقلية في حركة دؤوب، ومع حركتها تتحرك قواه وتتجدد نحو الأفضل، ويلخص أحد طلابه ذلك بقوله: «لقد كان قلبه الرحيم يبكي ألماً وشفقة أمام آلام البلد والأمة، وعلى الرغم من كل أنواع الغدر والإهانة التي تعرض لها، فإنه لم يتخل عن إيفاء وظيفته لإسعاد من حواليه، وعلى الرغم من شيخوخته وبؤسه، إنه بذل جهوداً مضنية، وناضل بكل قوة في سبيل الله تعالى، لإنقاذ الناس من غيابة الجهل ومن لجة الإلحاد»^(٢).

المطلب الرابع عشر: المنطق والواقعية:

فلقد تميز الإمام النورسي بالمنطقية في تقيمه للأحداث، وفي تفهيمه مخاطبيه؛ فهو دائماً ينزل منازلهم ومستوى مداركهم، ومن ثمّ يقنعهم بحديثه، وبخاصة أن كلامه وأطواره وتصرفاته منطقية ضمن حدود المعقول والواقع؛ فلقد كان - رحمه الله -

(١) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٢٥.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٦١١.

«يكلم مخاطبيه حسب قابلياتهم ومستوياتهم، وكان الجميع يخرجون من عنده برضا تام وقناعة كاملة»^(١). فإذا وجد بعضهم قلقا بسبب عدم الفهم الكامل، يطمئنهم قائلا: «إن الرسائل تخاطب الناس كافة، اعتبارا من الإنسان الأمي و إلى مستوى الفلاسفة؛ يكفيكم ما تفهمونه من الحقائق من الأمثال المضروبة؛ فإن الذي يدخل بستان فاكهة التفاح يكفيه ما يحصل عليه من متناول يده من الفاكهة، وطوال القامة يحصلون على التفاح من أعلى الأغصان؛ لا تحزنوا لما لا تستطيعون فهمه، حتى أنا بحاجة إلى رسائل النور»^(٢).

المطلب الخامس عشر: مراجعة النفس:

فإن الوعي بالذات، وإدراك معنى الالتزام بالإسلام وحقائق الإيمان، ومحاسبة النفس ومراجعة واقعها، من السمات المميزة للإمام النورسي، تلك السمات التي أوقفته وقفة مراجعة متأنية ينتفع بها قلبه وعقله وفكره، بعدما دخل عزلة خرج منها سعيدا الجديدا، ولنطالع مراجعته تلك من قوله: «كان سعيد القديم، قبل حوالي خمسين سنة، لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية، يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلا في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة. وكان لا يكتفي بالحركة القلبية وحدها - كأكثر أهل الطريقة - بل جهد كل الجهد أولا لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام، التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب الفلاسفة.

ثم أراد بعد أن تخلص من هذه الأسقام، أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكل من أولئك العلماء خاصية جاذبة خاصة به، فحار في ترجيح بعضهم على بعض.

فخطر على قلب ذلك السعيد القديم الممخض بالجروح، ما في مكتوبات «الإمام الرباني» من أمره له غيبا: «وحد القبله»؛ أي إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن

(١) نجم الدين شاهينز: الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ٣٧٣.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١٣٤.

ليس إلا، وإن توحيد القبلية إنما يكون بأستاذية القرآن فقط، فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي، بالسلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، واضطرت نفسه الأمانة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية. وخلال سلوكه ذلك المسلك، ومعاناته في دفع الشكوك، قطع المقامات وطالع ما فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها - أي في المقامات - ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحة من غير غض ولا غمض. فحمدا لله على أن وفق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى بين برسائل النور التي ألفها «سعيد الجديد» حقيقة: وفي كل شيء له آية... تدل على أنه واحد.

لقد كان في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب، كالإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي؛ فبادر إلى ضهاد جراحات قلبه وروحه، وخلص نفسه من الوسوس والأوهام، وبخلاصه منها انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد.

وبين ذلك المسلك في غضون نصف قرن من الزمان في «رسائل النور» التي لم تقتصر على جهاد النفس والشیطان، بل أصبحت شبيهة بمجموعة كلية واسعة تنقذ الحيارى المحتاجين»^(١).

المطلب السادس عشر: الوعي العلمي، والفقه الشامل :

فلقد كان الإمام النورسي مستبحرا في الكتاب والسنة، دارسا للتاريخ الإسلامي والإنساني معا، ملما بقسط محترم من علوم الكون والحياة، وبذلك امتلك النظرة الصائبة، والخطوة السديدة، والتفكير الرياضي المنظم، والوعي العلمي الدقيق والمنطقية في فهم المقدمات وما يترتب عليها من نتائج.

هذه الحصيلة العلمية والمعرفية، إضافة إلى العقلية الناقدة البصيرة، أعطى الإمام النورسي وعيا علميا دقيقا، وفقها شاملا عميقا لكل شؤون الحياة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولا: فقه التعامل مع المسائل الاجتماعية: فعند افتتاح جامعة «أرضروم» اهتم الإمام النورسي بالأمر اهتماما كبيرا، وأظهر في رسالته إلى رئيس الجمهورية التركية، مدى فقهه الواعي بالمسائل الاجتماعية، والسبيل إلى إصلاحها، الممتزج بالحكمة الراشدة في الخطاب، وحسن التوجيه، فيقول: «إن رئيس الجمهورية «جلال بايار»، في خضم هذه المسائل السياسية المهمة للغاية، يضع أمور هذه الجامعة الشرقية في المقدمة، ويوافق على صرف ستين مليون ليرة، بشكل مذهل ومثير، على هذه الجامعة، ويصدر قانونا خاصا لتسهيل الأمور المتعلقة بها، ويتولى شخصيا تقديم الخدمات الجليلة والمهمة جدا لهذه الجامعة الإسلامية، مما يمنحه الشرف العظيم، معتبرا نفسه بمثابة أحد أساتذتها، كل هذه الاعتبارات جعلت الأساتذة والأئمة في المنطقة الشرقية يكونون له الشكر والامتنان. وهو كذلك عندما يعطي أهمية خاصة لهذه الجامعة التي هي بمثابة الحجر الأساس، وحصن الإسلام والأمان الأول في الشرق الأوسط، رغم انغماسه في خضم المسائل السياسية الشائكة. فإن هذه المؤسسة سوف تسهم حتما في أداء أجل الخدمات للوطن والدولة والأمة، وسيكون تدريس العلوم الدينية الأساس في التعليم في هذه الجامعة؛ لأن القوة التي في الخارج هي لتخريب المعنويات، وأمام هذه التخريبات المعنوية، لا بد أن تقف قوة معنوية هائلة، هي بمثابة قنبلة نووية معنوية، لتتمكن من إيقافها عند الحد.

ولما كان من ألزم الأمور الوقوف على رأي واستشارة رجل صرف أكثر من خمس وخمسين سنة من عمره في سبيل هذه المسألة، وبكل دقائقها وتفصيلها ومتابعتها لتتأججها، وكما نعلم حتمية الوقوف على رأي واستشارة الجهات في أوروبا وأمريكا،

يكون من المحتم والمؤكد استشارتي وأخذ رأيي أيضاً، وهذا من حقي؛ ننتظر ذلك منكم باسم جميع أهل الحمية في الأمة»^(١).

ثانياً: فقه التعامل مع الواقع السياسي:

لما كانت دراسة الواقع السياسي وفقه التعامل معه، تعين على تشكيل المستقبل في الشكل الذي ينسجم مع حقائق الإيمان والإسلام، وتساعد على رسم الدور المأمول للأمة، فإن الإمام النورسي قد ترك لنا تجارب حية رائدة في ذلك المجال المتشابك الشائك، ومن ذلك :

١ - واقعية السياسة الشرعية: قال له أحد طلابه: «لنقم نحن بتأسيس حزب ونترأس هذا الحزب. فأجابه الأستاذ: لو قال لي اليوم رئيس الجمهورية «جلال بايار»، تعال يا سعيد واجلس هنا، لرفضته بشدة؛ إذا لم تبلغ نسبة المتدينين في مجتمع ٧٠٪، فمن الجريمة استلام الإدارة باسم الإسلام. إذ لم يكن الموظفون والنواب منكم، لحصل ضرر كبير للإسلام؛ علينا معاونة «مندريس» ومساعدته بكل قوتنا، لكي لا يرجع حزب الشعب إلى الحكم مرة أخرى. إن خمسة وتسعين بالمائة من حزب الشعب من الأبرياء، الذنب في نسبة الخمسة المائة»^(٢).

٢ - رفضه لقيام حزب باسم الأمة: لقد قامت مجموعة من أهل التدين بالشروع في تكوين حزب «الأمة»، لكن الإمام النورسي لم يكن يرغب في حزب «الأمة» أو غيره، خشية التفرقة والتناحر وإحداث الصراعات داخل المجتمع، وقد كتب حول هذا الموضوع قائلاً: «إذا كان الهدف والأساس هو اتحاد الإسلامية والقومية والوطنية الإسلامية، والتي امتزجت فيها مفهوم القومية التركية، مُشكّلة أمة واحدة، فإن هذا كائن في معنى الديمقراطية، ويتطلب بل ويتوجب الالتحاق بالديمقراطيين المتدينين؛ لقد نشر الغرب وأوربا داء العرقية والعنصرية والقومية بين العالم الإسلامي،

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٥٥ - ٥٧

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

لكي يفتت العالم الإسلامي ولما كان هذا الداء يملك الجاذبية والإغراء والتشويق، فيألي جانب أضراره ومخاطره العديدة، يجد كل شعب وأمة فيه الاشتياق والرغبة جزئيا أو كلياً»^(١).

٣- الأخذ بقاعدة أهون الشرين سياسيا: فعندما سئل الإمام النورسي: «لمن نعطي أصواتنا يا أستاذ؟ أجاب: الديمقراطيون يقطعون الإصبع، أما حزب الشعب الجمهوري فيقطع اليد، وطلبة النور يصوتون للديمقراطيين باعتبارهم أهون الشرين»^(٢).

٤- إبطال المكائد السياسية: فلقد قال الإمام النورسي لأحد الشهود الأواخر: «يا أخي، إن أهل الضلالة يقصدون إحداث الفرقة بيننا وبين حكومة الديمقراطيين؛ فلو جاؤوا إلي الآن - يقصد الديمقراطيين - لمددت لهم ذراعي لتكليلهما دون تردد»^(٣).

٥- استثمار جهود المخالف سياسيا: فعندما حضر إلى الإمام النورسي نائب من حزب الشعب الجمهوري، مبديا استعداداه الانسحاب من الحزب لو طلب منه الإمام ذلك، إلا أن الإمام النورسي طلب منه قائلا: «كلا، لا تنسحب، وقف مانعا أمام أعداء الدين من نواب حزب الشعب، وقم بالدفاع عنا هناك»^(٤).

٦- عدم إيذاء مشاعر الآخر السياسي: فلقد كان الإمام النورسي يقول لأفراد حزب الشعب الجمهوري الذي يأتون إليه: «ليس لكم ذنب بما يحصل، إنما يتحمل رؤساء الحزب مسؤولية تبعات الجرائم والمآسي التي ارتكبوها»^(٥).

ثالثا: فقه المصلحة: المصلحة هي الوسيلة للصالح، أو الأمر المفيد والصالح والخير. وردت في عهود الإسلام الأولى حينما ورد القياس والرأي، وهي في مجال الدعوة

(١) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٢.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٣٥١.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٣.

إلى الله مصدر من المصادر التبعية المستقلة من مصادر الأدلة الشرعية؛ حيث إن المصلحة مصدر يحقق فائدة العباد، ويتحرى في خيرهم وصلاحتهم، فمقامها مهم في الحياة الدينية، وأهم في حياة الدعوة إلى الله.

وإن الحق تبارك وتعالى، أنزل الأحكام لحماية الدين، والنفس والمال والعقل والنسل، وبهذا يتم الاحتجاج للمصلحة في أصول الفقه.

ولقد أولى الإمام النورسي «المصلحة» عناية خاصة، تجسدت في العديد من المواقف، منها قوله لمن أنكر عليه عدم إطلاق اللحية: «إن إطلاق اللحية سنة نبوية، وليست خاصة بالعلماء، وقد نشأت عديم اللحية في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم. هذا وإن الأعداء يغيرون علينا دائماً، وقد حلقوا لحى بعض أحبائي؛ فأدركت عندها حكمة عدم إطلاق اللحية، وإنه عناية ربانية؛ إذ لو كنت مطلقاً اللحية وحلقت، لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً، حيث كنت لا أتحمّل ذلك فأموت»^(١).

ومن هذا الموقف نلاحظ مراعاة الإمام النورسي للمقاصد والمصلحة؛ فإطلاق اللحية من تحسينيات حفظ الدين، بينما سلامة الدعوة أمر حاجي، وكذلك سلامة النفس أمر ضروري، فتقدم الضروري والحاجي على التحسيني عند التعارض بينها.

رابعاً: فقه التجديد في الحركة بالدعوة: فمن المعروف أن الحركة بالدعوة تعني القدرة على الاختلاط بالناس بتحريك إيجابي، وعمل تنفيذي يجسد محبة الناس، وحب خدمتهم، والقدرة على التأثير فيهم، وجذبهم نحو الخدمة الإيمانية.

وهذه الحركة بالحقائق الإيمانية والأخلاق الربانية جسدها الإمام النورسي وطلاب النور نماذج حية، تعطي صورة صادقة للدعوة والحركة ضد الجمود،

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٦٥.

ومع التجديد الملائم للمكان والزمان، وهذا ما صنعه الإمام النورسي بعد عام (١٩٥٣)، كما يقص أحد الشهود قائلًا: «يدخل الأستاذ في مرحلة جديدة، يغير من قواعده التي لم يكن من قبل يقبل بتغييرها؛ فلقد حدث تغيير مهم في طرز معيشة الأستاذ؛ باشرنا بدراسة رسائل النور جماعة، وبدأت الساعات الصباحية من الدروس، وظهرت على الأستاذ حال من التحرك، ووافق على القيام بطبع رسائل النور بالحروف الجديدة (اللاتينية)، وعلى الآلة الطابعة أولاً، ثم جهاز الاستنساخ»^(١).

خامسا: فقه درء الفتن: فبناء على قاعدة دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة، وإذا عمت البلوى وجب التيسير، نجد الإمام النورسي يحرص على إغلاق أي منفذ تنفذ منه الفتنة، من ذلك:

١ - «قال له الأخ طاهري يوما: اليوم عيد في البلاد العربية. فأجابه الأستاذ ومؤشرا إلى التقويم المعلق: إنني أعتمد وأعمل طبقا لما يجري في تركيا، وإنني إذا عملت حسب تقاويم الدول الأخرى، فقد فتحت إذن بابا للفتنة، أو أصبحت أنا وسيلة لها»^(٢).

٢ - «قال لأحد المنتقدين لشخص مسلم: إن إيمان الإنسان مثل جبل أحد، وسيئاته مثل أحجار الحصى، فمهما كانت سيئات الإنسان وقصوره، ينظر إلى إيمانه إن كان مؤمنا، ولا ينظر إلى أخطائه، ويتنقد لأجلها»^(٣).

٣ - حدث مرة خصام بين اثنين من أئمة المساجد، وعندما سمع الإمام النورسي الخبر، «ذهب إلى أحدهما، وقال له: سمعت بحصول نزاع بينك وبين الحافظ كوني، وإنه حافظ حقيقي للقرآن، سأذهب وأعتذر منه بالنيابة عنك.

(١) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١١.

وهنا أخذ الحافظ نوري بالبكاء، وقال: يا أستاذي لا داعي لذهابكم أتم، أنا سأذهب إليه وأصلحه، وهكذا تم إصلاح ذات البين»^(١).

سادسا: فقه الواقع بكل مكوناته: فإن الفقيه الكامل ليس ذلك الذي يفقه النص وحده، وإنما من يفقه مع النص الواقع بكل جوانبه، وهذا كان حال الإمام النورسي في العديد من المواقف التي ذكرها الشهود الأواخر، ومنها:

١ - أزمة العقل المسلم: فإن ما يؤكد قمة إدراكه ومحكمته للأمر، قوله للعديد من طلابه: «إنني لا أتهم قلوبكم، وإنما أتهم عقولكم»^(٢).

٢ - فقه التعامل مع المكائد: فقد نبه الإمام النورسي طلابه في أكثر من مناسبة إلى ما ينبغي التزود به للتعامل مع كيد الكائدين، ومكائد المتربصين، فيقول لهم: «الآن، لا يكفي الإخلاص الكبير المطلق، ولا الصدق الكامل، ولا حتى التضحية التامة؛ بل يجب أخذ الحذر التام تجاه هؤلاء الأشخاص الذين هم مثال الشياطين»^(٣).

٣ - إدراك فريضة الوقت: فلقد بين لطلابه حقيقة مهمة ترتبط بالزمن الذي يعيشه الناس، وما يقتضيه من وجود شخصية معنوية جامعة، قائلا لهم: «هذا الوقت، هو زمن الجماعة، وليس زمن الأشخاص، ومهما كان الشخص على درجة عالية من الذكاء والدهاء، وإذا لم يكن فردا ضمن جماعة، فإن مصيره الخسارة والمغلوبة أمام الشخصية المعنوية للجماعة»^(٤).

٤ - التعامل مع المناسبات القومية: «خرج للتنزه يوم «نوروز»، وفي الحقول قال لطلابه: هذا يوم عيد المخلوقات. ثم قام بإطعام الكلاب السائبة قطعا من الخبز وهو يقول: إن الربيع هو عيد المخلوقات، لنشارك نحن أيضا المخلوقات في عيدهم»^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٢١٢.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١.

(٣) المرجع السابق، ص ٧.

(٤) المرجع السابق، ص: ٥٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

٥- واقع الأكراد: فيرشد الإمام النورسي إلى كيفية استئثار هذا الواقع قائلًا: «إن الأكراد موجودون وقيمون في إيران والعراق وسوريا وتركيا، وإذا ما أخذوا بالهوية الإسلامية وتقبلوها، فسيكونون وسيلة للاتحاد الإسلامي، وبذلك يصبحون سببا لتحقيق الوحدة الإسلامية، وليس عنصرا للتجزئة والتفرقة»^(١).

٦- واقع المرأة المتفرجة: فإن الإمام النورسي لخص توصيفه لعلة هذا الواقع بقوله: «إن الرجال هم المذنبون الحقيقيون في خروج النساء بهذه الأوضاع الفاضحة؛ لأنهم يتعاملون معهن بمنتهى التساهل والتدليل والتسيب، وهذا ما يؤدي إلى تحكمهن والتصرف بحرية مطلقة، وعمل ما يشأن»^(٢).

٧- أولوية الأمن والاستقرار: فإن الإمام النورسي، هذا الرجل الذي لم يحن رأسه لأكبر الجبارين الفراعنة العتاه، محتفظا بالعزة الإسلامية، نراه من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي، يلين ويصبر أمام رجل الشرطة العادي، ويبيدي الاحترام؛ لكي لا يكون سببا في إثارة القلاقل، وانتشار الفوضى في أرجاء الوطن، قائلا: «إن التوسل بإخلال الأمن الداخلي يتسبب في وقوع الأذى على تسعين بالمائة من الناس، بسبب الجناة الذين لا يتجاوز نسبهم عشرة بالمائة؛ لذا على قراء رسائل النور الحفاظ على الأمن وليس الإثارة»^(٣).

سابعا: فقه التألف وقواعده: لما كان تحقيق التألف بين المسلمين عامة، وطلاب النور خاصة، يصنع منهم نسيجاً واحداً متسقاً ملائماً، قادراً على مواجهة متغيرات الحياة، والتعامل معها أحسن ما يكون التعامل، فإن الإمام النورسي أولى هذا الجانب اهتماماً عملياً، يتجلى فيما وضعه من قواعد تحققه، تلك القواعد تمثل ترجمة رائعة لفقه الإمام العملي الشامل، وسنرى بعض جوانبه فيما يلي :

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٨.

١ - إذا قيل له: «إن فلانا يقول كذا.. يبادر قائلا: لقد أخطأتم في الفهم؛ إن ذلك الشخص صديقي، وصديق رسائل النور، ولن يقول مثل هذا الكلام وأنت تسبب في الفقرة بيني وبين أخي»^(١)

٢ - حرص الإمام النورسي على أن لا يدخل في مواضع الخلافات وإثارة التفرقة، وكل ما يضر بالتآزر، ويجاهد بكل ما يستطيع في سبيل التوحد والتكاتف؛ لذا كان لا يخوض في التفرعات التي تخرج عن ما يتفق عليه المؤمنون من أصول مشتركة لا يختلفون عليها»^(٢).

٣ - قال أحد طلاب النور للإمام النورسي: «يا أستاذي؛ إنني لا أفهم أمرا، الا وهو أن بعض علماء الدين المؤمنين يعادوننا. فقال الإمام: يا أخي، إنهم لا يفهموننا ويظنوننا نريد موقعا معنويا، إنني أدعولهم بالخير، أما الاعتراضات الموجهة إلينا من أحبائنا، فهي تقودنا نحو التيقظ والانتباه»^(٣).

٤ - عندما أرسل شيخ الإسلام «مصطفى صبري» كتابا له، أملا من الإمام النورسي أن يجعله ضمن كليات رسائل النور، قال الإمام لمن جاء بالكتاب ومن معه: «لقد أرسل شيخ الإسلام «مصطفى صبري» من مصر أحد كتبه، ولكن لا يمكن نشره ضمن مجموعة كليات رسائل النور، رغم طلبه ذلك، لأن هناك نقاط اختلافات عديدة ضمن كتابه، وإنما سمة رسائل النور هي الاتفاق، ولا مكان فيها لنقاط الاختلاف. بلغوا إليه تحياتي الكثيرة، وعلى كل حال فإن كتابه وموقعه على قمة رأسي، قولوا له هذا الكلام تماما وبحدافيره»^(٤).

٥ - وضع الإمام النورسي لطلابه قواعد التألف مبينا ثمارها المرجوة، فقال: «إن الإخلاص والجلادة التي لديكم، سبب كاف لدفعكم إلى التسامح مع التقصير الذي

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٧٩.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١٢٩.

تجدونه من بعض إخوتكم، والستر عليهم رغم الضيق الكبير؛ إن الأخوة الحاصلة من سلسلة رسائل النور حسنة عظيمة، بحيث تمحو ألف سيئة، وحيث إن العدالة الإلهية يوم الحشر ترجح الحسنة على السيئة، فلهذا يجب التمسك بالعفو والمحبة لنيل الرضا، وإلا أصبحت الحدة والعصبية أمام سيئة صغيرة، ظلما على الطرفين - وإن شاء الله - تتعاونون فيما بينكم في مجال المسرات، وتقضون على المصاعب والمحن بشكل كامل. فإن القضاء تماما على المصاعب والضيق هو سلوى حقيقية:

الأول: قلب الضيق إلى رحمة بحقنا.

الثاني: الرضا والتسليم والفرح أمام عدالة القدر.

الثالث: الفرحة الخاصة من العناية التي خص بها طلبة النور.

الرابع: اللذة من زواله لكونه مؤقتا وليس بالدائم.

الخامس: حسنات هامة.

السادس: عدم التدخل في الأفعال الإلهية.

السابع: أقل ضرر وأدنى درجة من المتاعب والمشقات أمام أشرس الهجمات.

الثامن: أخف ضرر من بين بقية المصائب بالأضرار.

التاسع: الفرح والسرور النابع من الإعلانات الرفيعة التابعة لدى الخروج من الامتحان القاسي.

تسعة من السرور المعنوي، لا يباثله أي علاج أو دواء في تسكين الآلام ومعالجة الجروح وبشكل لا يوصف؛ إنها تسكن آلامنا القاسية^(١).

الفصل الثالث

من عدة الداعية

لقد عاش الإمام النورسي وفيما للحق الذي تتضمنه دعوة النور، وظل قائما على أمر هذا الحق، يواجه المبطلين أجمعين بهذا الحق الذي يحيا به، ويعيش فيه، ويدعو إليه الناس، غير متهيب في ذات الله بطش ذي سلطان؛ فهو - رحمه الله - يعامل ربه قبل أن يعامل عباده أي كانوا.

والإمام النورسي في حركته بالدعوة إلى حقائق الإيمان، يملك عدة متينة متوازنة مؤثرة فاعلة، شاعرا بحيوية الدعوة في أعصابه، وتوهجها في ضميره، وانطلاقها في دمائه؛ تمنعه من الراحة والدعة، وتشغله بها عن نفسه، مندفعاً بصدقه وإيمانه بدعوته، التي تصبغ جوارحه ونظراته، وحركاته وإشاراته؛ فينفذ كلامه إلى القلوب محركا العواطف، وباعثا الحياة في الفطر السليمة.

ومن خلال ما تناولناه في الفصول السابقة، يمكننا أن نحدد عدة الداعية في حياة الإمام النورسي فيما يلي :

المطلب الأول: العقلية الواقعية التصويرية :

تلك العقلية التي تنطلق من الفهم الدقيق القائم على تدبر معاني القرآن الكريم، وإطالة النظر فيها، وترديدها والوقوف عندها، والتغلغل في مراميها ومقاصدها؛ فإن الله عز وجل أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته، لا لمجرد أن يتلوه بلا فهم ولا تدبر؛ ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩)، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤).

ولقد أدرك الإمام النورسي أهمية ذلك منذ صباه وشبابه المبكر، وتأكد لديه منذ استجابته لإشارة «الإمام الرباني» الغيبية بتوحيد القبلية، وذلك لأن القرآن وتدبره

يعرف المسلم بربه وخالقه، وطريق الوصول إلى رب العالمين، وما أعدّه الله للمستجيب لنداء القرآن من الكرامة، إذا ما قدم عليه يوم القيامة.

وفي المقابل؛ فإن هذا التدبر القرآني يعرفه ما يدعو إليه الشيطان وحزبه، والطريق الموصلة إليه، وما ينتظر المتبع لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب السرمدى. وبالفعل استطاع الإمام النورسي أن يركز جهده وانتباهه في مخاطبة القلب والعقل، عارضا الحقائق الإيمانية والمعاني الربانية عرضا عمليا محسوسا بأسلوب تصويري، يثبت الحياة في القلب، وينشر الحركة في العقل، ومن هذه الأساليب والوسائل التي استخدمها لتحقيق ذلك:

أولاً: القصة والحكاية: فالقصة تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض الأشخاص وحركاتهم، وأخلاقهم وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم الطبيعية والزمنية، حتى لكأن السامع يراهم رأي العين، ويسمع منهم سمع الأذن، ويعاشرهم ويعيش بينهم.

كما تمتاز الحكاية بأن النفس تميل إليها؛ فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارعة^(١).

ومن هنا كانت القصة خير الوسائل التي توصل بها الإمام النورسي لإبلاغ حقائق الإيمان إلى أعماق القلوب، مبينا أن «سبب إirاده التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل، رسائل النور، هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورسالتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كناية. فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة»^(٢).

(١) للمزيد: البهي الخولي، تذكرة الدعاة، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط ٨ (١٩٨٧م)، ص ٤٤ - ٦٢.

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٤٧.

ونعرض - على سبيل المثال - مطلع حكاية قصصية من هذه الحكايات،
تاركين عرضها للكلمات الإمام النورسي: «إن رمت إيضاح أمر الحشر وبعض شؤون
الآخرة على وجه يلائم فهم عامة الناس، فاستمع معي إلى هذه الحكاية القصيرة:

ذهب اثنان معا إلى مملكة رائعة الجمال وإذا بهما يريان أن أهلها قد تركوا أبواب
بيوتهم وحوانيتهم ومحلاتهم مفتوحة لا يهتمون بحراستها.. فالأموال والنقود في
متناول الأيدي دون أن يحميها أحد. بدأ أحدهما - بما سولت له نفسه - يسرق حيناً،
ويغضب حيناً آخر، مرتكبا كل أنواع الظلم والسفاهة، والأهلون لا يبالون به كثيراً.

فقال له صديقه: ويحك ماذا تفعل؟ إنك ستنال عقابك، وستلقيني في بلايا
ومصائب؛ فهذه الأموال أموال الدولة، وهؤلاء الأهلون قد أصبحوا جنود الدولة
أو موظفيها، ويستخدمون هذه الوظائف بيزتهم المدنية، ولذلك لم يبالوا بك كثيراً.
اعلم أن النظام هنا صارم، فعيون السلطان ورقبأؤه وهواتفه في كل مكان. أسرع يا
صاحبي بالاعتذار وبادر إلى التوسل.. ولكن صاحبه الأبله عاند قائلاً: دعني يا
صاحبي، فهذه الأموال ليست أموال الدولة، بل هي أموال مشاعة، لا مالك لها،
يستطيع كل واحد أن يتصرف فيها كما يشاء، فلا أرى ما يمنعني من الاستفادة منها،
أو الانتفاع بهذه الأشياء الجميلة المنثورة أمامي، واعلم أي لا اصدق بما لا تراه عيني..
وبدأ يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السفسطة، وهنا بدأت المناقشة الجادة بينهما،
وأخذ الحوار يشتد؛ إذ سأل المغفل: وما السلطان؟ فأنا لا أعرفه فرد عليه صاحبه:
إنك بلا شك تعلم أنه لا قرية بلا مختار، ولا إبرة بلا صانع وبلا مالك، ولا حرف
بلا كاتب، فكيف يسوغ لك القول: إنه لا حاكم ولا سلطان لهذه المملكة الرائعة
المنتظمة المنسقة؟^(١)

ثانياً: ضرب الأمثال: والمثل قول واضح موجز حكيم، ينتصب صدقه في
العقول، فيألفه الناس ويجري بينهم؛ فضرب المثل إنما هو تشبيه حالة ما بأقرب الأمثال

شبهها بها، وأكثرها مماثلة لها، وهو تشبيه يحدث في النفس حركة التفات بارعة، يلتفت بها الإنسان من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح، ويجري ذلك كله في أقل من لمح البصر. وهذه الحركة النفسية البارعة لها ما لسائر الحركات من تجديد وتشريط^(١).

ولذلك، فلا عجب من أن نجد المئات من الأمثال ماثلة في رسائل النور، ومن ذلك، ما يضر به الإمام النورسي في حديثه عن الاشتراك في الأعمال الأخروية، فيقول: «ولنفهم هذا بمثال: اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي، فوقع على أحدهم إحضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه، وعلى الأخير علبة الكبريت. فعندما أشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكا لمصباح كامل، فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، إذن لأصبح منعكسا في مرآته مصباح كامل، مع ما في الغرفة، من دون تجزؤ أو نقص. وهكذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضم المساعي بسر الاتحاد، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منهم»^(٢).

ثالثا: مقابلة الحقائق المغيبة بأحوال دنيانا العملية: فالإمام النورسي حين يتكلم عن الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر، والحشر والحساب، إلى غير ذلك من الحقائق التي ريب فيها وفي وجودها، يعرضها عرضا يلمس بها القلوب لمسا بأن يختار مما يقابلها من أحوال دنيانا العملية، فيعرض الحقيقة وشبهها.

وليس هذا النوع من قبيل ضرب الأمثال، وإن كان هو والأمثال والحكايات والنظر إلى صور المعنويات، يمثلون وسائل رئيسية في عرض الحقائق الإيمانية في رسائل النور،

(١) تذكرة الدعاة، ص ٦٦.

(٢) النورسي: اللغات، ص ٢٤٨.

إلا أن ضرب الأمثال خاص بتشبيه حال المعنويات بحال تناسبها من الواقع، أما هنا فمقارنة بين أمور واقعة فعلا في عالم لا نراه، وبين أمور شبهها بعض الشبه تقع في عالمنا المنظور، مثل قول الإمام النورسي: «شخص سخي كريم ذو شفقة ورأفة، أعد ضيافة جميلة للفقراء المحتاجين، فبسط ضيافته الضخمة على إحدى سفنه الجوالة، واطلع عليهم وهم يتنعمون بإنعامه تنعما بامتنان، ترى كم يكون ذلك الشخص الكريم مسرورا فرحا، وكم يتتهج بتنعم هؤلاء الفقراء وتلذذ الجياع منهم، وثنائهم جميعا عليه، يمكنك أن تقيسه بنفسك.

وهكذا فالإنسان الذي لا يملك ملكا حقيقيا لضيافة صغيرة، وليس له من هذه الضيافة إلا إعدادها وبسطها، إن كان يستمتع وينشرح إلى هذا القدر لدى إكرامه الآخرين في ضيافة جزئية، فكيف بالذي تنطلق له آيات الحمد والشكر، وترفع إليه أكف الثناء والرضا بالدعاء والتضرع من الجن والإنس والأحياء كافة، الذي حملهم في سفينة ربانية جبارة، تلك هي الكرة الأرضية، ويسيرها فيسيح بهم في عباب فضاء العالم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، داعيا جميع ذوي الحياة إلى تلك الضيافة، التي هي من قبيل فطور بسيط بالنسبة لما بسط في دار البقاء، التي كل جنة من جنانه كسفرة مفروشة أمامهم، مشحونة بكل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، أعدها لعباده الذين لا يحصون وهم في منتهى الحاجة، وغاية الشوق إلى لذائذ لا تحد إشباعا للطوائف لا تحد، ليتناولوا من تلك الضيافة الحقيقية، وليتنعموا تنعما حقيقيا في زمن خالد أبدي. فقس بنفسك على هذا ما نعجز عن التعبير عنه من المعاني المقدسة للمحبة، والتعابير المنزهة لنتائج الرحمة المتوجهة إلى الرحمن الرحيم»^(١).

رابعا: النظر إلى صور المعنويات: فإن الإمام النورسي أبدع في النظر إلى صور المعنويات، ونقل معانيها التجريدية، إلى آثارها وأوصافها المحسوسة، ونتائجها وثمارها الملموسة، فهي هو - رحمه الله - يجسد قيمة أداء الصلاة لوقتها، قائلا لطلابيه:

«لكي ندرك عظمة الصلاة وروعيتها في وقتها، وكونها معينا لا ينضب، ورأس مال ثمين؛ فلنفكر في هذا المسجد العظيم الذي يسمى العالم الإسلامي، وقيام المئات من الملايين بالوقوف في الصلاة جماعة، يدعو كل فرد من هذه الجماعة لعموم المصلين؛ يقرأ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويكون شفيعا للجماعة بأكملها، ويدعو لهم أيضا.

إن الذي لا يشارك في تلك اللحظات، لا يتسلم حصته، وكما أن العسكري الذي لا يحمل صحنه، ويذهب لاستلام حصته من الأكل، لا يحصل على نصيبه؛ فإنه لن يستطيع أخذ نصيبه من الطعام الذي تم إعداده في المطبخ المعنوي للجماعة الكبرى، بينما الذي يصلي في وقته، ويشارك جيش الجماعة، ويردد «آمين» لدعائهم، يستطيع بلوغ هذا المرام»^(١).

خامسا: النظر في الآفاق: فلقد دأب الإمام النورسي على التأمل في آفاق الكون، وحث طلابه على أن ينظروا إلى كل ما أمامهم في الآفاق، نظرتين في نظرة واحدة طويلة؛ نظرة العين الباصرة التي ترى الصفحة الخارجية الصماء، ونظرة العين الباطنة البصيرة التي تنظر إلى ما في الآفاق على أنه فعل فاعل، هو الرب الرحمن الرحيم، فترى العين مع القلب والعقل الوجود الممتد، كتاب الله المنشور المنظور، وهذه الكائنات العجيبة التي تملؤه هي سطور حية نقرأ فيها قدرته سبحانه وتعالى، وعلمه وحكمته، وكرمه ووده وبره.

كما بين الإمام النورسي أنه من جميل تقدير الله، أنه جعل مطالعة هذا الكتاب ميسورة للعالم والجاهل، والقارئ والأمي، فما على الإنسان إلا أن ينظر ويسمع ويحس، ثم يفكر فيما وقع عليه حسه في إطار نسبته إلى الخالق عز وجل؛ فإن هذا التفكير يشهد في معالم الصنع ودلالاته الكثير من العبر والآثار الدالة على معاني صفاته جل شأنه، فيثير في القلب إحساسات رقيقة، وينفتح له الملكوت الفياض بالروحانيات، فيهتز القلب وتحشع النفس، وتفيض العين ويستنير الطبع، ويصبح الإنسان قبضة

من نور الله عز وجل، موصولاً به بمشاعر ساجدة خاشعة، راجية محبة، مفعمة بأسباب الفهم والمعرفة.

هذه المعاني العظيمة وغيرها مبثوثة في رسائل النور، وبخاصة رسالة «التفكير الإيماني الرفيع، والمعرفة التوحيدية السامية»، التي يقول - رحمه الله - في مقدمتها: «لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً، ضمن انتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجز البيان، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الروم: ٨)، ﴿لَا يَأْتِ لَقُومٌ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) وأمثالها من الآيات التي تحت على التفكير، مثلما يحث عليه حثاً عظيماً الحديث الشريف، كقوله ﷺ: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(١).

ولم يتوقف الإمام النورسي عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى المسلك العملي مع طلابه؛ «فعندما يتجول في المروج الممتدة، يطالع ويتصفح كتاب الكائنات الكبير حوله، ويقول لطلابه أثناء التجوال: اقرؤوا أنتم كذلك أيها الشباب من هذا الكتاب الأعظم للكون والخلق.. فهذه حيوانات صدوقة مخلصة.. إن جريهم وعواءهم دليل على صدقهم.. ما شاء الله! انظروا إلى كمال وجمال هذا الخلق، إنه لا يقل عنكم في جمال الصنع»^(٢).

سادساً: الالتفات إلى الآثار: فمن الأساليب والوسائل التصويرية العقلية التي مارسها الإمام النورسي، الوقوف على الآثار ومواضع الذكريات، وقوف الحي المتنبه ذي الوجدان المتحرك اليقظ؛ فيناجي الآثار، ويستخيرها ما فعل الليل والنهار، ويكلف خياله أن ينصب سراق الحياة الماضية وأن يقيم معالمها، ومن خلال استنطاقه للآثار يخاطب طلابه بأن أصحابها مضوا إلى غايتهم، وهم أشد ما يكونون

(١) النورسي: اللغات، ص ٤٥٦.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٥١.

تعلقا بالحياة، وأنهم كما سافروا لا محالة مسافرون، فيحثهم على التزود بتقوى الله، ويحذّرهم من ضدها. ففي يوم قال لطلابه وهم بين القبور: «إن شواهد هذه القبور الحجرية توجه لنا التحذير مثل المعلمين، يعطون لنا دروسا وعبرا، وكأن لسان حالهم يقول لنا: ستأتون أنتم أيضا»^(١).

المطلب الثاني: الحياة الروحانية الاجتماعية :

فلقد كان الإمام النورسي ذا حياة روحانية عالية، أساسها الإيمان العميق بالله تعالى، والتيقن الجازم التام بعظمة الإسلام، والحرص الجاد على اتباع مسلك النبي ﷺ. هذا الإيمان انعكس عليه انعكاسا إيجابيا تحقيقيا ببناء فتعلق بالله وتوكل على الله، متيقنا أن الله عز وجل هو المنفرد بالخلق والتدبير، والضرر والنفع، والمنع والعطاء، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإن الطريق الذي سلكه الإمام النورسي لتحقيق تلك الحياة الروحانية الاجتماعية الربانية، هو أقصر الطرق، بل أقرب الطرق إلى الله تعالى؛ فهو «طريق العجز والفقر والشفقة والتفكير.. نعم إن العجز كالعشق طريق يوصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبة بطريق العبودية.

والفقر مثله يوصل إلى اسم الله «الرحمن». وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله تعالى، إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى، إذ هو يوصل إلى اسم الله «الرحيم».

والتفكير أيضا كالعشق، إلا أنه أغنى منه وأسطع نورا وأرحب سبيلا، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله «الحكيم».

والمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام الناس.

أما أوراد هذا الطريق وأذكاره، فتنحصر في اتباع السنة النبوية، والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر.

وأما خطوات الطريق، فهي أربع خطوات :

الخطوة الأولى: كما تشير إليها الآية الكريمة: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢)، وهي: عدم تزكية النفس؛ ذلك لأن الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يجب إلا ذاته في المقدمة، ويضحى بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالعبود وحده، وينزهه شخصه ويرى ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلا، ويدافع عنها دفاعا قويا بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه، فيصبيه وصف الآية الكريمة: ﴿ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (الفرقان: ٤٣) فيعجب بنفسه ويعتد بها؛ فلا بد إذن من تركيتها، فتركيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تركيتها.

الخطوة الثانية: كما تلقنه الآية الكريمة من درس: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (الحشر: ١٩)، وذلك: أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، إذ مقتضى النفس الأماره أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتركيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكير فيها عند الخدمات والموت.

الخطوة الثالثة: هي ما ترشد إليه الآية الكريمة: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (النساء: ٧٩)، وذلك: أن ما تقتضيه النفس دائما أنها تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب؛ فعلى المرء

في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحسانا من فاطره الجليل، ويتقبلها نعمة منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة؛ فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩)، وهي: أن تعلم أن كمالاتها في عدم كمالاتها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها إلى الله.

الخطوة الرابعة: هي ما تعلمه الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، ذلك: لأن النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدعي نوعا من الربوبية، وتضمّر عصيانا حيال معبودها الحق، فيادراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته وبمعناه الاسمي: زائل، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود. فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها، أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجودا، فإنها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها. يعني إذا غفلت عن موجدتها الحقيقي وهو الله، مغترّة بوجودها الشخصي، فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية. ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقا إنها لا شيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدتها الحقيقي؛ فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات - نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسماؤه الحسنى جل جلاله^(١).

وإن هذه الروحانية التي عرضنا جانبها منها، من كلام الإمام النورسي نفسه، ليست روحانية فردية لا تبالي بالمجتمع وأوضاعه، وإنما روحانية اجتماعية في غاية الرقي لدرجة أن الإمام النورسي ضحى حتى بآخرته في سبيل تحقيق إيمان المجتمع،

(١) النورسي: الكلمات، ص ٥٥٨ - ٥٦٠ بتصرف يسير.

أي حرص كل الحرص على رضوان الله وحده دون التفكير بنعيم الجنة، فرضاه سبحانه وتعالى يغني عن كل شيء^(١).

المطلب الثالث: الطبيعة الحركية الإيجابية :

فإن الإمام النورسي قد اتصل بالحياة اتصالاً يتميز بالحركة الإيجابية من أجل نشر الحقائق الإيمانية، وصياغتها أعمالاً نافعة، وأوضاعاً اجتماعية صالحة؛ «فلم يكن - رحمه الله - يعمل لنفسه، أو لجأه أو منصب، أو ليرتاح ويعيش برفاه، إنما لإنقاذ الإيمان من الدرن الذي أصيب به، وتصفية الشبهات والشكوك، ويجاهد في سبيل التوحيد والتكاتف»^(٢).

وقد ظهرت هذه الطبيعة الحركية الإيجابية في عدة مظاهر، منها:
أولاً: الحركة الدائبة: فلقد انبرى الإمام النورسي في أحلك الظروف؛ إذ أحجم الناس عن ذكر الحقائق الدينية الإيمانية توجساً وخيفة، فشحن - رحمه الله - جموع البشر باليقظة لما أرادوا له الغفلة، وأعلن الحرب على الجهل والفقر والتفرق، وزرع أركان أنواع الأوهام التي جثمت على صدر المجتمع، ومارس كفاحاً على طول البلاد وعرضها، وليس في خط الدفاع فقط ضد الإلحاد وإنكار الألوهية، وإنما كذلك خنق الباطل والخرافات في إشكالاتها المغلقة، وأبدى دوماً جرأة مدنية سلبت اللباب، إعجاباً في إشهار همومنا المزمنة وسبل معالجتها. خاطب بقول ندي وجد صدى في روح كل إنسان، يستوي في ذلك رجل السراي، ورئيس عشيرة في شرق تركيا، والمشيخة الإسلامية، وأركان العسكرية.

فلما خاطبهم شد إليه أنظار الناس من كل صنف، ومع أن جبلته تنفر من ذلك أشد النفور، فإن طبائع شؤونه وأموره استدعت ذلك الالتفات.

نبه الإمام النورسي كل فئة إلى ضرورة كسر الأغلال الآسرة لأفكارنا وأرواحنا، قبل سل السيوف من الأغمار، إن أردنا دوام الجهاد.. وأرشد الأجيال الفتية إلى السبل

(١) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٥٧.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ١٢٣.

الموفية إلى الفكر الإسلامي في بشرى «الانبعاث بعد الموت». فكان يخشى ويرتعش فرعا من انقسام جغرافية الوطن وتمزقها وانكماشها، لكنه كان أشد فرعا من أمور تؤدي إلى تلك السلبات، مثل: ضيق التفكير، وبؤس الأرواح، وتقليد الغرب، والشكليات.

لم يمل الإمام النورسي من الإصرار على القراءة والتفكير والعمل، ولم يكل من السعي لأجل إنقاذ أفراد الشعب من الفردية المتبادلة، وبناء مجتمع مثالي وشعب عامر؛ فكان يلح على «المعارف»، و«التربية والتعليم»، فيحث الضرورة على نشر المعارف والتربية والتعليم في كل مكان وبكل وسيلة.. فينبغي عنده انخراط المدارس والمساجد، والمعسكرات والدروب والمتنزهات، بل حتى السجون، في نفير التعليم العام؛ فبالمعارف وحدها تتحقق الوحدة العقلية والمنطقية؛ فالذين لا يتوحدون عقلا بعقل، ولا ينصهرون على ذلك، يعجزون لا محالة عن السير معا في طريق معين زمنا طويلا، ولا يحفظون تساندهم وتعاضدهم. فينبغي أن يتوحد الوجدان أولا، حتى تتوحد القلوب والأيدي. ووسيلة وحدة كهذه هو ضبط الحياة بضوابط الدين، وتفسير الأمور المتعلقة بالزمان حسب مدارك العصر، مع التقيد بالكتاب والسنة والاجتهادات الصافية للسلف الصالح.

وإن الإمام النورسي يبدو إنسانا بسيطا وعاديا من الناس في مظهره الخارجي لأول وهلة، لكنه يخزن شخصية راسخة قلما تتوافر في غيره، أو في كل زمن، من جهة حياته الفكرية وعمله الحركي.

لقد اتصف - رحمه الله - في كل وقت بصفتين ظاهرتين؛ الأولى: صفة كونه رجل وجدان رحيب، ومثال عشق وحماس أصيل، وإنسان شهامة ومروءة عظيمة. والثانية: صفة كونه مفكرا متوازنا غاية التوازن، يتقدم على معاصريه أشواطاً في الرأي والبصيرة، وصاحب عقل سليم ينتج خططا وبرامج شاملة.

ثانياً: الحركة بالدعوة في صميم المجتمع: فإن الحركة بالدعوة النورية عند الإمام النورسي، تعني احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات، والسير من خلال المعابر التي في الوجود إلى اللانهاية، ثم إحلال دنيا الإنسان في فلك غاية الخلقة الحقيقية مستخدماً الطاقة الكلية لذكائه وإرادته، بالسر والقوة التي اكتسبها من اللا متناهي.

فمن الطبيعي أن يكون كل تصرف منه - رحمه الله - عبادة، وكل فكر منه مراقبة، وكل كلام له، مناجاة وملحمة معرفة، وكل مشاهدة منه للوجود تطلعاً وتدقيقاً، ثم كل مناسبة بأهل وطنه شفقة رحمانية؛ فلنقترب قليلاً من بعض مشاهد حركته في صميم المجتمع، ننقلها عن بعض الشهود الأواخر.

١ - الحركة بين رجال الشرطة والجيش:

قال لأحد أفراد الشرطة: «وظيفة البوليس وظيفة مقدسة جداً؛ فهو يدافع عن المظلومين، ويحفظ أموال الناس وكرامتهم، ولا يترك فرصة لتفشي الظلم»^(١).
وتحدث مع رجلين من الشرطة قائلاً: «نحن ضباط وحراس المعنويات، لا ضرر منا للبلد أو الناس؛ إن الحكومة قلقة تجاهنا بدون داع.
ثم تحدث لهما عن الإيمان والحقائق القرآنية، وأكرمهما بالحلوى، وأعطاهما نسخاً من رسائل النور المخطوطة»^(٢).

كما كان يرعى الضباط وضباط الصف الذين يأتون لزيارته، ويظهر معهم لطفاً ومعاملة خاصة، ويتحدث إليهم عن حياته وما لاقاه، ويشرح لهم أهداف رسائل النور وغاياتها، ويؤكد كثيراً على دور الجيش، ويعتبر ساعة واحدة من الضباط أهل الدين والإيمان، معادلاً لساعات عديدة من العبادات، وأن خدمات الضباط المؤمن تكافئ بألف مرة، ويعتبر وقوفهم أمام الفوضوية بمثابة الجهاد المادي»^(٣).

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ١، ص ٨١.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣٨.

٢- الحركة بين المتصوفة: فقد كان يخاطب من يأتون بطلب تدريسهم دروس الطريقة: «إن سبيل رسائل النور ليس بطريقة، بل هي الحقيقة؛ نبذة من سبل ومسالك الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - الآن ليس بزمان الطرق، بل إنقاذ الإيوان. إن رسائل النور - والله الحمد - قد أدت هذه المهمة في أحلك الظروف، ومستمرة بالقيام بها، وإن دائرة رسائل النور إنما هي دائرة سيدنا علي، وسيدنا الحسن والحسين، والشيخ الكيلاني - رضي الله عنهم جميعاً وتلامذتهم في هذا العصر؛ ذلك لأن الإمام علي قد أخبر عن طريق كراماته الغيبية الثلاثة عن رسائل النور، وسيدنا الشيخ الكيلاني - قدس الله سره - أخبر عن رسائل النور إخباراً قوياً وشجع مؤلفها. إنني في الحقيقة تلقيت دروسي بشكل ما من «أويس القرني»، وبشكل مباشر من الشيخ الكيلاني، وعن طريق الإمام زين العابدين والحسن والحسين عن الإمام علي - رضي الله عنهم جميعاً - لهذا فإن الدائرة التي نخدم ضمنها هي دائرته»^(١).

٣- الحركة بين الأطباء والمعلمين: فقد اعتاد الإمام النورسي حين يلتقي بالأطباء والمعلمين، يقول لهم: «أنا أقدر كثيراً أصحاب اثنتين من المهن؛ إحداهما: الأطباء، والثانية: المعلمين. فإن المعلمين المؤمنين يرسخون الإيمان والإسلام في أذهان الناشئين. والأطباء سلوى المعذبين في أحلك أوقاتهم»^(٢).

٤- الحركة بين الأطفال: فحينما يخرج الإمام النورسي يهرع إليه الأطفال ويتزاحمون حوله، فيقول لهم: «أنتم معصومون وأبرياء، ودعاؤكم مقبول. ادعوا لي، إنني أحمل أنواع الأمراض والعلل، لكي أشفي منهم»^(٣).

٥- الحركة بين العلماء الرسميين: ففي أحد الأيام يصدر شيخ الإسلام فتوى تنور حولها الشبهات، وعندما يسمع الإمام النورسي بها، «يذهب فوراً إلى دار المشيخة

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٣) المرجع السابق، مجلد ٤، ص ٣١٧.

ويطلب من حراس البوابة: بلغوا شيخ الإسلام ليأتي إليّ. وهم متعجبون من هذا الموقف في وقت كان لقاء الشيخ يتطلب إجراءات خاصة.

ويشاهد شيخ الإسلام حضور الإمام النورسي من شباك غرفته، ويقول في ارتباك: يظهر أننا أخطأنا في أمر ما.

وينزل إلى الأسفل، ويستقبل الإمام النورسي باحترام مشهود. ثم يشرح له الإمام خطأه ويرشده إلى الفتوى الصحيحة، ويصحح شيخ الإسلام فتواه ويعتذر له^(١).

٦- الحركة نحو الخارج:

الدول العربية: فلقد أرسل الإمام النورسي أحد طلبته خصيصاً إلى مصر، وبلاد الشام، والعراق لنشر رسائل النور فيها^(٢).

الدول العربية: فلقد أرسل الإمام النورسي أحد طلبته خصيصاً إلى مصر، وبلاد الشام، والعراق لنشر رسائل النور فيها^(٣).

إيران: فلقد كلف أحدهم بالسفر إلى إيران، قائلاً له: «قم أنت بضمان إيصال الكتب إلى إيران ليدوم الاتصال مع طلاب النور هناك. وبالفعل سافر، وقابل هناك من ساعده على توصيل الرسائل»^(٤).

اليابان: وأرسل - رحمه الله - مع آخر مجموعة من الرسائل والكتب إلى اليابان، وبالفعل وصل إلى طوكيو وسلمها لمجموعة من المسلمين^(٥).

باكستان وأوروبا: يحدثنا النورسي عن ذلك فيقول: «أتاني وزير المعارف الباكستاني لأخذ قسم من رسائل النور، وقال سأسعى لنشر هذه الرسائل النورية

(١) المرجع السابق، مجلد ١، ص ١٤٨.

(٢) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٢٠١.

(٣) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ١٩٨.

(٤) المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٢٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٩.

بين تسعين مليوناً من المسلمين.. وعلى الرغم من الدعايات المغرضة التي يشيعها المنافقون حولنا، فإن الأنوار تنتشر في أماكن بعيدة كأوروبا وآسيا، بل أعلن في ألمانيا عن مجموعة «ذو الفقار» بعد ظهورها مباشرة»^(١).

ثالثاً: تجميع الطلاب لإيجاد الشخصية المعنوية: فلقد أوضح الإمام النورسي أن «هذا الزمان لأهل الحقيقة، زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه، ويصمد تجاه الأعاصير. فلاجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التي هي كقطعة الثلج في ذلك الحوض وإذابتها فيه، وإلا فستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج وتذهب هباء، وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضاً»^(٢).

ويزيد المسألة توضيحاً وتوكيداً فيقول: «سيأتي زمان لا يمكن للقدرات والقوى الشخصية والجزئية أن تقاوم، وتصدهجمات أعداء رهيبيين، فيبحث سعيد بحثاً حثيثاً عن الذين يملكون خطأ جيداً ليشركهم في خدمته، فيشكلون معاً آلاف الأرقام التي تحول تلك الخدمة الشخصية الجزئية إلى خدمة كلية عامة قوية؛ إذ يجتمعون حول تلك البذرة، بذرة النور، اجتماع الماء والهواء والنور، ويمدون تلك الشجرة المعنوية بالعون»^(٣).

وبالفعل استطاع الإمام النورسي أن يوجد هذه الشخصية المعنوية في نواتها الأولى من طلاب النور القريبين منه، والذين كانوا حوله، وتميزوا بالآتي:

١ - حراس الحقيقة والنور: فإن الإمام النورسي بعدما أعدهم الإعداد المتميز، حملهم الأمانة، أمانة حراسة دعوة النور والحركة بها، ويّن لهم: «إنني أرى كل واحد منكم حارساً للنور وحافظاً له؛ إذ إن أي واحد منكم إنما هو «سعيد» ووارث لي.

(١) النورسي: الملاحق، ص ٣٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٥.

ستكونون آلافا بدلا من حارس واحد، ستعتبرون كل رسالة أو مجموعة نورية بمثابة «سعيد» معنوي، خذوا منها دروسكم بدلا مني. لا تتضعضوا، لا قيمة للمصاعب الفانية، لا موانع أمام محاوراتنا بأي شكل كان»^(١).

٢- طلاب مضحون: لأن من قلدهم هذا الوصف أستاذهم الإمام النورسي الذي قال عنهم: «إن طلابي الحاليين أكثر تضحية من الذين حاربوا معي، وألقوا بأنفسهم أمام نيران الروس؛ لأن التضحية بالعمر كله ليس بالشيء الهين، يذهب الإنسان ويموت شهيدا إذا ألقى بنفسه أمام النيران، ولكن ليس من اليسير والهين أن يضحي الإنسان بشكل دائم ومستمر؛ لذا فإن طلابي الحاليين أكثر فداء وتضحية من الطلاب القدماء لـ «سعيد». ومتى ما ينكشف هذا السر في الشرق، يقوم أبناء بلدي بتقديم خدمات كبيرة لهذا الدين»^(٢).

٣- أرباب العفة والطهارة: هذه العفة والطهارة شهد بها أحد السجانيين، بعدما شاهدها بنفسه، فيقول: «لا يمكن لهؤلاء الطلاب المجاهدين جهادا معنويا رائعا، أن يكونوا في موقع الخصم مع الدولة، أو أن يحملوا أفكارا هدامة تجاهها، أو تكون لهم علاقة بأمور غير مستحبة؛ إنهم أناس نظيفون أطهار، ومسلمون مخلصون، هدفهم الوحيد الحضور أمام ربهم بقلوب سليمة نقية، بعيدون عن أكل السحت، مستعدون للمحاسبة عن أعمالهم في هذه الدنيا. كانت أيامهم في السجن جميلة؛ تقام صلوات الجماعة، وتقرأ الأدعية، وكأن السجن تحول إلى مسجد، يا ليتني كنت مثلهم وعلى شاكلتهم»^(٣).

٤- طلاب الرحمة: يوضح هذه السمة أحد الطلاب حين يتحدث عن الرحمة كما تلقاها عمليا من أستاذه، وعاشها معايشة في العديد من المواقف معه، فيقول: «إن من علامات فقدان الرحمة، نسيان قصور الذات وغلبة النفس،

(١) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، مجلد ٣، ص ٧٦

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

والبحث عن قصور الإخوة في الدين، والتجرد من محبتهم والعطف عليهم، والنظر إليهم بنظرة النقد والتقريع. إن أمثال هؤلاء الفاقدين للرحمة ضعفاء وعجزة ولو ظهروا أبطالا. أما الذين يحاسبون أنفسهم، ويرزون نواقصهم في الوقت الذي يرون نواقص إخوانهم في الدين أمورا صغيرة تافهة، أو حتى لا يرون تلك النواقص، إنما ينالون رحمة الله ومغفرته؛ لأنهم مسلمون حقيقيون، ذوو أخلاق سامية وسجايا ممتازة، ويحملون في صدورهم نياشين انتاسبهم إلى أهل الدين والإيمان، هؤلاء هم الكثرة وإن كانوا قليلي العدد، كبار وإن ظهروا صغارا، أقوياء رغم ضعفهم.

إن من أجمل وأفضل الخلق، إبداء الرأفة والرحمة أثناء الغضب، وإن الذي يزرع بذور الرحمة، سوف يجمع حتما بيادر السعادة والطمأنينة»^(١).

٥- الأبناء على استمرار المسيرة: فإن هؤلاء الطلاب كانوا «أروع نموذج للرجال الأشداء الذين لم يعرفوا معنى للتعب، فهم يستحقون أن يتلقوا البشارة بأن الخبر الذي صرفوه في سبيل إعلان شأن الدعوة الإسلامية، يعادل وزنه دما من دماء الشهداء يوم القيامة»^(٢).

ولقد اتفق جماعة من هؤلاء الطلاب بعد وفاة الإمام النورسي، على الحفاظ على مسيرة الدعوة النورية، متعهدين على الآتي:

«إن رسائل النور هي ملك الإسلام عموما، وبنفس الطريق والنسق الذي كان الأستاذ يقوم به بنشر رسائل النور، يتولى طلبة رسائل النور المهمة تماما؛ رائدهم الإخلاص والتشاور، بعيدا عن التدخل في السياسة، ويتحرك الجميع في وجهة رسائل النور ضمن دائرة الإخلاص والأخوة والمشاورة، لا توجد عضوية أو رئيس جماعة أو ما يشابهها»^(٣).

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٢.

الفصل الرابع

أسلوب الداعية

إن أسلوب الإمام النورسي في الحركة بالدعوة النورية، يخضع للروحانية الاجتماعية، التي تتحرك من أجل أن تدخل دعوة النور في كل قلب، وتعيش في كل فكرة، وتنطلق في كل ناحية من نواحي الحياة، وبذلك يتحدد أسلوب الحوار في عرض الدعوة النورية، بعقلية الناس الذين تتوجه إليهم الدعوة من أجل الأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية وحقائق الإيمان، إلا أن هناك سمات عامة للأساليب التي استخدمها الإمام النورسي، وأهمها ثلاثة أساليب تقوم على المنطق العملي، والحس الاجتماعي، والجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني.

المطلب الأول: الأسلوب العملي المفعم بروح المحبة والشفقة:

فإن الإمام النورسي كان حريصاً كل الحرص وأشدّه، على أن يتحرى مراد الله ورضاه في كل حركة من حركاته الدنيوية والأخروية، ويمحص حاله بميزان الأوامر الشريعة، فيرى في كل شيء وحادثه وتبليغ من الحق عز وجل، وسيلة للسمو نحوه تبارك وتعالى.

ولقد بلغ - رحمه الله - هذا الأفق لأنه عاش الإسلام، وأحياه في نفسه باعتباره كلاً لا يتجزأ، وأحب الحقائق الإيمانية من صميم قلبه، فأصبح بإيمانه وحركيته الإيمانية مرآة للحق تعالى في حركاته وسكناته، وكلامه وصمته، وكان في كل تصرفاته وسلوكياته كأنه دلال ينادي بنداءات حري، ويدعو بدعوات شجية إلى الحق تبارك وتعالى.

ولذا، نجده يسعى إلى تعميق الصلة الروحية بينه وبين جمهور المجتمع، في علاقة محبة وإخلاص، تنبع من روحانيته المنسابة بالطهر، الفياضة بالحب،

النابضة بالإنسانية، الممتدة في أعماق النفس؛ فتنعكس بأسلوب عملي على الآخرين رحمة وحباً وسلاماً؛ لأن ذلك يعد شرطاً أساسياً للدخول إلى قلوب الناس وضمايرهم وحياتهم؛ فإن الإنسان إذا عاش مشاعر الحب في الآخرين، تفاعل معهم في شعوره وأفكاره، مما يجعل القناعات تبدأ من الشعور لتنتهي إلى الفكر.

واستمع إليه - رحمه الله - وهو يبرز هذه الحقيقة العملية، بقوله: «مع أنني شخص مقصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الأمة، وفي سبيل إنقاذ إيمانها، ولقد سعت بكل جهدي للعمل برسائل النور، لكي أضحي بنفسي في سبيل حقيقة افتدتها ألوف الأنفس، وهي الحقيقة القرآنية، واستطعت بتوفيق من الله تعالى، وبفضل منه أن أتحمل شتى ضروب التعذيب، فلم أتقهقر ولم أنسحب»^(١).

المطلب الثاني: التحرك بالحس الاجتماعي الواعي :

لم يقف الإمام النورسي عند حد الإحاطة بأحوال المجتمع وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أهم، ألا وهو الحس الاجتماعي الذي تتوفر فيه المشاعر الذكية المرفهة التي تلتصق بالمجتمع؛ لتحس بكل ما في داخله من نوازع ودوافع ومؤثرات، وبكل ما يختفي وراءه من خلفيات، وما يحكمه من روابط وعلاقات، أو يحركه من أوضاع خارجية متنوعة.

وهذا امتلاك - رحمه الله - الإحساس بالكلمة قبل أن تقال، وبالحركة قبل أن تنطلق، وبالأحداث قبل أن تفرض نفسها على الواقع.

كما أنه أجاد تفسير دلالات الأحداث ووجوهرها، فلم يتجمد حكمه على الواقع فيما يطفو على السطح من علامات، بل نفذ إلى أعماق الواقع، فأمسك بجذوره، وأخذ منها الدليل الذي يخفي وراء الأحداث ويحركها من خلال الضباب.

وتبعاً لما سبق، فإن الإمام النورسي ركز دعوته النورية على أساس ما يحصل عليه من دلالات، وما ينتهي إليه من استنتاجات، فيتحرك من خلال رؤية واضحة،

وخطوات قوية ثابتة، تتسم بالانفتاح الواعي، والابتعاد عن دعوات اليأس، وعقليات السذاجة، ونظرات السخرية والاستهزاء التي ينظر بها الآخرون إليه.

لقد أدرك الإمام النورسي مبكراً خطورة فقدان الحس الاجتماعي، وما يترتب عليه من نتائج، إدراكاً أبهر عالماً كبيراً كالشيخ «بخيت المطيعي»؛ حينما أجابه بوعي صاحب الحس الاجتماعي المدرك لدلالات الواقع، وما تؤدي إليه من نتائج، بقوله: «إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوربائية وستلدها يوماً ما، وإن أوربا حاملة بالإسلام وستلده يوماً ما»^(١).

هذا الحس الذي يجعله يحدد القوى التي تحكم الساحة وتؤثر فيها، وفي حركة دعوة النور، فيتعاون معها أو يبتعد عنها، فدفعه هذا الحس في مرحلة «سعيد الثالث» إلى دعم الديمقراطيين، وقال لمن هاجم «مندريس» رئيس حكومة الديمقراطيين: «اسكت أنت يا هذا، لا تقل هكذا عن «مندريس»؛ إنه يرغب في أداء خدمات كثيرة، ولكن هناك من يمنعه»^(٢).

وإن هذا الحس الذي جعل الإمام النورسي قوة تتفاعل مع الواقع، وتدرّك متى يحق للفرقة المحمدية استلام زمام الحكم، فيقول للمتعجلين: «لكي تأتي الفرقة المحمدية» لتستلم زمام الحكم، يجب أن يصبح ستون أو سبعون بالمائة من الشعب من المؤمنين والمتمسكين بالدين بصورة حقيقية»^(٣).

ولذلك، فلا غرابة من تنبيه الإمام النورسي لطلابه المستمر، على ضرورة تنمية الحس الاجتماعي، وبخاصة في المرحلة الأخيرة «سعيد الثالث»، فيقول منبهاً وموجهاً: «في مواجهتنا عدد من الماسونيين قاموا بعمل عكسي، وكرد فعل قلبوا دفاعاتكم الصادقة ضدكم، وخدعوا هيئة المحكمة. لذا، فإن التكلم حول هؤلاء،

(١) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٢٥٠.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٩٥.

لا يأتي إلا بالضرر الكبير، وقد شاهدتم أنتم ذلك أيضاً، كم أعطوا المعاني الخاطئة وحولوا الموضوع ضدنا، حتى إنهم لم يعطوني فرصة للقيام بتقديم دفاعي لكي لا تظهر مؤامرتهم ودسائسهم، ولكي يخذعوا الرأي العام وهيئة المحكمة»^(١).

ولتحقيق هذا الحس الاجتماعي، يعطيهم - رحمه الله - الدروس العملية التي تساعد على الارتقاء بحسهم الاجتماعي، فيرشدهم قائلاً: «كونوا دائماً على حيلة وتيقظ، وتحركوا بتأن؛ فإنه ليس لنا أسرار، وطريقنا معروف، وإننا لا نريد غير خدمة هذا الدين»^(٢).

ويؤكد على نفس الأمر بأكثر من أسلوب، مثل قوله: «التزموا جانب الحذر؛ إنني لا أنهمكم، ولكنكم معرضون للغفلة والخذيلة. إن الحيلة والحذر مطلوب منكم أكثر من غيركم، وخاصة إذا ما بقيتم صادقين وملتزمين لطرز حياتي ومبادئ، وتمسكتم بالمضي في طريق رسائل النور»^(٣).

وعلى هذا الإحساس كان الإمام النورسي دائم المراجعة والتقويم لأخطاء طلابه وشطحاتهم، ويروي أحدهم موقفاً من هذه المراجعات، فيقول: «كان الأستاذ يقوم بين فترة وأخرى بتلقيننا دروساً لتقويم أخطائنا وشطحاتنا النفسية، وضعفنا عندما يدرك ما نحن عليه، وفي إحدى تلك الدروس قال لنا: الآن لا يكفي الإخلاص الكبير والمطلق، ولا الصدق الكامل، ولا حتى التضحية التامة، يجب أخذ الحذر التام تجاه هؤلاء الأشخاص الذي هم مثال الشياطين»^(٤).

ولقد خشي - رحمه الله - من فقدان الحس الاجتماعي عند طلابه، مما يجعل البعض يندفع تحت تأثير المشاعر والانفعالات العاطفية إلى اتخاذ بعض المواقف التي توحى بنصرة الدين، ولكنها تخفي وراءها الأدوية القاتلة التي تدمر الإخلاص،

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٣٥٩.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٨١.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٥٧.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٧.

وتزعزع الإيمان في النفوس، وتهد الوحدة والتساند، وتقسم الناس إلى طوائف يكيدها بعضها البعض، فعبّر عن ذلك بأسلوب غير مباشر، في الأيام الأخيرة قبل وفاته، متحدثاً إلى من حوله بحرقة وألم: «لقد قاسيت طوال حياتي من الآلام والعذاب، وتعرضت إلى مظالم، ولكنني أخفيتُها جميعاً في صدري. لم أسمح أن يكون ديني ومقدساتي آلة بيد السياسيين، كما لم أقبل أن يجعلوا الجواهر الإلهية وأنوارها الربانية مثل قطع الزجاج الدنيوية، آلة بأيديهم وألعوبة لسياساتهم، ولم أسمح أن تداس تحت الأرجل.. إنهم ينوون إيقاعي في دسائس السياسة ومستنقعها في أواخر عمري، وأنا على أبواب القبر. وا أسفاه!»^(١).

وبعد وفاته - رحمه الله - يقع بعض الطلاب فيما حذر منه أستاذهم من خطورة غياب الحس الاجتماعي في الحركة بالدعوة النورية، والانخداع بدسائس السياسة. فقد شارك بعضهم في تشكيل حزب سياسي، وحينما عرض الأمر على أحد الطلاب الفاقهين الواعين، لم يقدم أية تنازلات تمس حركة دعوة النور، وأخذ يتحرك بين طلاب النور يفهمهم دروس دعوة النور من رسائل النور فيقول له البعض: «يا أخي؛ أليس هؤلاء مسلمين؟ أليسوا إخوة لنا؟ ويحييهم: هؤلاء لم يستطيعوا فهم الأستاذ؛ إنهم يشتون طلبه النور، دون أن يدركوا أو يعلموا، ويسببون في وقع الضرر الكبير جداً.

إن الذين يحاولون بث التفرقة بين طلبه رسائل النور، لا يعرفون دستور رسائل النور، ينظرون إلينا من خلال السياسة. إن سياستنا تنحصر في عدم تمكين حزب الشعب من الفوز واستلام الحكم، مستعملين أصواتنا، وفي نفس الوقت عدم فسح المجال لانقسام الأمة. لقد تلقينا دروسنا هذه من أستاذنا.. كان الأستاذ لا يلتفت إلا للنور، ويقول إن الثبات والقوة في مسلكنا هذا يأتي بالإخلاص التام، هذا الثبات جعل الإخوة صامدين أمام العديد من المعوقات والمشاكل،

بحيث أصبح الشخص البالغ ثلاثين عاما من العمر يتفوق على من هم تجاوزوا الستين أو السبعين من الأولياء. نحن مكلفون باتباع ما سمعناه أو شاهدناه من أستاذنا؛ لتتحاشى فتح سبل جيدة، وسيفهمنا أولئك إن شاء الله. إنهم لا يقرؤون الرسائل الأخيرة للأستاذ، وإذا ما قرؤوها فسيدركون ويفهمون مضامينها، وإذا لم يفهموها فهم إذن لا يريدون فهمها»^(١).

المطلب الثالث: الجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني :

لما كانت رسائل النور «سلاحا ماضيا في هذا العصر تخاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهرة طرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية من الفيض والإلهام القرآني، الذي يتوجه مباشرة لتقديم مفاهيم القرآن الكريم بالحكيم بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة»^(٢)، فإن الإمام النورسي اهتم بالأسلوب اهتماما بالغا، لما له من دور في نجاح الدعوة أو فشلها؛ من حيث انسجامه مع المؤثرات، وابتعاده عن السلبات، وتجسيده لحقائق الإيمان، ولهذا استمد - رحمه الله - الأسلوب من واقع الإيمان ونظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان، خصائصه المميزة في مرونة الحركة وحيويتها، التي تأخذ لكل موقف ما يناسبه، انطلاقا من مفهوم الحكمة الذي أمرنا به في الدعوة إلى الله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

وعلى هذا، فإن الإمام النورسي تحرك بدعوة النور وفق أسلوب قائم على الجهاد المعنوي، الذي سبيله الإقناع القائم على الحصافة، وإحسان العظة والاحتجاج، وأن دعاة النور هم أصدق الناس قليلا، وأشر فهم طريقا، وأن دعاة النور هم أصدق الناس قليلا، وأشر فهم طريقا، وأن عملهم المستمد من وحي الله، وهدى رسوله ﷺ، إنما هو تيسير لأسباب السلامة في الدنيا والآخرة، والعمل على إطفاء الفتن العاجلة

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

والآجلة؛ فهم يعلنون بقوة: «واجبنا ليس إثارة الفوضى والحركات السلبية، نحن اتخذنا شعار العمل الإيجابي البناء، ونجاهد ضد الفوضى والفساد، ونحن حراس معنويون للأمن والنظام»^(١).

ويؤكدون: «إن مبادئنا واضحة صريحة، وردت في رسائل النور، ولم يثبت علينا أية تهمة، كالإرهاب أو التوسل إلى إجراءات وفعاليات تخل بالأمن والنظام. لم يصب أي أحد أي ضرر كان من سعيد النورسي أو من الرسائل، بل بالعكس أصبحنا وسيلة للهداية والالتزام بالمبادئ، وإنقاذ الأنفس الضالة، وتثبيت الحقائق القرآنية في النفوس والأذهان»^(٢).

ولما كانت دعوة النور في أسلوبها العملي تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، وتضم من علامات الخير ما يصلها بأهل الأرض عن طريق المعيشة السلمية، إن لم يكن عن طريق الاقتناع الحر؛ فإن الإمام النورسي أكد بالأسلوب العملي ذاته على تثبيت الأسس الحافظة للحياة الاجتماعية، قائلا: «رسائل النور في نظرتها للحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً، محافظة بذلك على أمن البلاد؛ (١) الاحترام المتبادل. (٢) الشفقة والرحمة. (٣) الابتعاد عن الحرام. (٤) الحفاظ على الأمن. (٥) نبذ الفوضى والغوغائية.

وإن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً، أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل، أعضاء نافعين للبلاد والعباد، دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس»^(٣).

ولقد استخدم الإمام النورسي مع الأسلوب العملي الأسلوب القرآني، الذي يجعل الحياة بكل ما فيها من مشاهد الكون وآياته دليلاً على وجود الله، ويطلب من الإنسان أن يدخل إلى داخل نفسه، ويتطلع إلى مرآة ذاته، ويتلفت إلى ما حوله؛ ليخرج من كل واحدة من ذلك الدليل الواضح، وبذلك تنفذ

(١) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٣٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٥٥.

(٣) النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٧.

حقائق الإيمان إلى القلب والفكر معاً، من النافذة التي تدخل منها إلى الحياة، ليجعل الحياة كلها بما تحتويه من جمال وجلال منطلقاً للتفكير، ليجتمع للدليل إشراف الحس وعمق التفكير؛ فلا يشعر الإنسان بأنه يستورد الإيمان وحقائقه من خارج حياته، بل يشعر الإنسان أنه يعيش الإيمان في حركة دائمة تمتد للأعماق، وتستثير الفطرة، وتستلهم الحياة، وتستوحي الفكر. ولنفتح أعيننا، ونرشف أسماعنا، ونشجذ أذهاننا، وننبه أحاسيسنا ونحن نطالع هذه النماذج المستمدة من الأسلوب القرآني، وصاغها الإمام النورسي بقلبه وعقله وروحه: «اعلم، أنك صنعة شعورية بحكمة، حتى كأنك بوضوح الدلالة على صفات الصانع مُجَسَّم الحكمة النقاشة، ومتجسّد العلم المختار، ومُنْجَمَد القدرة البصيرة بما يليق بك، وثمره الرحمة السمعية لنداء حاجاتك، ومتصلّب الفعل المريد لما يريده استعدادك، ومتكاثف الإنعام العليم بمطالبك، وصورة القدر المرسم المهندس الخبير بما يناسب بناءك»^(١).

«اعلم، أنك مقيد بالتعين، في مقيد بالبدن، بمقيد بالعمر، محدود الحياة في محدود البقاء بمحدود الاقتدار. فحيتئذ لا بد أن لا تصرف هذا العمر القصير القليل الفاني للفاني حتى يفنى، بل للباقي ليبقى»^(٢).

«اعلم أيها الإنسان أمامك مسائل عظيمة هائلة، تجبر كل ذي شعور على الاهتمام بها؛ منها: الموت الذي هو فراقك عن كل محبوباتك من الدنيا وما فيها. ومنها السفر إلى أبد الآباد في أهوال دهاشة. ومنها: عجزك الغير المعدود، في فرك الغير المحدود، في سفر الغير المحصور، في عمر معدود محدود، وهكذا.

فما بالك تناسيت عنها - كطير الإبل - أي «النعامة» يخفي رأسه في الرمل، ويغمض عينه لئلا يراه الصياد.. إلى كم تهتم بالقطرات الزائلة، ولا تبالي بالبحور الدهاشة؟!»^(٣).

(١) النورسي: المثنوي العربي النورسي، ص ٢٩٩.

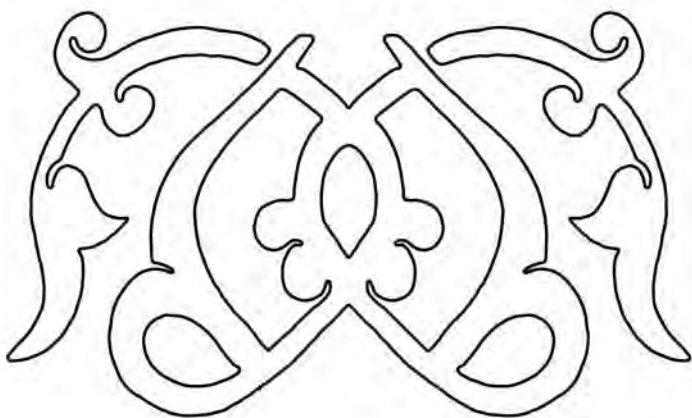
(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٢.



الباب الثالث

من مقومات نجاح الدعوة والداعية



الباب الثالث

من مقومات نجاح الدعوة والداعية

لما كانت نقطة الارتكاز في الدعوة النورية هي الإيمان العميق، ونقطة الانطلاق هي الإسلام بمنهجه المتميز في العبادة والسلوك والأخلاق والتشريع، ونقطة التوجيه هي العدل والإحسان، ونقطة النجاح والتوفيق والسداد هي تفويض الأمر إلى الله تعالى، بعد التوكل عليه حق التوكل والأخذ بالأسباب؛ فإننا سنعرض لما نراه من مقومات ساعدت الإمام النورسي على النجاح في التبليغ، والحركة بالدعوة النورية، لنشر حقائق الإيمان، والتوفيق في تأسيس جيل متميز نجح في نشر الدعوة، والحفاظ عليها، ثمراً أروع الشار.

الفصل الأول: وضوح المنطلقات والوسائل.

الفصل الثاني: الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة.

الفصل الثالث: التربية النورية الناجحة.

الفصل الأول

وضوح المنطلقات والوسائل

إن ما حققه الإمام النورسي من نجاح عظيم في الحركة بالدعوة النورية، وتوفيق في نشر الحقائق الإيمانية من خلال رسائل النور، وسداد طلابه من بعده فيما قاموا به من أعمال، أثمرت فيما أثمرت إلى انتشار رسائل النور في الكثير من دول العالم، وترجمتها إلى العديد من اللغات، وإقامة آلاف المدارس النورية في تركيا وخارج تركيا؛ كل ذلك وغيره هو نتيجة منطقية لإخلاص القصد، وصواب الرؤية، ووضوح الغاية المرجوة، وأصالة المصادر التي اعتمدت عليها الدعوة النورية، وتنوع وسائلها في تبليغ الدعوة ونشرها.

المطلب الأول: وضوح الغاية والتضحية من أجلها :

لقد كان تبليغ دعوة الله وإنقاذ إيمان الناس هو الغاية التي عاش لها الإمام النورسي، معلنا: «لي غاية واحدة وهي: إنني في هذا الوقت الذي أتقرب فيه إلى القبر، وفي هذا الوطن الذي هو بلاد إسلامية، نسمع نعيق أبوام البلاشفة، هذا النعيق يهدد أسس الإيمان في العالم الإسلامي، ويشد الشعب ولاسيما الشباب إليه، بعد سلب الإيمان منهم.

إنني بكل ما أملك من وجود أجاهد هؤلاء، وأدعو المسلمين وبخاصة الشباب إلى الإيمان، فإننا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة. وسأمثل إن شاء الله في ديوان حضوره سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا، وأخشى ما أخشاه أن يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشفة أيضا.

فغايتي المقدسة هي التكاثر والتساند والترابط مع كل من يجاهد أعداء الإيمان هؤلاء. أعطوني حريتي وأطلقوا يدي كي أعمل بالتكاثر مع القوى المجاهدة في سبيل إعلان التوحيد وترسيخ الإيمان في هذه البلاد وإصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية»^(١).

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٥٤٤.

المطلب الثاني: أصالة مصادر الدعوة :

فإن الإمام النورسي صاحب العمق الروحي والحس الإنساني المرفه، عاش عمره كله مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتحرك بدعوته وفق المنهج القرآني وتطبيقاته في المنهج النبوي، ومنهما تعلم أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم وكفاءة تعين على التبليغ والتأثير والاستفادة من الظروف والأحوال، ومعرفة النفس الإنسانية؛ فاستصحب سيرة الأنبياء والمرسلين المبثوثة في القرآن، وسيرة الصحابة والتابعين الذين تخرجوا من مدرسة النبوة، واستأنس بالتجارب المختلفة، مستمدا خطوط التوجيه في كل ذلك من الأوامر القرآنية الموجهة للأنبياء والعاملين في مجال الدعوة، ومتبعا منهج النبي ﷺ أوضح اتباع.

المطلب الثالث: تنوع الوسائل :

ولما كانت غاية الإمام النورسي واضحة تمام الوضوح، وهو يضحي بكل ما يملك من أجلها، ومصادره قرآنية ونبوية، فإن اتصاله الوثيق بالله تعالى، بعد إيمانه العميق، أنتجا فهما دقيقا لديه مفاده: «إن التوسل والتشبث بوسائل مختلفة مثل: التدريس والمحاضرات والندوات والاجتماعات وغيرها، يعتبر جميعها واجبات إسلامية لتحقيق التلاحم والالتفات حول الحقائق القرآنية التي تبرزها رسائل النور»^(١).

أولاً: القدوة الحسنة: فلقد كان إيمان الإمام النورسي وصلاحه وتقواه، وشفقته ورحمته، أبلغ رسالة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة، ويجمع عليه القلوب؛ لأنه مثل حي متحرك بحقائق الإيمان التي يعتنقها؛ فقد وجد فيه - رحمه الله - الناس «الشفقة والرحمة والأدب الجم والتربية والعلم والعرفان والشجاعة والجرأة والإخلاص، والأخوة والبطولة والتواضع»^(٢).

(١) نجم الدين شاهينز: الشهود الأواخر، المجلد ٤، ص ٨.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٨٠.

وكان من شدة تواضعه «بحيث يشعر الجالس معه كأنه لا يعرف الشيء الكثير، وذلك لبساطته وعلو همته واهتمامه بالناس»^(١).

وإن قوة القدوة المؤثرة في شخصيته - رحمه الله - جعلت بعضهم يعبر عن ذلك قائلاً: «كنت أزداد شوقاً كلما أصغيت إلى كلامه، ولا أريد أن ينقطع الكلام، وكان هو بإيمانه القوي لا يسع وجوده المادي الصغير، ويؤثر علينا أيما تأثير»^(٢). هذا الإنسان الوقور يزداد شموخاً وعظمة كلما خاض في الكلام؛ فيلقي بأحاديثه الشائقة المفعمة بالانشرار في القلوب.

ويعلل الآخر لكونه قدوة، فيقول: «إن السيد بديع الزمان كان شخصية محترمة، يعيش الإسلام أولاً مع نفسه، ثم بعد ذلك يتكلم به»^(٣).

ثانياً: النظام وحسن استثمار الوقت: لما كان النظام وسيلة جيدة وضرورية لحسن استخدام الجهود، وتوجيهها على نحو مثمر في مجال الدعوة إلى الله، وبالتالي فرص النجاح للداعي في بلوغ غايته وهدفه؛ فإن الإمام النورسي حرص على النظام والانتظام الدقيق، مخبراً طلابه: «إن حياتي مضت بانتظام. أجل؛ إن حياته كانت تجري ضمن نظام دقيق يغطي كل أربع وعشرين ساعة من يومه»^(٤).

ويروي أحدهم جانباً مما شاهده من حسن استغلال الإمام النورسي لوقته، فيقول: «كان الأستاذ لا يصرف وقته سدى قط؛ فلا أراه إلا قائماً يصلي، أو داعياً متضرعاً، أو مسبحاً ذاكراً، أو متأملاً في ملكوت السماء والأرض، فهو حتماً مشغول بشغل يهيمه»^(٥).

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٧٨.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٦.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٢٥.

(٥) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٤١.

ثالثاً: التعليم والتذكير: فالإمام النورسي، عالم فقيه عميق الوعي، موسوعي العلم مارس منذ البداية التعليم والتذكير من أجل نشر الحقائق الإيمانية، حتى يفتح عيون الناس على أنوار الإيمان، ويعرّف الجاهلين بحقائق الإيمان، ليكون الإيمان واضحاً كالشمس، شائعاً كالماء والهواء.

فما فتى - رحمه الله - يذكر كل من يقابله: «أخي؛ أنا لست إلا دلالاً في محل جواهر القرآن الكريم، وخادماً فيه، فأنا منشغل يا أخي بإعلان نور القرآن»^(١).

بل ويربط طلابه برسائل النور مباشرة مدارس وتعلماً وتذكيراً، قائلاً: «إنني أترك لكم معلماً وأستاذاً مستديماً؛ أية رسالة من رسائل النور تقرأونها، هي أفضل بعشرة أضعاف من اللقاء بشخصياً»^(٢).

ويؤكد على طلابه القيام بهذه المهمة، مهمة تعليم الناس وتذكيرهم من خلال نشر رسائل النور، فيقول: «إن واجبكم إيصال هذه الرسائل إلى الجميع، حتى الأمي وراعي الجبل»^(٣).

رابعاً: الخطابة: ولأن الخطابة في ديننا مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، ويتنقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من بلد إلى بلد؛ فإن الإمام النورسي حقق ذلك منذ شبابه الباكر، وتجسد ذلك في تراثه المحفوظ، وبخاصة خطبته التي ألقاها في الجامع الأموي أمام الآلاف وبحضور ما لا يقل عن مائة عالم، تلك الخطبة المعروفة بالخطبة الشامية، والتي تمثل برنامجاً متكاملًا، ودليلاً شاملاً للخروج بالأمة من أزماتها المختلفة.

خامساً: الترغيب والترهيب: الترغيب بالحث على فعل الخير، وأداء الطاعات، والاستقامة على أمر الله.

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٦.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٢.

والترهيب لتكف النفس عن الرذيلة وجلاً مما يعقبها من منغصات، ولتندفع إلى الفضيلة خوفاً من مغبة التراخي والتفريط.

ولقد استخدم الإمام النورسي الأسلوبين في دعوته العملية استخداماً حكيماً، يحدثننا عنه أحدهم بقوله: «كان الأستاذ يتعامل بالمدح والثناء أحياناً، وبالقدح واللمم أحياناً أخرى، وهذا النوع من التعامل يمثل الكمال في الإدارة؛ يوجه كلا حسب قدرته على الخدمة»^(١).

سادساً: الكتابة: فلقد أبدع الإمام النورسي في الكتابة بأسلوب رائع راق غاية الروعة والرقى، وما كليات رسائل النور إلا ترجمان لهذه الكتابة النورانية الروحية العقلية الوجدانية، التي رسمت معالم الإيمان والإسلام، وصورت حقائقهما، كما يرسمها الفنان القدير، وكما يصورها الشاعر المفتون بالطبيعة وما فيها من حدائق ناضرة، وسماء ضاحية، ونجوم زاهرة.

سابعاً: استخدام الوسائط الحديثة: فبالإضافة إلى الصحف والمجلات، استفاد الإمام النورسي من الراديو الذي كان من أحدث وسائط العصر وقتها، وقال عنه «الراديو نعمة إلهية، ولكي يظهر الإنسان شكره لهذه النعمة الإلهية، يتوجب أن يجعله وسيلة طيبة؛ بالكلمة الطيبة وخاصة ترتيل القرآن الكريم وحقائقه الإيمانية، والدروس الأخلاقية التي يتضمنها والضرورية للإنسان.

وإذا لم تلتق النعمة الشكر بالمقابل، يقع الضرر على الإنسان. وكما أن البشر بحاجة إلى الحقيقة، فإنه بحاجة أيضاً إلى بعض الترويح وبث الفرح في النفوس، على ألا تزيد نسبته على الخمس، وإلا فيسيكون منافياً لأسرار حكمة الهواء، فضلاً عن أنه يؤدي إلى الخمول والكسل والسفه، ويسبب في التقصير في أداء الواجبات الأساسية، وينقلب من نعمة كبيرة للبشرية، إلى نقمة عظيمة»^(٢).

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٩٥.

المطلب الرابع: التمييز بين الدعوي والسياسي :

لقد اشتغل الإمام النورسي في مرحلته الأولى «سعيد القديم» بالسياسة اشتغالاً نسيبياً، بقصد خدمة الدين وصيانة المقدسات، لكنه عندما يتقن أن السياسة تنحرف عن الغاية، وتتجه نحو الصراع من أجل المنفعة، وتفتح أبواب الفتنة والاختلاف والتطرف؛ أعلن بوضوح وجزم أنه لا يمكن أن يخدم القرآن والإيمان عن طريق عالم السياسة، وأرسل تحذيراته القوية، قائلاً: «حذار.. حذار.. أيها الأخوة من أن تقدفكم التيارات الدنيوية، ولا سيما السياسية منها، ولا سيما التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة؛ إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة.. فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: (الحب في السياسة والبغض في السياسة) بدلا من الدستور الرحاني (الحب في الله والبغض في الله)؛ إذ عندها تعادون أخواكم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمنا. فحذار حذار من هذا»^(١).

ومن هنا، كان لزاما على الأستاذ أن يميز دعوته تمييزا واضحا لا علاقة له بأدوات السياسة وألاعيبها، موضحا: «لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات؛ لعله يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها، وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ - فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب، وهي ذات خطورة، وإن أغلبها خداع وأكاذيب، وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر»^(٢).

(١) النورسي: الملاحق، ص ١٥٢.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٧٦.

الفصل الثاني

الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة

طالعنا في الفصول السابقة عظمة الإمام النورسي وبراعته، ورأينا قوة إيمانه في نواح عديدة ومجالات متنوعة، وشعرنا شعورا حقيقيا بشغفه الكبير بدعوة النور ورسائل النور، وسمعنا من أقواله مدى تضحيته وعظمة افتدائه دعوته بجميع مواهبه وطاقاته من أجل إبرازها ونشرها، وتلك هي السمة الرئيسية للدعاة المجددين الذين يجري الله على أيديهم الكثير.

وفي هذا الفصل، نجتهد في بيان ملامح الرشد والحركة الإيجابية للدعوة النورية، وإمامها النورسي؛ بدءا بالتشخيص السليم لأصل الداء، والتوصيف الدقيق للعلاج الناجع، والامتداد بالحركة لينجز الأعمال المبهرة بالشورى والأخوة.

المطلب الأول: التشخيص السليم والعلاج الناجع :

عندما لم تحقق نشاطات الإمام النورسي السياسية، النتائج المرجوة للإصلاح الذي يطمح إليه وفق منظور الدين والشرعية مال إلى العزلة متأملا ومتفكرا ومتضرعا إلى العلي القدير أن يلهمه الصواب والسداد في معرفة أصل الداء الذي دبّ في أوصال المجتمع، وأعراض هذا الداء، وانتهى إلى أن أصل هذا الداء جهل الخلق بالخالق، وابتعاد العباد عن المعبود الحق الواحد الأحد، وعدم تمثلهم للعبودية الكاملة الخالصة لله تعالى؛ فانبرى - رحمه الله - للقيام بوظيفته التجديدية في خدمة الإيوان والقرآن.

أولاً: أعراض الداء وآثاره: بما أن الإيوان هو ركيزة الإمام النورسي في فهمه للواقع وتشخيصه للداء وأعراضه فإنه وجد أن من أهم أعراض الداء وآثاره ما يلي:

١ - ضعف الرابطة الدينية: فقد أعلن بجرأة واضحة: «ليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإسلام بين العرب والترك والكرد، والأرناؤوط والجركس واللاز.

وإن إهمالاً طفيفاً في الدين أدى إلى إرساء قواعد ملوك الطوائف، وظهور جاهليات ماتت قبل ثلاثة عشر قرناً، وبالتالي إلى ظهور الفتن والقلاقل»^(١).

٢- غياب الغاية الربانية: فإن غياب الغاية الربانية ينتج الأنانية المدمرة، ويوجه الإمام النورسي إلى هذه الحقيقة قائلاً: «إن لم تكن للجماعة غاية وهدف، فإن الأنانية تقوى، وإن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد، وحامت حولها»^(٢).

٣- القومية السلبية: تلك التي يتولد عنها المزيد من المصائب والأضرار؛ فهي على حد قوله - رحمه الله - : «قسم سلبي مشؤوم مضر و يتربى وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر، وهذا يولد المخاصمة والنزاع»^(٣).

٤- العداء والخصام: فهما لا يتناسبان مع ماهية المؤمن - كما يقول الإمام النورسي - فالعداء والمحبة كالضياء والظلام لا يجتمعان أبداً؛ فإذا تغلب العداء انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنع»^(٤).

٥- العناد والحسد والنفاق والشقاق: لأن ما يسببه التحيز والعناد والحسد من نفاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلاً، ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل حياة البشر الشخصية؛ الاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة»^(٥).

٦- الضعف والذل والهوان: فالتهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم، ويشجعه عليكم، ولا يوقفه عند حده»^(٦). وإن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٣٣.

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٨٥١.

(٣) النورسي: المكنوبات، ص ٤١٤.

(٤) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٢٣.

(٥) النورسي: المكنوبات، ص ٣٣٩.

(٦) النورسي: المثوي العربي النوري، ص ٢٠٣.

والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)^(١).

ثانياً: العلاج الناجع ولوازمه: إن أصل هذا العلاج هو الإيمان بالله رباً لها واحداً لا شريك له، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكافة حقائق الإيمان، ولكي يثمر هذا الدواء، ويعطي أثره الناجع، ويحقق نفعه الكامل، لا بد مما يلي:

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الذي هو أساس الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، وبالتالي فهو أساس صيانة المجتمع وحفظ الأمة، وذلك لأن «الشرعية تربي في روح المسلم الشفقة وعزة الإيثار؛ فلقد اخذ القرآن بيده حقائق الشريعة، كل حقيقة منها عصا موسى (في تلك اليد)، وستسجد له تلك المدينة الساحرة، سجدة تبجيل وإعجاب»^(٢).

ومن هنا، أوجب على الداعية القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون مرشداً حقاً، و«المرشد الحق هو من كان هدفه وغايته الاتحاد بضيء القلب ونور الفكر، وكان مسلكه المحبة، وشعاره ترك حب الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات (المحوية)، وطريقته الحمية الإسلامية»^(٣).

٢ - تحقيق التكامل المعرفي: فإن تنوير المجتمع بالعلم والمعرفة والعرفان، وتعويده على التفكير المنظم، يحقق التكامل المطلوب للعافية؛ «فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم، لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم، ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد»^(٤).

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٣٤١.

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٨٥٧.

(٣) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٤) النورسي: الكلمات، ص ٣٥٥.

ومع التكامل العلمي والمعرفي، لابد من التكامل العرفاني الداخلي، المعتمد على البناء الروحي وتعميقه؛ «لأن ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو، إن كان داخلياً فهو دليل تكامل، بينما إن كان من الخارج فهو سبب تمزق الغلاف والجلد؛ أي إنه سبب الهدم والتخريب لا النمو والتوسع»^(١).

٣- تحقيق الحرية والشورى: «فالحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا السيادة الحقيقية لأمتنا»^(٢)، «وإن ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية، المشروطتان بتربية الشريعة الغراء»^(٣).

٤- العدل والعدالة: لأن العدل لب معنى الحياة، وقاعدة ترشيد الفطرة، ومقوم صيانة الأمة؛ «فالعدالة المحضنة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية»^(٤).

٥- الاستقلال والاستغناء: «فإن النور الإلهي في الشريعة الغراء، يمنحها خاصة مميزة، وهي الاستقلال الذي يؤدي إلى الاستغناء»^(٥).

ولقد عاش الإمام النورسي هذا الاستقلال وذلك الاستغناء عملياً في حياته، ونقل ذلك إلى طلابه، توضيحاً وتعليماً وتربية، وكان مما قاله لهم: «تعلمون عدم قبولي للصدقات أو العون من أحد، كي لا أكون وسيلة في هذا المجال، لذلك أبيع بعض حاجياتي الضرورية وملابسي وأشتري بالمبالغ التي أحصل منها مؤلفاتي التي يكتبها الإخوة؛ لئلا تختلط منافع دنيوية بالجهود الخالصة لرسائل النور، ولا تسبب في إحداث الضرر، ولتكون عبرة لبقية الإخوة، ولا تكون الرسائل آلة لأي شيء كان»^(٦).

(١) المرجع السابق، ص ٥٦٤.

(٢) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) النورسي: الكلمات، ص ٨٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٥٧.

(٦) نجم الدين شاهينز: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ٧٧.

المطلب الثاني: الإصرار على الامتداد بالحركة الدعوية :

لقد امتدت نشاطات الدعوة النورية التي قام بها الإمام النورسي، امتداداً لم يعرف حدود الزمان أو المكان، أو مستوى الإنسان العلمي أو الاجتماعي، فقد كان يتحرك بدعوة النور في كل مكان يحل به، ومع أي فرد يقابله، حتى السجن حوله إلى مدرسة يوسفية للدعوة النورية، وألف رسائل النور في ظروف قاسية، وأوضاع عصيبة؛ فلنقف وقفات سريعة مع جوانب تجلي هذا الملمح الفكري الحركي الراشد.

أولاً: المثابرة والإصرار: ثابر الإمام النورسي في حركته بالدعوة النورية، وأصر على نشرها بكل ما يملك من حياة وجهد ووقت، ويعلن أمام من يحاكمونه في (آفيون): «إننا بعون الله تعالى، وبالقوة التي نستمدّها من القرآن الكريم، لن نترك الميدان، ولن نهرب، ولو أقاموا الدنيا بأجمعها ضدنا»^(١).

ويزيد الأمر تأكيداً في نفس الموقف، رافعا صوته: «ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحنى هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلّى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية أو لا يسعني التخلي عنها»^(٢).

وكم من شاهد يؤكد أن الإمام النورسي «كان رجلاً حركياً ومقدماً وشجاعاً، يتكلم مع الكل بلا استثناء ويشرح دعواه، ولم يكن مستسلماً للمسكنة والعجز»^(٣).

وبالتالي، فلا غرابة حين يقول لطلابيه: «لقد أوقفت حياتي لإيجاد الحقائق الإيمانية للقرآن، وتقديمها إلى المحتاجين؛ لأنها تتضمن ما تبحث عنه البشرية بجميع مكوناتها، من أركان الإيمان والسعادة التي تفتقدها، مع الأخوة الإسلامية التي تربط

(١) النورسي: الشعاعات، ص ٣٤٦. ويزيد

(٢) المرجع السابق، ص ٤١٠.

(٣) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ٢١١.

كافة المسلمين.. ليس الاتفاق مع المسلمين من أهل الدين فحسب، وإنما المصادقة وترك الخصومات حتى مع النصارى المتدينين، وهذا ما أدعو إليه»^(١).

ولهذا، فإن الإمام النورسي «يقابل زواره الذين كانوا على مستويات مختلفة، فيلقنهم حقائق الدين والقرآن، ويحثهم على أداء الخدمة الدينية، إلى جانب واجباتهم الدنيوية والمعاشية. وهكذا كان حب الله والعمل في سبيل الدين، يتعاضد عند الجميع، ويصبح الإسلام غاية وهدف ذلك الإنسان»^(٢).

ثانياً: الحركة بالدعوة ونشرها بين النساء: لم يفرق الإمام النورسي في الحركة بالدعوة النورية بين الرجال والنساء، لإيمانه بأن الاعتماد على شق واحد قد يكون عنصر تحطيم لشوكة العمل، بينما تناغم الجهود بين الجميع، عنصر تدعيم وقوة للعمل. ويظهر اهتمام الإمام النورسي بالمرأة والرجل في العمل الدعوي النوري، في مواقف عديدة، منها ذلك الموقف الإنساني الراقي الذي يجبر فيه - رحمه الله - طلابه: «أعلمني حلمي بك الذي يعرف بالشيخ الصغير، خبر وفاة رفيقة عمره التي كانت أيضاً من طلبة النور، هذا الإنسان خدم دعوة النور هو وزوجته وولده مدة ثماني سنوات في قسطنطيني، وبكل تفان وإخلاص»^(٣).

وامتد اهتمام الإمام النورسي بالمرأة في الدعوة النورية امتداداً يشمل العديد من الجوانب؛ فهو حريص على استقلال شخصية الفتاة، وتجلى ذلك بوضوح في قوله لإحداهن بشأن ابنتها: «ليتها تتعلم ولا تكون أسيرة للرجل، وتكسب قوتها بنفسها»^(٤). وحين يعلم بقبوع إحداهن في بيتها، وعدم ممارستها لتعليم الأخريات، يرسل إليها من يقول على لسانه: «إنه غاضب منك؛ كيف تنزوين في البيت وهو عينك معلمة، وكلفك بمهمة وواجب التدريس»^(٥).

(١) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٣٥.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ٦٩.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٣٩٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٩٩.

يضاف إلى ما سبق، تقديره - رحمه الله - للمشاعر والأحاسيس، تروي إحداهن عن ذلك، فتقول: «كان يقول في حقي: إنها طاهرة القلب، وإنني أقبلك أختالي في الدنيا والآخرة. وإن دخلت الجنة فلا أتركك، بل آخذ بيدك وأدخلك معي الجنة إن شاء الله»^(١).

ولما كان هذا هو جانب من وضع المرأة الدعوي في دعوة النور، فلم يكن مستغرباً أن تكون إحداهن من الهيئات المجاهدة والمضحية، هي أول امرأة تساق إلى محكمة الجزاء الكبرى بتهمة الدعاية لحركة النور^(٢).

ثالثاً: الاهتمام بالتواصل مع العلماء الرسميين: لأن هؤلاء العلماء شركاء في القيام بالوظيفة الإيمانية، وإرشاد الناس إلى حقائق الإيمان، ولذلك كانت علاقة الإمام النورسي معهم علاقة تتميز بالإخاء والصفاء، حتى إن أحد هؤلاء العلماء المعروفين قال لطلابه: «أنتم تفهمون جانباً واحداً من الأستاذ، إن مداركم لا تكاد تدركه؛ إنه إنسان عجيب، عليكم قراءة رسائل النور بشكل تفهمونه، إن ما لدى أستاذكم من إمكانات وقابليات، يستطيع معها إدارة شؤون العالم إذا ما وكلت إليه أموراً. إنني أراه بهذا المنظار، بل إنه هكذا في واقع الحال»^(٣).

رابعاً: تشجيع الحفاظ للحركة بالقرآن: فهم أصحاب الخطوط الأمامية في مهمة الإرشاد والتبليغ على حد قول الإمام النورسي لأحدهم، «جزاك الله خيراً يا حافظ القرآن الكريم، فأنتم اليوم تؤدون وظيفة الإرشاد أكثر من العلماء والواعظين، وأحسن منهم، فليكثركم الله، وليمهد بكم السبيل، ويزيدكم قوة في الصوت والفؤاد. فرتلوا القرآن واجلبوا الناس بأصواتكم؛ ليصغوا إلى كتاب الله، كي تسيل الدموع من الأعين، ويذهب الله بها ران قلوب المسلمين»^(٤).

(١) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٨٥.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١٢٥.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١١١.

(٤) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٣٤.

خامسا: الاهتمام بدور المسجد في حركة الدعوة: هذا الاهتمام بدا واضحا في أولويات حديث الإمام النورسي لمن يأتي لزيارته وينقل ذلك أحد الشهود بقوله: «حينما يزوره الأصدقاء كان يكلمهم وأول ما يبادرهم بالسؤال: هل من مسجد في قريتكم؟ وأي درس يدرسه أئمة المساجد؟ فإذا أجابه الزائر بأنه ليس لديهم مسجد ولا معلم، يتألم كثيرا ويعجب من أمرهم: كيف يعيشون في مكان لا مسجد فيه ولا مرشد؟»^(١).

المطلب الثالث: التزام الحذر والتيقظ:

فالحذر عند الإمام النورسي هو ضابط أمان لحركة الدعوة، وعامل تأمين لانتشارها وامتدادها، وفن من فنون فقه الواقع، ومظهر من مظاهر الحس الاجتماعي. وهو يعني بذلك: التحرز والتيقظ القائم على أساس المعرفة وأخذ الحيطة؛ فالداعي اليقظ يعرف مدى ضرر المكروه المتوقع حصوله، فيسعى بالتحرز ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه، أو لدفعه إذا وقع، أو لتقليل أضراره وأذاه.

ولا يتوهم أحد أن الأخذ بالأسباب أسباب الحيلة واليقظة يناقض الثقة بالله، ويخالف التوكل على الله؛ فإن الأسباب والمسببات بيد الله وحده.

ولقد شدد الإمام النورسي على هذا الأمر تشديدا واضحا، فكان مما قاله لطلابه: «التمزوا جانب الحذر، إنني لا أتهمكم، ولكنكم معرضون للغفلة والخديعة؛ إن الحيلة والحذر مطلوب منكم أكثر من غيركم»^(٢).

بل إنه - رحمه الله - علمهم عمليا، أن من الحيلة والتيقظ والحذر مراعاة الواقع الزماني، والمكاني، والشخصي، وأنه على العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مدركا لشأنه، حافظا للسان، لتستقيم له طريقه، وبالتالي؛ فليس كل ما يعرف يقال، ولا كل ما يقال جاء أوانه، ولا ما جاء أوانه حضر رجاله، فيقول - رحمه الله -: «لا بد من العمل

(١) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٥٧.

وفق الحديث الشريف (سيروا على سير أضعفكم)، ويلزم عدم الخوض في مسائل النزاع، وعدم طرق مسائل القبة والأذان واستعمال عناوين الدجال والسفياي مع الغرباء؛ حيث يسبب هذا اتخاذ العلماء وأهل السياسة تجاه رسائل النور موقف المجابهة والتعدي عليها. فالحذر هو الألزم، والواجب ضبط النفس، حتى إن عدم الأخذ بالحذر ولو جزئياً يؤثر حتى ها هنا.

وإن رسائل النور ليست دائرة واحدة، بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة؛ فهناك طبقة الأركان والمالكين والخواص والناشرين والطلاب والموالين، وأمثالها من الطبقات.

فمن لم يكن أهلاً للدخول في طبقة الأركان، لا يطرد خارج الدائرة بشرط عدم موالاته لتيار يخالف رسائل النور، والذي ليست له ميزات الخواص يمكن أن يكون طالبا بشرط عدم الدخول في مسلك مضاد، والذي يعمل بالبدعة يمكن أن يكون صديقا بشرط عدم موالاته قلبا لها.

ولهذا لا تخرجوا أحدا من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة، لئلا يلتحق بصف الأعداء، ولكن لا يشرك هؤلاء في التدابير الدقيقة التي يتخذها أركان رسائل النور ومالكوها^(١).

المطلب الرابع: إنجاز الأعمال بالأخوة والشورى :

لقد استطاع الإمام النورسي بدعوته النورية، وحركته الربانية الدائبة، أن يحدث أثرا واسعا، داخل تركيا وخارجها، ومع ذلك لم تشغله بوادر النجاح التي رآها في الأعوام الأخيرة من حياته، عما ينبغي ترسيخه في نفوس طلابه من ضرورة الحفاظ على أسباب النجاح، وصيانة عوامل الإنجاز، وتدعيم دعائم التوفيق.

(١) النورسي: الملاحق، ص ٢١٦.

أولاً: الإخلاص: ويأتي في مقدمة هذه الأسباب والعوامل والدعائم، الإخلاص الذي أدرك قيمته المهتمون من المفكرين العدول، حيث قال أحدهم: «إن بديع الزمان هو فعلاً شخصية متميزة ومؤثرة، ويمكن التوصل إلى إدراك هذه الحقيقة بالنظر إلى النتائج مع قلة الإمكانيات وقحط الوسائل. لقد وفق ونجح في حفر بحار وليس بئراً بمجرد إبر. إن ما قدمه في سبيل الإسلام والقرآن والإيمان والشرعة وفي سبيل أمة الإسلام، يعتبر مصدر تقدير وامتنان لدى كافة المسلمين وعلى مختلف مشاربهم.

إنني أعتبر أن من أجل الخصائص التي تميز بها الأستاذ، إنجازاه كل هذه المنجزات دون الاعتماد على أية مصادر مالية؛ لم يكن يطلب من أي إنسان كان أموالاً لأجل تقديم الخدمة، ولم يكن يقبل حتى ما يعرض عليه دون طلبه. لقد حقق خدمات هائلة بجهازين يدويين بسيطين وبأوراق مشمعة بائسة.

إن ما حققه جهازان يدويان، لن يقدر على إنجازاه أرقى وأعظم المطابع الحديثة والمتطورة؛ وذلك لما كان يمتاز به الأستاذ بديع الزمان وطلبته الأبطال من عزم وإخلاص واستقامة وتضحية وصبر وتفان.

إن أحد أسس دعوة النور، بل وأولها، هو الإخلاص، إن هذه الكلمة البسيطة من أغزر الخزائن.

إن الإخلاص قوة عظيمة بيد المؤمن لا تغلبه أية قوة أو قدرة، وإن الإخلاص لن يتحقق بالقول وباللسان وحده، بل يتوجب تهيئة الوسائل والأسباب والالتزام بها والاستجابة لشروطه والامتناع عن كل ما يؤذيه، وإذا فقد الإخلاص، تنطفئ الهمم والجهود وتذروها الرياح وتعصف بالمنجزات»^(١).

ومع الإخلاص، كان الفناء في الإخوان لتحقيق الاتحاد والتساند والالتزام بالشورى.

ثانياً: الفناء في الإخوان: هذا العامل وضعه الإمام النورسي نفسه، لذا فهو الأجدر بالتعريف به، حيث يقول: «هناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة، أمثال الفناء في الشيخ والفناء في الرسول، وأنا لست صوفياً، ولكن الفناء في الإخوان دستور جميل يناسب مسلكنا ونهجنا تماماً؛ أي أن يفنى كل في الآخر، أي، ينسى كل أخ حسياته النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم؛ حيث إن مسلكنا هو الأخوة في الله، وإن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، وليس علاقة الأب بالابن، ولا علاقة الشيخ مع المريد، وإن كان لابد فمجرد العلاقة بالأستاذ. وما دام مسلكنا هو الخليلية فمشرنا إذن هو الخلّة، والخلّة تقتضي صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحياً، وأحاً شهياً غيوراً.. وأس الأساس لهذه الخلّة هو الإخلاص التام»^(١).

ويلخص الأمر بقوله: «إن سر الأخوة هو إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه، وإيثارهم على نفسه»^(٢).

وبهذه المعاني السامية تمكن الإمام النورسي من أن يعزز صفوف طلابه، ويجعلهم قادرين على الحركة عملياً بالدعوة النورية، محققين نجاحاً متميزاً.

ثالثاً: الاتحاد والتساند: لقد أعطى الإمام النورسي اهتمامه الكبير بتأمين الوحدة بين طلاب النور، وتحقيق التكاتف فيما بينهم، ولم يكن يسمح بأية نزاعات أو خصومة أو تنافس أو تدافع. وكان - رحمه الله - يلفت أنظار طلابه بضرورة التفكير في الاتحاد والتساند كشرط لصحة التفكير في الخدمة الإيمانية، فيقول لهم: «يا أخي لا تفكر في الخدمة؛ سيجعل الله سبحانه أداها نصيب المخالفين والمعارضين، إن ما يجب عليكم التفكير فيه: الأخوة والمحبة والاتحاد والتساند؛ هذه أكثر ما يجب أن تفكروا فيها، وهي أكثر ما يلزمنا اليوم»^(٣).

(١) النورسي: اللغات، ص ٢٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٣) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٤، ص ١١١.

كما كان يؤكد على أن «طلبة النور الذي يشكلون مع بعضهم البعض كتلة متراسة ومتساندة، إنها يكسبون القوة والتأييد، ويوجدون نقطة ارتكاز على النطاق الأعم والأوسع لجماعة أهل الإيمان والدين»^(١).

رابعاً: إقامة الشورى الحقيقية: فإن إقامة الشورى الحقيقية عامل في غاية الأهمية لصيانة الإخاء والاتحاد، وعلى هذا الأساس يحذر الإمام النورسي طلابه من ترك الشورى الشرعية بما يفتح عليهم الكثير من الأضرار، فيقول: «حذار حذار، لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر، فيستغل أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة، وحاجاتكم المعيشية. صونوا آراءكم من التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم، واجعلوا دساتير رسالة الإخلاص نصب أعينكم دائماً. وبخلاف هذا، فإن اختلافاً طفيفاً في هذا الوقت يمكن أن يلحق أضراراً بليغة برسائل النور»^(٢).

وما أجل الاستعارة التمثيلية التي يسوقها - رحمه الله - لطلابه! ليدركوا أخطر الآفات التي تعصف بالشورى وتمسخها، فيقول: «جمعية تشكلت برئاسة «الجهل» أغا، و«العناد» أفندي، و«الغرض» بك، و«الانتقام» باشا، و«التقليد» حضرتي، ومسيو «الثرثرة»، هي جمعية تشوه «الشورى» التي هي منبع سعادتنا وتكدرها»^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ٢١٢.

(٣) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٨٩.

الفصل الثالث

التربية النورية الناجحة

إذا كان علماء التربية الإنسانية قد أكدوا على أن قوام الشخصية الإنسانية ينبغي على العقلية الإنسانية والنفسية الإنسانية، وأنه إذا اهتز أحد الجانبين تفقد الشخصية الإنسانية كينونتها وهويتها، وأن قوام العقلية الإنسانية العلوم والتجارب والمعارف والخبرات، وقوام النفسية الإنسانية الفنون والآداب بأنواعها الهادفة؛ فإن الإمام النورسي نجح في تربية أجيال متميزة في أذواقها وفي مناهج تفكيرها، وفي أساليب بيانها ولغتها وخطابها، وفي مكوناتها الشخصية بصفة عامة، محققا بذلك المثالية الواقعية في التربية الجامعة بين العقل والقلب والفكر والوجدان.

وإن المتأمل فيما سطره الشهود الأواخر، يرى صورا عظيمة لهذه التربية وأصولها وملاحمها؛ فلتقترب من بعض هذه الصور، نطالعها، ونستنطقها، ونستشعر ما تحمله من دلائل تربوية رائعة.

المطلب الأول: من أصول التربية النورية :

نجبرنا الشهود الأواخر بأن إرادة الإمام النورسي العازمة، وما يمتلكه من قدرات عقلية ناضجة، وما يتمتع به من عظمة روحانية متوثبة، وما اكتسبه من خبرات دينية واجتماعية وكونية مبهرة، وإدراكه الواضح للمثل الأعلى الذي يتطلع إليه في إنسان النور، ألا هو الرقي المعنوي والرقي المادي؛ كل ذلك كان له أكبر الأثر في تربيته لطلابه على أصول عملية واضحة، منها:

أولا: ربط الطلاب بالغاية العليا: فمن معالم هذه التربية النورانية، وأصولها النورية، جذب الإنسان المسلم إلى غاية عليا، هذه الغاية هي الله عز وجل ونيل رضاه، والتلذذ بذكره والتنعم من عبادته، والتطلع إلى ما عنده، وهذا الأصل

يمثل نقطة البداية ومحور الارتكاز في قبول الطلاب ليكونوا في زمرة النور؛ فكان - رحمه الله - يقول لهم: «إذا كنتم تنتظرون مني منفعة دنيوية، أو تتوقعون شيئاً يوم الآخرة.. لا تستطيعون الوقوف معي، فلا تنتظروا مني أي شيء.. أنا أيضاً إنسان عاجز ومقصر، وإذا كان تفكيركم وهدفكم رضا الله، فعندئذ أقبلكم عندي»^(١).

ولقد أراهم - رحمه الله - عملياً من نفسه، أن هذه الغاية العليا لا تضيق بالراغبين فيها والمتطلعين إليها، وأنها لا تنال بالأمانى الفارغة مع القعود والكسل؛ فيحدثنا أحدهم عما رآه من أستاذه قائلاً: «كان الأستاذ يتعبد كثيراً، ويختار لعبادته الأماكن العالية والقمم السامقة، ولقد شاهدت عبادته يوماً في جامع «نورشين»؛ رأيته صاعداً فوق الجامع، فارشاً سجاده، وغارقاً في التأمل والتدبر العميق، والتسبيح الطويل»^(٢).

ويضيف آخر: «كان الأستاذ لا يصرف وقته سدى قط، فلا أراه إلا قائماً يصلي، أو داعياً متضرعاً، أو مسبحاً ذاكراً، أو متأملاً في ملكوت السموات والأرض»^(٣).

ولكي يكسبهم - رحمه الله - عمق الإيمان، والتجرد التام، يُرجع تأثيره التربوي في نفوس طلابه، إليهم أنفسهم؛ فحينما يقول له بعضهم: «ماذا عسانا كنا نعمل لو لم نتعرف عليك ونجذك؟ فأجاب بتواضعه المعهود: بل، ماذا كنت سأعمل لو لم أجدكم وأعثر عليكم؟ إذا ما فرحتهم مرة واحدة لتعرفكم بي، فأنا أفرح ألف مرة لأنني عثرت عليكم»^(٤).

ثانياً: وصل الطلاب بالقرآن والسنة: فمن أهم وسائل التربية الإيمانية الروحانية، والتربية الأخلاقية السلوكية، والتربية الفكرية العقلية، الاتصال بكتاب الله القرآن الكريم تلاوة وتأملًا وفهماً، وفتح منافذ القلب إلى هذه الروح العظيم (القرآن)

(١) نجم الدين شاهينز: الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ١١٩.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

لتنساب أنواره إلى كيان المسلم، فتزيل أدواءه وظلمته، وتبعث فيه الحياة الحقيقية. وكذلك السنة النبوية المطهرة بما تحمله من منهج عملي للإنسان الكامل القدوة، والنبى الخاتم الأسوة، محمد ﷺ، ولذا، فإن محور حديث الإمام النورسي لطلابه هو ربطهم بهذين الأصلين ربطاً عملياً، فيقول أحدهم: «يتحدث لنا عن عظمة الإسلام، وحقائق القرآن، وقبل كل شيء عن الإيمان القوي الراسخ، وحول عظمة الرسول ﷺ، والخدمة القرآنية الجليلة، وعن تمكين الإيمان في القلوب والنفوس»^(١).

وآخر يدلي بشهادة عما تعلمه في هذا من أستاذه، قائلاً: «إن رسائل النور قد علمتني وظائفى الدينية والإيمانية، وعلمتني أن الإسلام أسمى وأقدس دين، وأنه السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وعلمتني أن القرآن هو الأمر الإلهى النازل من رب العالمين سبحانه وتعالى، الحاضر الناظر في كل مكان، وأن الوجود بأجمعه بدءاً من الذرات وانتهاء بالمجرات والنجوم هو تحت قدرته وتحت إدارته الأزلية، وعلمتني أن القرآن معجزة إلهية يحيط نظره بكل الحوادث منذ الأزل إلى الأبد، وأنه أسمى من جميع الكتب، وكتاب معجز من أربعين وجهاً، وكلام أزلى يشر البشرية جمعاء بالسعادة الأبدية، فيجعل المشتاقين إليه يشعرون بعظمة المنة عليهم. وعلمتني أن الرسول ﷺ، المرسل من قبل رب العالمين، كان بكل أحواله أكمل الناس جميعاً وأصدقهم وأسماهم في نواحي الكمال، وأنه ﷺ قدم للناس جميعاً - بنور الإسلام - أكبر بشرى وأقدس سلوان، وأنه أدار بسلطنته المعنوية خمس أنواع البشرية منذ أربعة عشر قرناً، ويكتب في دفتر حسناته ﷺ جميع ما كسبته أمته من حسنات، وأنه سبب خلق الكائنات وأنه حبيب الله. وعلمتني أن الآخرة والجنة وجهنم حق وحقيقة وذلك ببراهين وحجج مستقاة من القرآن المعجز»^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) النورسي: الشعاعات، ص ٥٩٩.

ثالثاً: التربية الفكرية الشاملة: ذلك التفكير الذي يحس بظاهرة ما، فيعيها ويحدد إطارها ومجالها، ثم يتعرف على تفاصيلها ويكتشف طبيعة العلائق بينها، ثم يكتشف الحكمة الكامنة وراء هذه الظاهرة.

وإن التربية النورية للإمام النورسي لم تكن محصورة في الإطار النظري المجرد، وإنما كانت تربية عملية للفكر تنطلق من قاعدة التفكير الإيماني؛ من خلال الوقوف على الكونيات وجهاً لوجه، مما يثير حماس عقل طالب النور للتفكير بالأشياء، وفي استكناه أسرارها وخفاياها، مكوّناً بذلك عقله العلمي الاستكشافي الواعي، وفي نفس الوقت موجهها سلوكه التربوي العملي إلى جادة الطريق.

وإن العديد من طلاب النور الشهود الأواخر، يشيرون إلى أن الإمام النورسي كان يرتقي بهم التلال التي تشرف على مدينة أسبارطة، ليشاهدوا من فوقها مناظر الفطرة ومشاهد الطبيعة؛ ليعلمهم كيف يفكرون في مخلوقات الله، وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح أمامهم، قائلاً لهم: «انظروا إلى الكرة الأرضية الطائرة في انجذاب ونشوة، والسائرة في جو الفضاء، وتأملوا في الشمس المستقرة مع حركتها، والأجرام العلوية المرتبط بعضها ببعض بالجاذبة العامة، وتدبروا في العناصر الكثيرة المرتبط بعضها ببعض بأواصر كيمياوية في شجرة الخلقة، المنتشرة فروعها في الفضاء غير المحدود.. لتتصوروا عظمة الصانع !! أو انظروا بمجهر عقولكم إلى قطرة ماء، التي تستوعب عالماً من الحيوانات، بأن الله على كل شيء قدير»^(١).

كما يبين لهم - رحمه الله - أن هذا الكون هو كتاب الله المنظور، المتضمن الأحرف الكونية، والكلمات الربانية، والجمل الصمدانية، الصادرة من الحكيم الخبير، فيقول: «إن التجلي الأعظم لاسم «الحكم» جعل هذا الكون بمثابة كتاب عظيم كتبت في كل صحيفة من صحائفه مئات الكتب، وأدرجت في كل سطر منه مئات الصفحات، وخطت في كل كلمة منه مئات الأسطر، وتقرأ تحت كل حرف منه

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٠.

مئات الكلمات، وحفظ في كل نقطة من نقاطه فهرس مختصر صغير يلخص محتويات الكتاب كله.. فهذا الكتاب بصفحاته وأسطره، بل بنقاطه يدل دلالة واضحة ساطعة - بمئات الأوجه - على مصوره وكتابه، حتى إن مشاهدة الكتاب الكونى العظيم هذا وحدها، كافية الدلالة على وجود كاتبه، بل تسوقنا إلى معرفة وجوده ووحدانيته، بما يفوق دلالة الكتاب على نفسه أضعافا مضاعفة»^(١).

ولقد انعكست هذه التربية الفكرية الشاملة على الواقع العملي التوجيهي للإمام النورسي تجاه طلابه. ومن ذلك ما يلي:

١ - الإدراك الواقعي لقاعدة انتفاء الضرر: فبعد نشر «تاريخ الحياة» وردت رسالة من أنقرة تتحدث عن عدم جواز نشر الصور، فما كان من الإمام النورسي إلا أن «ابتسم وطلب قلمًا، وبالقلم رسم خطأ على عنق الصورة، وقال: اكتبوا إلى صاحب الرسالة: لا ضرر منها الآن؛ الإنسان الناقص لا يقدر على العيش، والإنسان النصف لا يعيش»^(٢).

٢ - التركيز على النوعية لا الكمية: فالإمام النورسي لم يهتم بالكم في تربيته لطلابه، وإنما انصب اهتمامه على النوعية، من أجل إخراج جماعة من المخلصين المؤمنين بالفكرة، الأقوياء في شخصياتهم، الواعين لرسالتهم نحو الدعوة النورية، وكثيرا ما كان يقول لطلابه: «إن الكمية خادعة أحيانا، المهم النوعية والکیفیه: أنت إذا ما كنت وسيلة وسببا في ارتباط شخصين بدراسة وفهم رسائل النور أثناء حياتك في فترة التلمذة، وبحيث يؤدي ذلك إلى إنقاذ إيمانهم، تكون قد أديت واجبك.. الإخلاص في الكيفية وليس في الكمية، وتلك هي الخدمة»^(٣).

٣ - فهم القابليات: فيروي أحدهم كيف تعلم من أستاذه عمليا فهم القابليات، فيقول: «قال الأستاذ لمن أخبره أنه منزعج من مهنة التعليم: عليك ترك التدريس

(١) النورسي: اللمعات، ص ٥٢٨.

(٢) نجم الدين شاهينر: الشهود الأواخر، المجلد ٣، ص ١٠٤.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١٣٦.

يا أخي.. بينما قال لغيره: داوم على مهنتك معلماً؛ إن الأطفال رأس مال عظيم للمستقبل، وإن حسن تربيتهم واجب علينا.. لا تتخل أبدأ عن سلك التعليم»^(١).

٤- **فقه النوازل:** فلقد حرص الإمام النورسي على تعليم طلابه فقه النوازل والتعامل معها؛ من ذلك ما حكاه أحدهم عن أستاذه قائلاً: «جاءني أحد طلابي وسألني: هل أرفع الأذان بالصيغة الجديدة أم أترك مهنتي؟.. فكرت بعض الوقت؛ إذا ما ترك الأخ الصادق المخلص مهنته، فسيأتي أحد المنافقين أو الفاسقين ويقوم بأداء هذه الوظيفة، ولجهله سيعتقد أن ما يقوم به هو الحق والصحيح، ويقع في إثم أكبر، وربما سيفقد إيمانه.. ثم خطر على قلبي خاطرة، وقلت له: أنت لا تترك وظيفة المؤذن. إذا ما صعدت المئذنة ردد الأذان مع نفسك بحيث لا يسمعك أحد غيرك، وبعد الانتهاء من الأذان الحقيقي تردد ما طلبوه منك، وبذلك تكون قد رفعت الأذان ثم ترجمته»^(٢).

٥- **إدراك حاجة الزمان والمكان:** فالإمام النورسي علم طلابه أن الأعمال والأقوال التي يقوم بها الإنسان، ينبغي أن تكون بسبب واضح يرضي الله رب العالمين، وطبق ذلك على نفسه قائلاً: «لم أولف بدون سبب أو بدون داع، إنما كنت أولف استناداً إلى سبب ودليل، وكتبت بناء على حاجة، أنتم أيضاً تعرفون وتدركون ما تفعلونه، وتسعون فيه.. إن الرسائل هي لطف ومنة من الله لما تقتضيه حاجة الزمن»^(٣).

ولهذا يدرك بفكره الواعي ضرورة بقائه في تركيا مهما كانت المظالم والآلام التي يعانيتها، لأن في بقائه الاستقرار للبلاد، يقول لطلابه: «يستدعونني من أرجاء العالم الإسلامي ومن باكستان، لو تركنا هذا البلد لانقلبت الأوضاع فيه؛ نحن الذين نحافظ عليه»^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩٢.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٦٥.

(٤) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٢٤٠.

٦- الوعي الصحي: يبين أحد الطلاب هذه التربية العملية للوعي الصحي، قائلاً: «عندما يرانا الأستاذ نضع أدوات الأكل على الأرض يمتعض قائلاً: إن الذي لا يهتم بنفسه لا يقدر على رعايتي وخدمتي... كما كان يعيد غسل الملابس إذا رأنا نلمسها وهي مبتلة لم تجف بعد»^(١).

٧- الوعي البيئي: هذا الوعي الذي أشاعه الإمام النورسي من خلال رسائله، وحلقات تدريسه، وجد الاستجابة لدى بعض الناس، ويروي أحدهم عن ذلك بقوله: «قلت لحاكم التحقيق: إن مراعي منطقتنا عبارة عن غابات تحرسها حراس الغابة، ومع ذلك كنا نحرق أشجارها بدون سبب، سوى اللهو والعبث، ثم تحترق أشجار معمرة منذ عصور في لحظات وتصبح رمادا. قرأت في تلك الرسائل عن فوائد الأشجار الكثيرة للحياة وللبيئة، وأن الأشجار أيضا تسبح وتحمدها، أصبحنا نحافظ على الأشجار»^(٢).

المطلب الثاني: نموذج حي للتربية النورية :

لقد كان الإمام النورسي حريصا على تأسيس جيل من طلاب النور ليقوموا بواجب الدعوة النورية، وتربيتهم تربية نورانية تُعدُّ كلا منهم ليكون إنسانا صالحا مصلحا لنفسه وغيره، يعبد الله على بصيرة، ويدعو إلى حقائق الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستثمر ما منحه الله من قدرات كامنة ومهارات متنوعة، في سبيل الارتقاء المعنوي بنفسه، والرقى المعنوي والمادي لغيره من أبناء مجتمعه وأمته، بل ولخير الإنسانية وسعادتها.

ونجح - رحمه الله - في جعلهم نماذج حية للاستقامة والصدق، والأمانة والإخلاص، والحلم والعفو، والحزم والانضباط، والإيثار والتضحية في سبيل الله؛ حتى أضحو أناسا تنعكس أسماء الله الحسنى على عيونهم، وتتدفق من بين أيديهم،

(١) المرجع السابق، المجلد ٣: ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ١٧٨.

فيتبعون هداها منجذبين بقوتها إلى تحقيق وظيفتهم الإيمانية بنشر النور، ومن هؤلاء الذين رباهم - رحمه الله - «جيلان جاليشقان» (١٩٢٩ - ١٩٦٣ م).

أولاً: فراسة المربي: فلقد منح الله عز وجل الإمام النورسي «مهارة التعرف على بواطن الأمور من ملاحظة ظواهرها؛ فعينه تلاحظ السيئات والعلامات. وأذنه تنصت للكلام وتصريجه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه، وفحواه وإشارته، ولحنه وإيائه. أما قلبه: فللعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه»^(١).

هذه الفراسة كانت ثمرة غرس الإيمان الذي غرسه في أرض قلبه - رحمه الله - الطيبة الزاكية، وسقى ذلك الغرس بهاء الإخلاص والصدق، وحتى لا يذهب بأحد الظن في المبالغة، نترك الحديث لوالد «جيلان جاليشقان» ليخبرنا هو نفسه عما رآه وعاشه من فراسة الإمام النورسي بخصوص ولده، حيث يقول: «كان ولدي «جيلان» شديد الذكاء لدرجة كبيرة، أكمل دراسته في المدرسة بصورة جيدة، وعندما أتى الأستاذ بديع الزمان إلى أميرداغ، قلت لجيلان: قم لنذهب ونقبل يد أستاذ جاءنا إلى أميرداغ، ونقبل دعواته.

ذهبنا إليه وألقينا عليه السلام.. ثم أشار إلى جيلان: ماذا يقرب منك؟ قلت: إنه ولدي سيدي.

وعندما سأل ماذا ستصنع بهذا الفتى؟

أجبت: إن له ذكاء شديداً، أريده أن يستمر في الدراسة. قال لي الأستاذ: انظر يا أخي؛ ليس لي أولاد، أعطني ولدك هذا، ولأنه ذكي ونبه فليتلق مني دروس الإيمان أولاً، وليقم بخدماتي.. ليكمل دراسته الجامعية بعدئذ.

قلت: لك ما تريد يا سيدي. وخصصت جيلان لخدمة الأستاذ منذ ذلك الوقت^(٢).

(١) المعجم الوسيط، ص ٦٠٧، لسان العرب، ص ٣٣٧٩.

(٢) الشهود الأواخر، المجلد ٢، ص ٣١٦ - ٣١٧.

ثانياً: الصدق والاستقامة: فإن أول درس تلقاه جيلان الحفاظ التام على الصدق والاستقامة، فالإمام النورسي يكرر عليه قوله: «كن مستقيماً دائماً، لن تكذب أبداً.. يمكن أن يعطوك مليون ليرة لتخونني، ولكن يظل اسمك يذكر بسوء.. عش بتصرفاتك وحركاتك على أسس رسائل النور»^(١).

ثالثاً: التطلع إلى الآخرة: لقد رضي الإمام النورسي عن جيلان لسرعة تعلمه دروس الإيمان، واستقامته على رسائل النور (وهو ابن الخامسة عشرة من عمره)، لذلك قال عنه: «إن جيلان شاب مقتدر وذو كفاءة، ينجز أعمال الدنيا كما ينجز أعمال الآخرة، ولكنني لن أعطيه للدنيا» وقال له: يا جيلان؛ أنت حياتك أخروية، إذا ما أصبحت دنيوية فستكون قصيرة»^(٢).

رابعاً: بث روح الرجولة المبكرة: فالإمام المربي المقدر للمكات طالبه وتلميذه، ييثر في روحه ونفسه الرجولة قائلاً له: «يا جيلان؛ أنت من السعداء والمحظوظين، لأنك استلمت مفاتيح الخدمات المهمة من خزائن رسائل النور في هذا الزمن العجيب، وأخذت أيضاً مفاتيحي. سوف تثبت وبصدق ومتانة واحتياط شديد، أنك تليق بحمل هذه الواجبات المهمة والمقدسة. نحن ننظر إليك - رغم كونك صغيراً وحدثاً - وكأنك شيخ قوي مصغر، لما نشعر فيك من صدق عميق»^(٣).

خامساً: غرس الوعي بطبيعة الدعوة ومقتضياتها: ولما كان جيلان صاحب رجولة مبكرة، فإنه بحاجة أن يتوسل إلى حفظها بوسيلة الوعي الحذر، والإدراك اليقظ. ولذا يقول الإمام له: «كن حذراً؛ لا تعجبك أهواء الشباب ولا تنخدع بها. لقد حملت إجباراً أحمالاً وأثقال عشرة من الرجال بدخولك في خدمتي. خطأ صغير منك يسبب ضرراً كبيراً.

(١) المرجع السابق، ص ٣٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٠.

واعلم جيدا ومؤكدا أن الحقيقة التي تخدمها، أنك لن يصيبك من نصيب في هذه الدنيا مقابل المنافع التي ستحصل عليها في هذه الدنيا والآخرة.. لكي لا تضيع خزائن الجواهر بالزجاج المتحطم باتباع ملذات هذه الدنيا الفانية، لا تسلم نفسك إلى الوسواس التي تسمعها من الإنس والجن بأذان صبيانية»^(١).

سادسا: ترسيخ قواعد الحكمة: فلقد وجه إليه الإمام بعض التوجيهات العملية على سبيل التنبيه، ليحوز الحكمة، فقال له: «إن هذا الزمن حساس يا جيلان؛ فيجب أخذ الحذر والحيلة عند القيام بفعاليات في سبيل حركة النور، وعليك معرفة هذه النقاط الثلاث الآتية حفظا لسلامتنا وسلامة طلبة النور:

الأولى: الالتزام بالاقتصاد وبكل جدية؛ لكي لا يغضب عليك أبواك وتتضرر خدمة النور من جرائها. إن الذي يعمل في مجال التجارة في الدكان لا يبيع البطولات، بل يحسب حساب عشرة قروش؛ فالمال ليس مالك، ولا يجوز أن تتصرف به أو توزعه هدايا.

الثانية: لا تحاول إظهار نفسك الآن، أو تعمل من أجل المظاهر لكي لا تجلب الأذى «للنور» التي هي أمانة بين يديك. اترك أهواءك وملذاتك غير المقيدة؛ فإن ما تقدمه لك الخدمة النورية من لذة تكفيك.

الثالثة: لا تفتح دواخلك مع كل من يحضرنا إلى هنا، ولا تكشف لهم عن أسرارنا بدون أي داع؛ لأن بينهم من هو بسيط وذو قلب نظيف، أو ذو حيلة وخبيث، أو أحمق يفشي ما عنده، ويخلق من الحبة قبة. ويستفاد من كل هذا الجواسيس والمنافقون»^(٢).

سابعا: التفويض للقيام بالأعمال الخاصة: فلقد صرح الإمام النورسي كتابة: «جيلان هو وكيل، ويقوم بالأعمال التي تخص النور نيابة عني ولحسابي»^(٣). لذلك فلا عجب حينما يرسل إليه من السجن رسالة يقول له فيها:

(١) المرجع السابق، ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٣.

«يا جيلان: لقد أرسلت لي «رابعة»^(١) قميصا وكمية من الفحم، لقد قامت بخدمتي وغسل ملابسي مدة سنة كاملة، لذا لا أفدر على رفض هديتها، وأنا ممتن لها لهذه السنة من الخدمة. ولكن، ومقابل ذلك، أرسل لها ماء زمزم وكمية التمر التي جاءتني من مكة المكرمة مع إبلاغها بحياتي»^(٢).

ثامنا: تفقد أحوال الطالب: فالإمام النورسي كان مربيا قديرا بامتياز، يتابع تلميذه، ويتفقد أحواله، حتى إذا أحس في وقت ما، بنقصان حركته، يوجه انتباهه لواقعه مرشدا وناصحا: «يا جيلان؛ أشعر بنقصان وتوقف في كتاباتك وفعالياتك، إن القليل من ضعفكم يثير لدي القلق والتفكير.. إياك إياك! لربما لديك هموم ما؟»^(٣).

تاسعا: إنزال الطالب منزلة عزيزة: فالإمام النورسي يخاطبه في غالب الأحوال قائلا: «أخي الصدوق والعزيز الحقيقي»^(٤). ويؤكد له: «يا جيلان؛ لقد أديت واجبك بالتمام، وأنت دائما معي و إلى جانبي روحيا ومعنويا»^(٥).

وبالمقابل، فإن جيلان التلميذ الوفي يقدر ذلك من أستاذه ويقول له باستمرار: «أستاذي العزيز والمحبوب والمبارك جدا، نحن ندعو لدوام عافيتكم وصحتكم مع تقبيل أياديكم»^(٦).

عاشرا: نجاح المري في رسالته التربوية يخفف آلامه: فمع معاناة الإمام النورسي من الآلام والأسقام الناجمة عن ما لاقاه من الأهوال، يقول لجيلان: «إنني رغم ما ألاقه من عذاب ومهانة وضيق بدرجة أكبر مما تلاقونه، غير أنني أشكر الله ويزول عني عذابي وآلامي عندما يخطر على بالي صدقكم التام وإخلاصكم، الذي يقرب من التضحية والفناء الكامل»^(٧).

(١) هي زوجة عبد المجيد اخي الأستاذ النورسي

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٥٥.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٥٧.

(٧) المرجع السابق، ص ٣٥٩.

حادي عشر: المربي يمازح تلميذه: فلقد اتسم الإمام النورسي بال مرونة الحياة التي تقدر على مواجهة كل موقف بما يليق، تلك المرونة التي تملك في داخلها ضمن ما تملك، طاقة للرحمة والرحمة يستمد منها بحرية حين يشاء مقتديا في ذلك بالرسول الأعظم ﷺ؛ فعندما كان جالسا مع تلميذه جيلان تقع بعوضة ثاقبة على يد جيلان، وتبدأ بامتصاص دمه، «فيحاول جيلان قطع أرجل البعوض بالمقص الذي يحمله، فيقول الأستاذ: ماذا أنت فاعل يا كيجة لي؟ يجيب جيلان: أطبق القصاص بحقها يا سيدي ويحييه الأستاذ: إنها تقوم بالحجامة لك»^(١).

المطلب الثالث: من ثمار التربية النورية :

ما أجمل صورة هؤلاء الطلاب النوريين! وما أعظم الجهد الذي بذله أستاذهم في تربيتهم على منهج الإسلام! وما أبهى السمات التي أبهرت المخالفين قبل المحيين!.. إنهم مثلوا الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية، المشغولون بالاتحاد والتساند والاجتماع، المدركون الفاقهون لواقع عصرهم.. وهم كذلك السالمون المتينون عاطفة وفكرا وحسا وشعورا وإرادة، الثابتون القائمون على إعلاء كلمة الله، المستقرون في شخصياتهم، القادرون على دحر نوازعهم النفسانية، الموفقون إلى ارتفاق القلب والعقل معا.

وبالجملة، سماتهم هي سمات وأخلاق الداعية التي هي ظلال نورانية لجيل الصحابة الكرام، الذين كانوا نجوما هادية، ومناثر للقوة بعد النبي المصطفى ﷺ. هذه السمات وغيرها وثقتها شهادات الشهود الأواخر ومشاهداتهم التي رأوها بأعينهم، ومنها ما يلي:

أولا: سماتهم بعيون مخالفيهم: يعبر أحد السجنانيين عن رؤيته لسمات هؤلاء الطلاب الذين رآهم في السجن، وتعامل معهم عن قرب، فيقول: «لا يمكن هؤلاء

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٢.

الأبرياء أن يكونوا في موقع الخصم مع الدولة، أو أن يحملوا أفكارا هدامة تجاهها، أو تكون لهم علاقة بأمور غير مستحبة، إنهم أناس نظيفون أطهار، ومسلمون مخلصون، هدفهم الوحيد الحضور أمام ربهم بقلوب سليمة نقية، بعيدون عن أكل السحت، مستعدون للمحاسبة عن أفعالهم في هذه الدنيا. كانت أيامهم في السجن جميلة؛ تقام صلوات الجماعة، وتقرأ الأدعية، وكأن السجن تحول إلى مسجد.. يا ليتني كنت مثلهم وعلى شاكلتهم»^(١).

ثانيا: أصحاب نفوس غنية: فقد جاء مقتدر وهو يحمل صرة فيها مال، ويدور ويبحث عن المحتاج إلى المعونة من طلاب النور الخارجين من السجن، «ولما لم يستطع أن يقنع أحدا منهم بقبول مساعدته، اخذ يبيكي لأنه لم يعثر على من يستطيع مساعدته.. وهي حادثة تدل على غنى النفس لدى طلبة النور، ومثال حي لمدى الإخلاص الذي يمتازون به، ذلك لأنهم جميعا كانوا في حالة عوز وفقر، لم يكونوا يملكون أجور القطارات، فقطعوا المسافات البعيدة مشيا على الأقدام»^(٢).

ثالثا: نموذج للساند الرائع: وعن هذه السمة يقول أحد الشهود: «إن طلبة النور الذي يشكلون مع بعضهم البعض كتلة مترابطة ومتساندة، إنما يكسبون القوة والتأييد، ويوجدون نقطة ارتكاز على النطاق الأعم الأوسع لجماعة أهل الإيمان والدين»^(٣).

رابعا: تضحية عجيبة بالنفس: يتحدث أحد الشهود عن ذلك النموذج العجيب للتضحية، فيقول: «حسن فيضي يوركيل» المعلم ورجل الحقيقة، وخادم الإيمان والقرآن، دفع هذا الشاب بنفسه إلى الموت بدل أستاذه فداء لروحته، وسجل ذلك في أحد أشعاره، حين يقول متضرعا:

(١) المرجع السابق، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٤، ص ٥٢.

لا أحتمل البعد عن باب فيضك لأنني نذرت أن تكون نفسي فداك^(١).

خامسا: شهيد الاستقامة: وهذه سمة لو لم يشهد بها ويشاهدها الكثيرون، لا اعتبرها الناس ضربا من الخيال، أو لونا من الخرافات؛ فإن «أحمد عاصم أون أردم» مثال للطلاب الأتقار غاية الطهارة، المستقيم غاية الاستقامة، الذي استجوب أمام الحاكم في دائرة استجواب «أسبارطة»، فعلم أن صدقه يلحق الضرر بأستاذه، وأن كذبه يلحق العبء الثقيل بشرفه العسكري الطويل المستقيم النظيف، فدعا ربه يا رب اقبط روحي.. فتقبل الله دعاءه وقبضت روحه لساعته، واحترار الحاكم في الأمر^(٢).

سادسا: عشق الدعوة: والأمثلة في ذلك عديدة، وما سبق في جانب منه يدل على هذا العشق؛ فحينما يسأل الطبيب أحدهم: «مم تعاني؟ أجابه إنني أصبت بمرض يسمى إنقاذ أرواح الناس وإيمانهم عن طريق رسائل النور، التي أعطيها أيامي مع لياليها في عمل دؤوب.. هل لديكم - أنتم الأطباء - أي علاج لمن أصيب بمثل هذا الهيام»^(٣).

سابعا: أهل ثقة ووفاء: وأصدق دليل على ذلك شهادة أستاذهم لهم، في رسالة بعث بها إلى صديق له، قال فيها: «أودع لديك سعيدين شابًا، وهم: صونغور، وجيلان، وصالح، وعبد الله، وأحمد، وضياء.. هؤلاء أثبتوا إلى الآن - بخدماتهم - أنهم مضحون أوفياء، يفوق وفاء الأبناء لأبائهم. أودعهم لديك ليكونوا طلابا وكلاء عني، يؤدون مهمة النظارة - بدلا عني - في تلك المدرسة الصغيرة»^(٤).

وهكذا، رأينا في كل ما أسلفناه، من بداية الكتاب إلى منتهاه، الجمال الذي هو لب الحقيقة الإنسانية، ولب كل الحقائق في الوجود.. جمال الدعوة بماهيتها ومصادرها

(١) المرجع السابق، المجلد ٢، ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق، المجلد ١، ص ١٩٠.

(٣) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ٧.

(٤) النورسي: الملاحق، ص ٣٣٨.

ومعالمها وغاياتها وأهدافها وقواعدها وأصولها.. وجمال الداعية صاحب الوظيفة السامية والأخلاق الفاضلة الربانية، وجمال ما اتخذته من عدة، وجمال ما استخدمه من أسلوب.. كما رأينا جمال منطلقات الدعوة والداعية في روعة وضوحها، وجمال الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة، وجمال التربية الناجحة لطلاب رسائل النور؛ حتى أضحى كل واحد منهم كأنه جمال قرآني مسكوب في قالب بشري، مرآة صقيلة شفافة تعكس من صور الذوق والخلق والأدب، ما يكاد يكون نادر الوجود في هذا الواقع المعاصر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده على ما يسره لي من معاشة للشهود الأواخر، بعقلي وقلبي وحواسي؛ فرأيتهم يغدون ويروحون هنا وهناك، وأبصرت طلاب النور ينطلقون بهمة لا تعرف اليأس، وتساند كالبنيان المرصوص، ومشورة لا تُغفل، بعدما تلقوا من أستاذهم دروس الدعوة النورية.. ورأيت الإمام النورسي في صدرهم بعمقه الروحي والعقلي، لا تستهويه المظاهر في الدين والفكر والحياة.. رأيت جوهرياً في أموره كلها، سبار أغوار، غواص أعماق.. وشاهدته يقبل بحكمته وحنكته، فيقابل طيش العقول الساهية بالحلم والعلم، وجفاء الأرواح الفارغة بالشفقة والرحمة، وغفلة النفوس الباهتة براهين رسائل النور الالهامية.. كما رأيت يلقى براءة الأطفال بالتفاؤل والاستبشار وطلب الدعاء.. وسمعت يوجه الغافلين إلى الحذر والتيقظ، والوعي والانتباه.. وشعرت بأنينه المكتوم وهو يذيب بواد الحفاء بالمحبة والإخاء.. كما هزنتي غضبته العارمة في وجه أهل الكفر المطلق.. وأدهشني ثباته المبهر.. كما أنصتُ إلى أصدقاء الحرب والأسر.. وأرهفت إلى همس الحذر، وزفرة الواجد، وأنين الباكي ندماً وحسرة.. وفاضت أحاسيسي مع الأجنة ومعاناتهم في السجون، وشعرت بالأمهم وإشفاقهم على أستاذهم شعوراً تداعى له جسدي وذهنِي وحسي بالسهر والأرق.

خلتُ الجميع يحتضنون رسائل النور أمام عيني، وكأنني لم افتقدهم طرفة عين، ولم أفقد ميادين جهادهم المعنوي، ولم تغب عني منافعهم في الأرض. وحسبني بين يدي الإمام النورسي، ألتقى منه درس «الفقه الأكبر»؛ فأطالع وعيه الكبير بالواقع، ويقظته التامة لكل ما حوله من مجريات.. ونسجه من رسائل النور مدونة فقهية سلوكية روحية عقلية اجتماعية شاملة عناؤها: الفقه الأكبر؛ ذلك الفقه الذي صان إيمان الأمة، وضبط مقومات الدعوة والداعية، لتتجح الدعوة ويوفق الداعية، ويبذر بذور النهوض الإيماني، الآتي بالراقي المادي والمعنوي إن شاء الله رب العالمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- ١- إبراهيم مذكور، وآخرون، «المعجم الوسيط»، القاهرة: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة: ١٩٨٥ م.
- ٢- البهي الخولي، «تذكرة الدعاة»، القاهرة، مكتبة دار التراث، الطبعة الثامنة: (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م).
- ٣- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور» - الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٤- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور» - الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٥- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور» - اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٦- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور» - المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٧- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور» - المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٨- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور»، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ٩- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور»، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.
- ١٠- بديع الزمان سعيد النورسي، «كليات رسائل النور»، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤ م.

- ١١ - عبد الكريم زيدان، «أصول الدعوة»، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ١٢ - علي عبد الحليم محمود، «فقه الدعوة على الله»، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ١٣ - عمار جيدل، «حقيقة مقاصد رسائل النور»، القاهرة: دار النيل، الطبعة الثانية (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ١٤ - ماجد عرسان الكيلاني، «أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة»، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ١٥ - محمد الغزالي، «مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة»، دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة: (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ١٦ - محمد المكرم بن منظور المصري، «لسان العرب»، القاهرة: دار المعارف طبعة ١٩٧٩م.
- ١٧ - محمد سعيد رمضان البوطي، «شخصيات استوقفتني»، بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة السادسة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ١٨ - نجم الدين شاهينر، «الشهود الأواخر. شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي»، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
* إهداء	٥
* المقدمة	٦
* المدخل: ضوء على مفردات عنوان الكتاب	١١
أ- المقومات	١٢
ب- الدعوة	١٢
ج- الداعية	١٤
د- الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي»	١٦
١- المكان والسكان والزمان	١٦
٢- سعيد القديم (١٨٧٦ - ١٩٢١)	١٨
٣- سعيد الجديد (١٩٢٢ - ١٩٥٠)	٢٠
٤- سعيد الثالث (١٩٥٠ - ١٩٦٠)	٢٢
هـ- الشهود الأواخر	٢٤

الباب الأول

من مقومات الدعوة

* الفصل الأول: ماهية الدعوة ومصادرها	٣١
- المطلب الأول: ماهية الدعوة	٣١
أولاً: ما الذي تعالجه الدعوة النورية ؟	٣٢
ثانياً: لماذا رسائل النور ؟	٣٢
- المطلب الثاني: من مصادر الدعوة النورية	٣٤
أولاً: القرآن الكريم	٣٤

- ثانيا: السنة النبوية المطهرة..... ٣٥
- ثالثا: سيرة السلف الصالح والتابعين..... ٣٦
- رابعا: مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية..... ٣٧
- * الفصل الثاني: الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها..... ٣٨
- المطلب الأول: التركيز على الأصل وعدم تبديد الجهد في الجزئيات..... ٣٨
- المطلب الثاني: الجمع بين القلب والعقل..... ٤٠
- أولا: التفكير الإيماني..... ٤٠
- ثانيا: العقلية الموضوعية..... ٤١
- ثالثا: تزكية النفس والارتقاء الروحي..... ٤٢
- المطلب الثالث: الحضور الأخروي..... ٤٥
- المطلب الرابع: التغيير التدريجي والجهاد المعنوي..... ٤٧
- المطلب الخامس: التمييز بين الدعوة والسياسة..... ٤٩
- * الفصل الثالث: أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها..... ٥٥
- المطلب الأول: إنقاذ الإيمان..... ٥٥
- أولا: إقامة الخير وصد الشر..... ٥٦
- ثانيا: إعطاء الحياة معنى..... ٥٦
- ثالثا: تقوية الإرادة..... ٥٦
- رابعا: التأصيل العميق للشفقة..... ٥٧
- خامسا: سلوك الطريق الأقصر للإيجابية البناءة..... ٥٧
- سادسا: تحقيق الاتحاد والمحبة وإعلاء كلمة الله..... ٥٨
- سابعا: المصالحة بين المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة..... ٥٨
- ثامنا: نيل مرضاة الله تعالى..... ٥٨
- تاسعا: التأسيس للشكر والعبادة..... ٥٩

- عاشر: تأسيس التواصل الإسلامي ٥٩
- حادي عشر: إنقاذ الإنسان ٥٩
- ثاني عشر: القيام بوظيفة الخدمة ٥٩
- ثالث عشر: الحماية من الهلاك ٦٠
- المطلب الثاني: بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق ٦٠
- المطلب الثالث: تحقيق قوة رابطة الأخوة والمحبة ٦١
- المطلب الرابع: تحصيل الأمن والنظام والحرية ٦٢
- المطلب الخامس: دفع العلل الاجتماعية المدمرة ٦٣
- المطلب السادس: الاتحاد بين أهل الإيمان ٦٤
- المطلب السابع: تحقيق صحوة إسلامية راشدة ٦٥
- * الفصل الرابع: من قواعد الدعوة النورية وأصولها ٦٦
- المطلب الأول: الإيمان التحقيقي ٦٦
- المطلب الثاني: الأمل الواثق والاستشراف المستقبلي ٦٧
- المطلب الثالث: الدافع الذاتي للإخلاص ٦٨
- المطلب الرابع: ارتباط الدعوة بالعلم والعمل ٦٩
- المطلب الخامس: معرفة الواقع المعاصر ٧٠
- المطلب السادس: انفتاح القلب نحو القرآن ٧٠
- المطلب السابع: استعمال الوسائل المشروعة ٧١
- المطلب الثامن: رسالية الدعوة وتنزهها ٧٢
- المطلب التاسع: الحياة بالدعوة ٧٣
- المطلب العاشر: الصفاء والإخلاص ٧٤
- المطلب الحادي عشر: المثابرة والإصرار ٧٥
- المطلب الثاني عشر: الوعي بقوانين الفطرة ٧٥

- المطلب الثالث عشر: الميزان الدقيق في العلاقات ٧٦
- المطلب الرابع عشر: معرفة المدعوّ وأسلوب التفاهم معه ٧٧
- أولاً: معرفة المدعوّ ٧٧
- ثانياً: الحذر من النقاش والجدال ٧٧
- ثالثاً: الانخلاع من الأنانية ٧٨
- رابعاً: معرفة البناء الفكري للمدعوّ ٧٨
- خامساً: معرفة ثقافة العصر ٧٩
- سادساً: مرونة الداعية ٧٩
- سابعاً: النزول بمنازل المخاطبين ٨٠
- ثامناً: النظرة من زاوية العصر ٨٠

الباب الثاني

من مقومات الداعية

- * الفصل الأول: وظيفة الداعية ٨٤
- المطلب الأول: إتقاذ إيمان الناس ٨٤
- المطلب الثاني: المراقبة في خدمة حقائق الإيمان والدفاع عن القرآن ٨٥
- المطلب الثالث: بناء الأسس المتينة ٨٦
- المطلب الرابع: تبليغ الدعوة للناس كافة ٨٦
- أولاً: دعوته للرعاة ٨٧
- ثانياً: دعوته للغجر ٨٧
- ثالثاً: دعوته للسائقين ٨٧
- رابعاً: دعوته للفرّان ٨٧
- خامساً: دعوته لرجال الشرطة ٨٧
- سادساً: دعوته للمعلمين ٨٨

- سابعاً: دعوته للنواب في عهد الاتحاد والترقي ٨٩
- ثامناً: دعوته لرئيس الجمهورية كمال أتاتورك ٨٩
- تاسعاً: دعوته للسياسيين الديمقراطيين ٨٩
- عاشراً: دعوته لوزير المعارف وأركان الدولة ٩٠
- حادي عشر: دعوته لرئيس الجمهور ورئيس الوزراء الديمقراطيين ٩٠
- ثاني عشر: دعوته للعصاة والإشفاق عليهم ٩١
- ثالث عشر: دعوته للمخالف في المذهب الديني ٩٢
- رابع عشر: دعوته للآخر الديني ٩٢
- * الفصل الثاني: من سمات الداعية وأخلاقه ٩٣
- المطلب الأول: أهلية التصدر للدعوة ٩٣
- أولاً: جودة المعرفة بأصول الإسلام وفروعه ٩٣
- ثانياً: الروح المفعمة بالحق والنشاط والأمل ٩٣
- المطلب الثاني: الصلة بالله وعمق العالم الروحي ٩٤
- المطلب الثالث: الإخلاص التام ٩٦
- المطلب الرابع: الصبر الجميل ٩٧
- المطلب الخامس: الشجاعة ٩٨
- المطلب السادس: التضحية ٩٩
- المطلب السابع: الإيثار والحذر من الأنانية ٩٩
- المطلب الثامن: الهمة العالية والغيرة على الدين ١٠٠
- المطلب التاسع: الرحمة والشفقة ١٠٠
- المطلب العاشر: الأمل والثقة في تأييد الله ١٠٢
- المطلب الحادي عشر: التسامح والعفو ١٠٤
- المطلب الثاني عشر: مداومة العبادة والدعاء ١٠٤

- ١٠٥ - المطلب الثالث عشر: رهافة الحس
- ١٠٥ - المطلب الرابع عشر: المنطق والواقعية
- ١٠٦ - المطلب الخامس عشر: مراجعة النفس
- ١٠٧ - المطلب السادس عشر: الوعي العلمي والفقه الشامل
- ١٠٨ أولا: فقه التعامل مع المسائل الاجتماعية
- ١٠٩ ثانيا: فقه التعامل مع الواقع السياسي
- ١١٠ ثالثا: فقه المصلحة
- ١١١ رابعا: فقه التجديد في الحركة بالدعوة
- ١١٢ خامسا: فقه درء الفتن
- ١١٣ سادسا: فقه الواقع بكل مكوناته
- ١١٤ سابعا: فقه التآلف وقواعده
- ١١٧ * الفصل الثالث: من عدة الداعية
- ١١٧ - المطلب الأول: العقلية الواقعية التصويرية
- ١١٨ أولا: القصة والحكاية
- ١١٩ ثانيا: ضرب الأمثال
- ١٢٠ ثالثا: مقابلة الحقائق المغيبة بأحوال دنيانا العملية
- ١٢١ رابعا: النظر إلى صور المعنويات
- ١٢٢ خامسا: النظر في الآفاق
- ١٢٣ سادسا: الالتفات إلى الآثار
- ١٢٤ - المطلب الثاني: الحياة الروحانية الاجتماعية
- ١٢٧ - المطلب الثالث: الطبيعة الحركية الإيجابية
- ١٢٧ أولا: الحركة الدائبة
- ١٢٩ ثانيا: الحركة بالدعوة في صميم المجتمع

- ١ - الحركة بين رجال الشرطة والجيش ١٢٩
- ٢ - الحركة بين المتصوفة ١٣٠
- ٣ - الحركة بين الأطباء والمعلمين ١٣٠
- ٤ - الحركة بين الأطفال ١٣٠
- ٥ - الحركة بين العلماء الرسميين ١٣٠
- ٦ - الحركة نحو الخارج ١٣١
- ثالثا: تجميع الطلاب لإيجاد الشخصية المعنوية ١٣٢
- ١ - حراس الحقيقة والنور ١٣٢
- ٢ - طلاب مضحون ١٣٣
- ٣ - أرباب العفة والطهارة ١٣٣
- ٤ - طلاب المرحمة ١٣٣
- ٥ - الأمانة على استمرار المسيرة ١٣٤
- * الفصل الرابع: أسلوب الداعية ١٣٥
- المطلب الأول: الأسلوب العملي المفعم بروح المحبة ١٣٥
- المطلب الثاني: التحرك بالحس الاجتماعي الواعي ١٣٦
- المطلب الثالث: الجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني ١٤٠

الباب الثالث

من مقومات نجاح الدعوة والداعية

- * الفصل الأول: وضوح المنطلقات والوسائل ١٤٥
- المطلب الأول: وضوح الغاية والتضحية من أجلها ١٤٥
- المطلب الثاني: أصالة مصادر الدعوة ١٤٦
- المطلب الثالث: تنوع الوسائل ١٤٦
- أولا: القدوة الحسنة ١٤٦

- ثانيا: النظام وحسن استئثار الوقت ١٤٧
- ثالثا: التعليم والتذكير ١٤٨
- رابعا: الخطابة ١٤٨
- خامسا: الترغيب والترهيب ١٤٨
- سادسا: الكتابة ١٤٩
- سابعا: استخدام الوسائط الحديثة ١٤٩
- المطلب الرابع: التمييز بين الدعوي والسياسي ١٥٠
- * الفصل الثاني: الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة ١٥١
- المطلب الأول: التشخيص السليم والعلاج الناجع ١٥١
- أولا: الداء وآثاره ١٥١
- ١- ضعف الرابطة الدينية ١٥١
- ٢- غياب الغاية الربانية ١٥٢
- ٣- القومية السلبية ١٥٢
- ٤- العداء والخصام ١٥٢
- ٥- العناد والحسد ١٥٢
- ٦- الضعف والذلة والهوان ١٥٢
- ثانيا: العلاج الناجع ولوازمه ١٥٣
- ١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٥٣
- ٢- تحقيق التكامل المعرفي والعلمي ١٥٣
- ٣- تحقيق الحرية والشورى ١٥٤
- ٤- العدل والعدالة ١٥٤
- ٥- الاستقلال والاستغناء ١٥٤
- المطلب الثاني: الإصرار على الامتداد بالحركة الدعوية ١٥٥

أولاً: الإصرار والمثابرة على الحركة بالدعوة	١٥٥
ثانياً: الحركة بالدعوة ونشرها بين النساء	١٥٦
ثالثاً: الاهتمام بالتواصل مع العلماء الرسميين	١٥٧
رابعاً: تشجيع الحفاظ للحركة بالقرآن	١٥٧
خامساً: الاهتمام بدور المسجد في حركة الدعوة	١٥٨
- المطلب الثالث: التزام الحذر واليقظ	١٥٨
- المطلب الرابع: إنجاز الأعمال بالأخوة والشورى	١٥٩
أولاً: الإخلاص	١٦٠
ثانياً: الفناء في الإخوان	١٦١
ثالثاً: الاتحاد والتساند	١٦١
رابعاً: إقامة الشورى الحقيقية	١٦٢
* الفصل الثالث: التربية النورية الناجحة	١٦٣
- المطلب الأول: من أصول التربية النورية	١٦٣
أولاً: ربط الطلاب بالغاية العليا	١٦٣
ثانياً: وصل الطلاب بالقرآن والسنة	١٦٤
ثالثاً: التربية الفكرية الشاملة	١٦٦
١- الإدراك الواقعي لقاعدة انتفاء الضرر	١٦٧
٢- التركيز على النوعية لا الكمية	١٦٧
٣- فهم القابليات	١٦٧
٤- فقه النوازل	١٦٨
٥- إدراك حاجة الزمان والمكان	١٦٨
٦- الوعي الصحي العملي	١٦٩
٧- الوعي البيئي	١٦٩

- المطلب الثاني: نموذج حي للتربية النورية ١٦٩
- أولاً: فراسة المربي ١٧٠
- ثانياً: الصدق والاستقامة ١٧١
- ثالثاً: التطلع إلى الآخرة ١٧١
- رابعاً: بث روح الرجولة المبكرة ١٧١
- خامساً: غرس الوعي بطبيعة الدعوة ومقتضياتها ١٧١
- سادساً: ترسيخ قواعد الحكمة ١٧٢
- سابعاً: التفويض للقيام بالأعمال الخاصة ١٧٢
- ثامناً: تفقد أحوال الطالب ١٧٣
- تاسعاً: إنزال الطالب منزلة عزيزة ١٧٣
- عاشراً: نجاح المربي في رسالته التربوية يخفف آلامه ١٧٣
- حادي عشر: المربي يمازح تلميذه ١٧٤
- المطلب الثالث: من ثمار التربية النورية ١٧٤
- أولاً: سماتهم بعيون مخالفيهم ١٧٤
- ثانياً: أصحاب نفوس غنية ١٧٥
- ثالثاً: نموذج للتساند الرائع ١٧٥
- رابعاً: تضحية عجيبة بالنفس ١٧٥
- خامساً: شهيد الاستقامة ١٧٦
- سادساً: عشق الدعوة ١٧٦
- سابعاً: أهل ثقة ووفاء ١٧٦
- * الخاتمة ١٧٨
- * المراجع ١٧٩
- * محتويات الكتاب ١٨١



إن أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجارية، هو الإخلاص الذي هو أساس مسلكنا؛ فالإخلاص هو الذي يمنعنا عن ذلك؛ لأن في زمن الغفلة هذا، ولا سيما بالنسبة إلى من يحمل أفكارا موالية لجهة معينة، فإنه يحاول أن يجعل كل شيء أداة طيعة لمسلكه، بل يجعل حتى دينه وأعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنيوي، بينما الحقائق الإيمانية والخدمة النورية المقدسة تأبى أن تكون وسيلة لأي شيء في الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية إلا رضا الله سبحانه.

وفي الحقيقة إنه من الصعب الحفاظ على سير الإخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية؛ لذا فإن أفضل علاج لهذا، هو الاعتماد على العناية الإلهية، وتفويض الأمر إلى توفيق رب العالمين، بدلا من الاعتماد على قوة التيارات السياسية

بديع الزمان سعيده النورسي